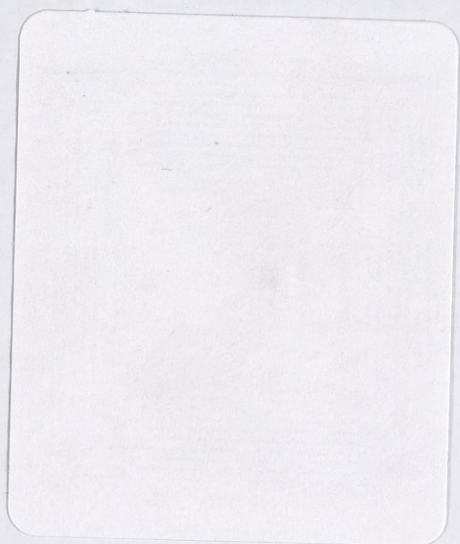


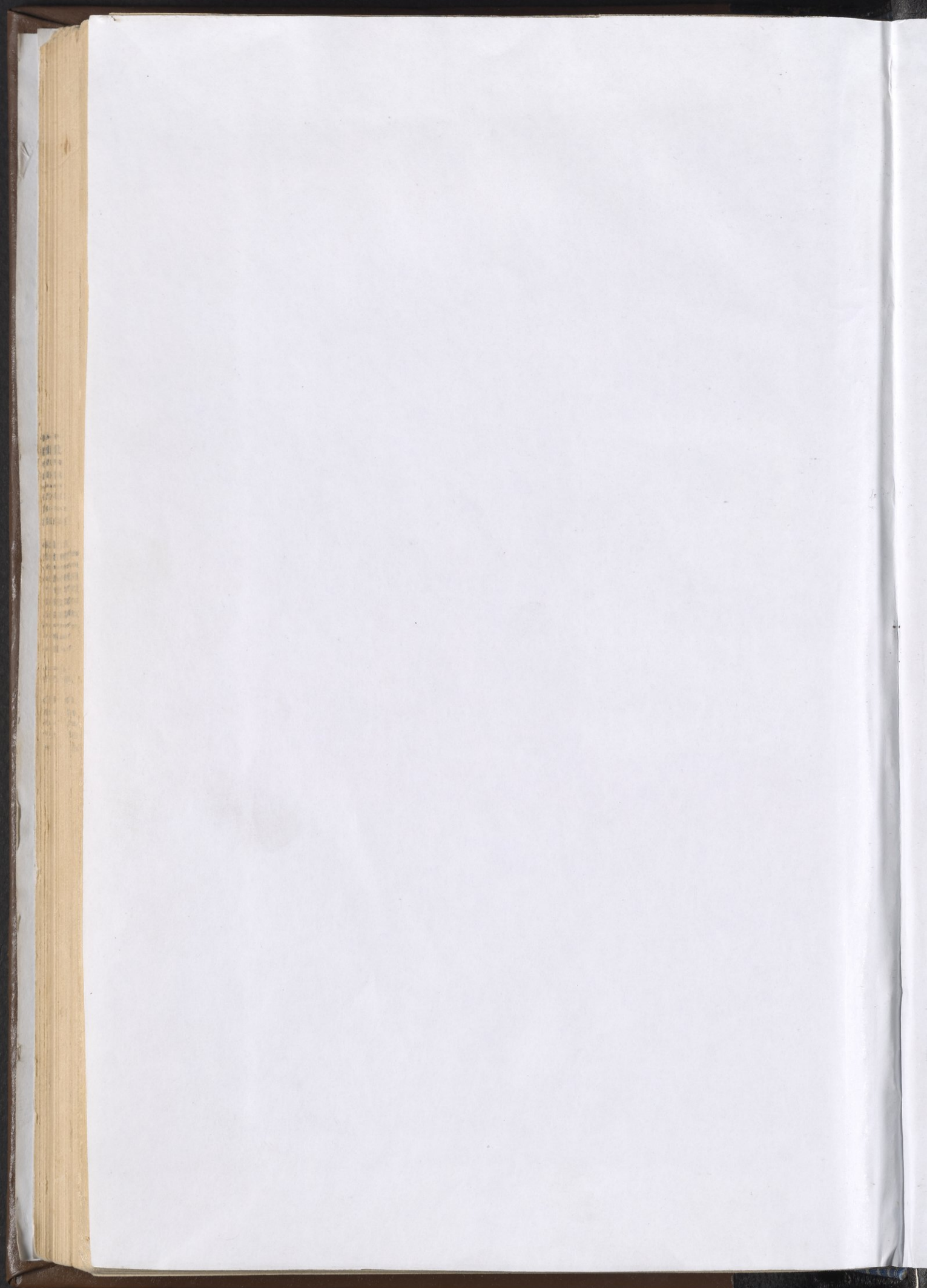
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY  
3 8534 01143 3111

DI  
2  
4  
A

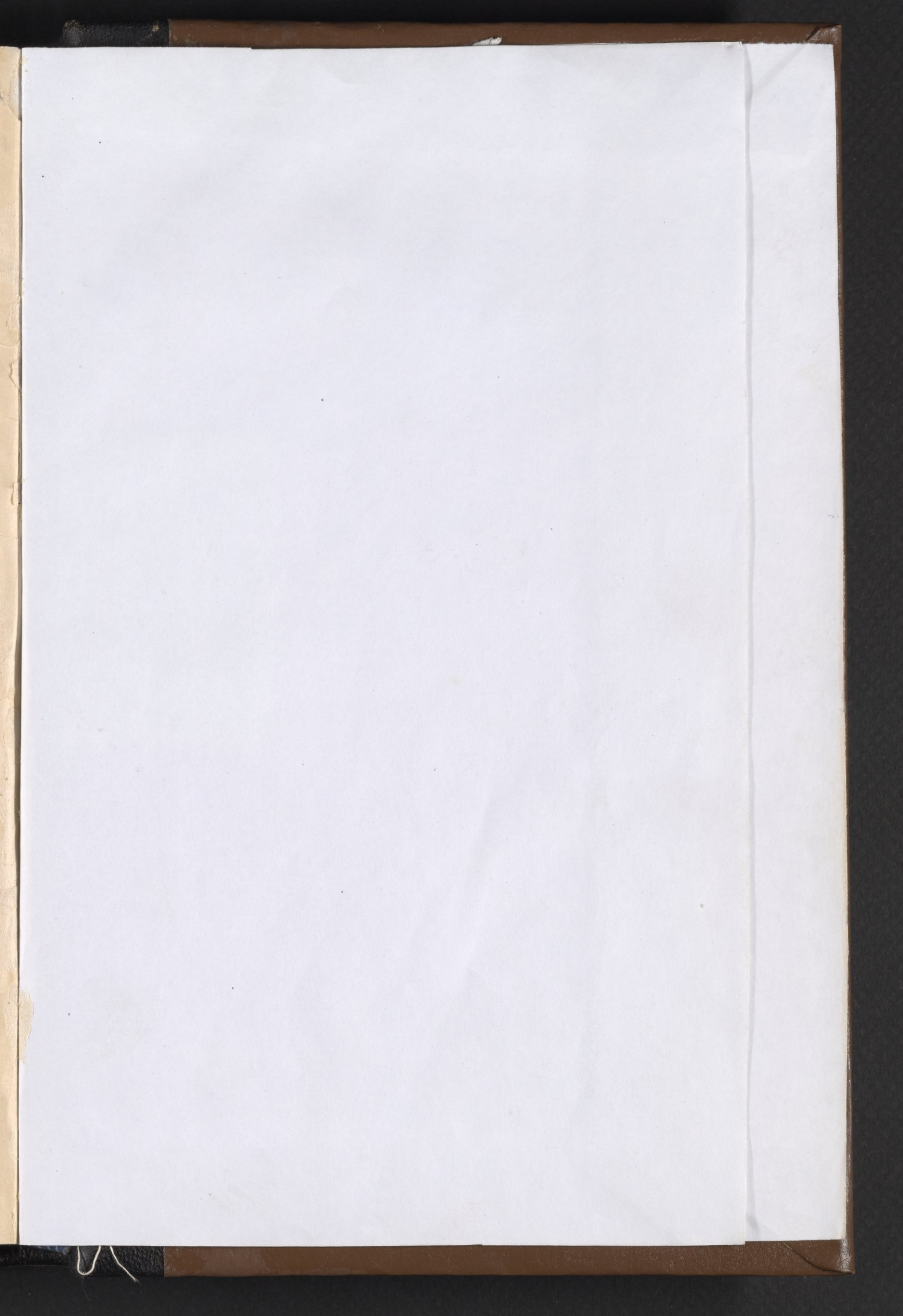














DD  
247  
H5  
A845

# هتلر في الميزان بقله عباس محمود العقاد



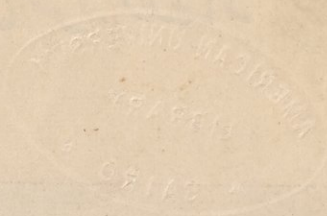
هتلر يوضح نفسه

مكتبة لايبنتس  
٢٢ شارع مصر القوي



923.243

H638a



9c3, 1ε3  
D-εε

21239



## مقابلة

في هذا الكتاب ما أنا بتماض ، ولا يسرنى أن أكونه  
لأننى لأحسن التسوية بين الخصمين في قضية الطغيان والحرية الانسانية .  
وأحمد الله أننى خصم قديم فيها منذ نيف وثلاثين سنة ، أى فى السن التى  
يراع فيها بعض الناس بمظاهر السطوة والافتحام ، والتى يخيل إليهم فيها أن  
الشجاعة والبغى شىء واحد ، وأن العزة هى إذلال الآخرين ، وأن بعد الذكر  
هو حسب الانسان من المجد ، ولو كان ذكراً بالفتك والشر والايذاء  
فمنذ نيف وثلاثين سنة كان لى شرف الخصومة فى هذه القضية الخالدة ،  
وكنت أبحث فى أعماق نفسى فلا أحس فيها غير المقت والازدراء لأولئك الذين  
سموهم عظماء التاريخ لأنهم طلبوا المجد والشهرة من طريق الغزوات والفتوح ،  
وقاسوا عظمتهم بمقدار احتقارهم « للانسان » .

وقد صدرت فى مصر كتب ومجالات أشاد أصحابها يومئذ بتهجيد هؤلاء  
العظماء وفى طليعتهم نابليون الأول ، فكتبت<sup>(١)</sup> أقول :

« . . . يعظم مثل نابليون فى عيون الهمل بقدر استهانتته بأرواح الناس ،  
وتكبر قيمة حياته بمقدار استصغاره لحياتهم ، وليس هو من قبيل أولئك العظماء  
الذين يكبرون وزان ما لهم من المقدرة على تهذيب الناس واصلاح شئونهم ،  
وليس فى طاقة العامى أن يتصور كيف أن رجلا يميت الألوف لا يكون أهلاً  
للجلال والتبجيل

(١) الجريدة فى السابع من شهر يوليو سنة ١٩١٢



« . . . نابليون رجل من مجانين المطامع ، أولئك الذين تملك عليهم الأثرة عقولهم فلا تدع فيها موضعاً لغير أطماعهم وشهواتهم . لا يدور بخلدكم إحساس لغيرهم أو أمل غير أملهم ، فلا يحسبون أن في الوجود أرواحاً تجب صيانتها غير أرواحهم ، أو أن لسواهم أملاً يحرص عليه كما أن لهم آماني وآمالاً

« . . . لقد جعلوا نابليون مثلاً لقوة الإرادة ، ويظهر أنها أقل صفات نابليون قبولاً للمنازعة في رأى الناس . على أنى لا أظن رجلاً يأتي مثل هذه الأعمال مطلق الإرادة أو مختاراً بآتم معنى الاختيار

« فالإرادة عند جماعة السيكولوجيين قوتان : قوة دافعة تغرى صاحبها بالاقدام وتهون عليه العوائق ، وتكون هذه القوة على نهايتها عند الجنون الذى لا يكاديههم بأمر إلا فعله ، ولا يتضح له نهج إلا سلكه ، غير متدبر فى العواقب ولا حاسب حساب العوائق

« وقوة مانعة تقعد بالنفس عن كل ماتهم به فلا يكاد صاحبها يقدم على أمر لفرط توجسه وكثرة ما يمثل له وسواسه من أسباب الفشل والخيبة ، وهى عند المرورين الموسوسين على أشد ما تكون

« والإرادة الصادقة هى الموازنة بين هاتين القوتين ، والمدورة بينهما آناً إلى هذه وآناً إلى تلك ، كما تقضى به الحال ، وآتم أشكالها حسن الترجيح بين الدواعى والموانع ، وتقديم عامل الاقدام فى موطن الاقدام ، أو عامل الاحجام فى موضع الاحجام .

« وما كان نابليون قوى الإرادة بهذا المعنى ، ولكنه كان رجلاً قوى طموح الأمل شديد اندفاع المطامع ، حتى لقد ينسى وهو ناهض إلى أمـله ما لا ينبغى أن ينساه المجرب الحكيم ، ولولا ذلك ما صرعت مطامعه صرعات ، آخرها تلك الصرعة التى أوقعته فى يد هدرسن لو »



ثم ختمت ذلك الفصل قائلاً :

« إن من طبع المرأة الضعيفة والولد الصغير أن يستكينا إلى القوة حيث كانت وهما اللذان يعجبان بالقوى ولا يطيقان أن ينظرا أثر قوته في نفع النوع الانساني والاضرار به . أما الناقد الاجتماعي فيجب أن يكون أبعد من ذلك نظراً وأصدق حكماً .

« وما أشبه أخلاق الجمهور بأخلاق المرأة والطفل . فانه لينتظر من يتأله عليه فيعبده ، وقد كان ذلك شأنه مع نابليون

« كان هذا الرجل يسبح في لجة من الدم والناس تنظر إليه فلا يعنيه من أمره إلا أن يشاهدوا براعته في السباحة .

« كان يهدم المدن ويدمر الأقاليم ويدك الممالك وهم ينظرون من كل ذلك إلى خبرته بصف المربعات العسكرية ، ودرسته على تنظيم المواقع واطلاق النيران

« لقد مضى زمان تلك العظمة . وحق على الكتاب في هذا العصر أن يعودوا الناس إكبار العظمة التي يجمل بهم إكبارها . . . »

\* \* \*

هذا ونابليون هو نابليون .

والفرق بينه وبين طغاة الحرب الحاضرة كالفرق بين المارد والأقزام .  
والخطر منه وهو في حوزة التاريخ ممتنع كل الامتناع ، إلا أن يكون خطر القدوة والايحاء .

فاليوم والخطر قريب ، والعالم قد مضى عليه مائة ونيف وعشرون سنة بعد حروب نابليون ، والناس يحق لهم أن يربحوا ولا يخسروا من تجارب هذه السنين ، لا يطيب لي أن أقضى اليوم حيث خاصمت بالأمس ، ولا أرى من واجب الكاتب أن يحكم ويقول : هذه أسباب الحكم ، بل أرى واجبه الذي لا واجب



له غيره أن يخاصم ويقول : هذه أسباب الخصومة ، وأن يتحرى الصدق في  
خصومته والاستقراء الصحيح في بيانه ، لأن الخصم الصادق في قضية الطغيان  
والحرية الانسانية أعدل من القاضى الذى لا يميل هنا أو هناك في هذه القضية  
والخصومة الصادقة هي التى أعدها القارئ في هذه الصفحات



# الفصل الأول

## مخلوق الطروف والمصادقات



تأمل السيف

١٢  
١١  
٨

تمهيد

كثيرا ما يكون النظر في حركة عالمية أو حرب عالمية ، بمثابة النظر في حياة رجل واحد هو الرجل الذي ابتعث تلك الحرب أو اقترنت باسمه تلك الحركة ، كما هي الحال في اقتران اسم هتلر بالحرب العالمية الحاضرة وهنا الصعوبة الأولى !

فما هو المقياس الذي نرجع اليه في تقدير رجل من رجال الحوادث أو رجال التاريخ ؟

تختلف المقاييس هنا أشد اختلاف ، ولكن ما من خلاف قط في أن المقياس الذي يعتمد عليه الذهن العامى أو يعتمد عليه جماهير الدهماء من الناس — هو أبعد المقاييس قاطبة عن الصواب وعن الانصاف لأنهم يعظمون الرجل بمقدار السيطرة التي في يديه ، أو بمقدار الضجة التي يثيرها من حوله

والخطأ ظاهر في كلا المقياسين

إذ الوصول إلى السيطرة مما يتاح ، في أيام القلاقل خاصة ، لأناس لا خطر لهم في سائر الأيام ، وليست لهم قيمة انسانية رفيعة إذا وزنوا بميزان الأخلاق والفضائل التي يعتز بها « بنو الانسان »



وقد وصل « باجي سقا » وهو ابن سقاء قاطع طريق إلى كرسى الامارة في بلاد الأفغان ، ووصل قاطع طريق آخر يجمل القراءة والكتابة إلى رئاسة الدولة في بلاد المكسيك وهو فرانيسكو بانشو ( ١٨٧٧ — ١٩٢٣ ) الذي اشتهر باسم فيفا فيلا<sup>(١)</sup> وشغل العالم الجديد في أيامه عن كل بطل وكل كوكب من كواكب الشهرة السياسية أو الفنية

وعلىنا أن نذكر أن الكفاءة الضرورية للوصول إلى السيطرة لا تقاس بحجم الدولة التي يسيطر عليها الرجل . فالروسيا ، مثلاً ، عدتها وعدة البلاد الخاضعة لها زهاء مائة وثمانين مليوناً من النفوس الآدمية ، ولا يلزم مع هذا أن يكون ستالين أقدر من مصطفى كمال بضع عشرة مرة . . . لأن الترك أقل عدداً من الروس بهذا المقدار

بل يتفق كثيراً أن يكون الوصول إلى السيطرة في البلاد الصغيرة أصعب من الوصول إليها في الدول الضخام ، كما يتفق كثيراً أن تكون قيادة الزورق الصغير أصعب من قيادة السفن « الراسيات في البحر كالأعلام » ومتى وصل الرجل إلى السيطرة في دولة كبيرة فما أسهل ما يشغل العالم ويشير الضجيج ويملاً الاسماع ! وما أعسر التغلب عليه واجلاءه عن مقعد الحكم ومرجع التصريف والتدبير !

ان الذي يحاربه يومئذ ليحارب الدولة بأسرها ، وانه ليجتاح إلى ثورة جائحة لاتندفع اليها الشعوب في كل لحظة ، ولا تجازف بها إلا في حالة القنوط . و ربما بلغت الشعوب حد القنوط بعد أن يكون حاكماً المسيطر عليها قد فارق الحياة فلا ضخامة الحوادث إذن ولا ضخامة الدولة ولا اتساع مدى السلطان بالمقياس الصحيح لكفاءات الرجال

(1) Francisco Pancho , Viva Villa



وانما المقياس الصحيح أن تفصل بين فعل الرجل وفعل الظروف التي لا فضل  
الله في خلقها ولا يد له في توجيهها ، وان ننقله من ظروفه لنعرف ما هو مستطيع أن  
يعمل وهو بعيد عنها

أو المقياس الصحيح هو أن نقيس ظل الرجل بعد نزوله من رأس القمة التي  
هو واقف عليها . فاعله لو وقف على الأرض ولم يقف على رأس تلك القمة لما ألقى  
من الظل بعض ما يلقيه سائر الناس

وما نعرف أحدا من الحكماء بأمهم في عصرنا هذا قد أفادته «الظروف»  
مثل ما أفادت أدولف هتلر زعيم النازيين على التخصيص  
فهو بحق مخلوق «الظروف» والمصادفات : لو انتقل من بيئته أو من زمانه  
أو من جيله لما تخيلت له شأننا كهذا الشأن الذي انتهى إليه



## مخبره الظروف والمصادفات

فلو رجعنا إلى موازين الدهماء لما كان مصطفى كمال شيئاً إلى جانب أدولف هتلر . قياساً إلى الفارق العظيم بين ما يقدر عليه حاكم الألمان وما يقدر عليه حاكم الترك في مجال السياسة العالمية

لكن الواقع أن القياس معكوس ، وأننا نجحف أبلغ الاجحاف إذ نسوى بين الزعيم التركي والزعيم الألماني فضلاً عن ترجيح هذا على ذلك ، لأننا في هذه الحالة نسوى بين من يعارض التيار ومن يحمله التيار ، وننسى أن مصطفى كمالاً نجح والدنيا كلها عقبات وسدود في وجهه ، وان أدولف هتلر نجح والطرق كلها مفتوحة بين يديه

فما من طائفة ولا حادثة وقعت في ألمانيا خلال الجليل الماضي إلا أفادت هتلر على عمد أو على غير عمد

وما من شيء كان عائقاً له إلا كان في الوقت نفسه عائقاً لألوف من ذوى الجاه والساطان يسعون لرفعه عن الطريق ، ويستفيد هو من سعيهم بغير مجهود كان الألمان جميعاً يطلبون تبديل الحال التي كانوا عليها بعد الحرب العظمى وكانوا في ذلك فريقين :

فريقاً يريد تبديل الحال للعود إلى ألمانيا القديمة : المانيا التي تسيطر على الدنيا وتتأهب للغارة الكبرى كرة أخرى ، وهم أصحاب المصانع والضياع والقادة والضباط ولا سيما الصغار منهم الذين ضاعت وظائفهم بضياع الجيش الألماني كما



ضاعت عليهم أحلام المجد والخيلاء  
وفريقاً يريد تبديل الحال لبناء الدولة الألمانية على أساس جديد ، وهم الفقراء  
والأوساط والعمال ، ودعاة الحرية وأعداء العهد القديم  
وكلا هذين الفريقين كان يضرب بمعوله في أساس النظام القائم ، ويفتح من  
وراء كل ضربة يضربها ثغرة في السد الذي كان يصد النازيين ويحمي عليهم  
مدارج الصعود

كان المحافظون من الأغنياء حائقين ، لأنهم فقدوا ما كان لهم من الجاه في  
الدولة القديمة ، وأصبحوا على خطر من الشيوعية والاشتراكية وسائر المذاهب  
الجمراء .

وكان الأحرار من أوساط الناس حائقين ، لأن هبوط أسعار النقد ضيغ  
ما ادخروه وضيغ ما يكسبون من رزق ضئيل  
وكان العمال حائقين ، لأنهم لا يجدون عملاً وقد بلغ عاطلهم في بعض السنوات  
سبعة ملايين .

وكان المظنون — أو كان الواجب — أن يحارب الشيوعيون هتلر وأشياعه  
كما يحاربون أعداء الخصوم

غير أنهم جروا على حماقتهم المهددة في ايثار الديمقراطيين والاشتراكيين  
المعتدلين بالعداء قبل كل عداء ، لأنهم يخشون من دعوتهم أن تنزع منهم جميع  
أنصارهم . ولا يخشون كما اعتقدوا ، في ذلك الحين ، أن يهجرهم أنصارهم ليلحقوا  
بالنازيين والمتشددين من أحزاب اليمين

واتفق من غرائب المصادفات في الوقت الذي ظهر فيه هتلر أن رجحت كفة  
ستالين في روسيا على كفة تروتسكي المبشر بتعميم الدعوة الجمراء في أنحاء العالم ،  
فقررت حكومة « السوفييت » أن تنفض يدها من الشيوعيين في البلاد الخارجية



فلا تمدهم بالمال والمعونة ولا تساعدهم بالدسائس ونشر الدعوة ، فما هي إلا أسابيع معدودات حتى نفذت أموال الشيوعيين الألمان وعجزت صناديقهم عن اطعام العمال العاطلين وعن بذل الاجور والمرتبات للموكلين بشئون الحزب والداعين إلى نشر مبادئه حيث يقدرون لها الرواج والاقناع . فتحولوا الوفا الوفا إلى معسكرات النازيين : إلى المعسكرات التي كان ملوك الصناعة في تلك الآونة يترعون صناديقها بالاتاوات والامداد ، ويهيئون لها شراء المعدات والأجساد بالطعمة والأزواد ! وأعجب من هذا أن تجيء المعونة بعد المعونة لهتلر وأشياعه من موظفي الدواوين وهم أيدي الحكومة وعيونها والمفروض فيهم أنهم أنصارها وأعوانها على أعدائها . ولكنهم كانوا — إلا قليلا — جنود العهد القديم وتلاميذ الاستبداد ، فبذلوا لهتلر وأشياعه قصارى ما استطاعوا أن يبذلوه ، وما هو بقليل

فلما قضى القضاء على هتلر بالسجن خمس سنوات (١٩٢٣) لأنه شهر السلاح في وجه الدولة وأقدم على العصيان — لم تمض عليه تسعة شهور في السجن حتى عفي عنه خلافاً لأحكام القانون التي تحرم العفو عن كل مجرم عائد سومح قبل ذلك في العقوبة ولم يتب عن مقارفة الاجرام ، وكان هتلر قد حوكم وحكم عليه قبل ذلك بالحبس ثلاثة « أشهر موقوفة التنفيذ » . فلم تحل هذه السابقة دون العفو عنه مرة أخرى ، بعد شهر قضاها فيما يشبه معيشة القصور ، بل لم يقبل المحلفون توقيع





هتلر وزملاؤه في السجن تلا حظ هدية الزهر التي كانت أمامه



الحكم إلا بعد أن أكد لهم رئيس المحكمة أن العفو صادر لا محالة ، فلا ضرورة  
لاظهار القضاء بمظهر المخالف لنص القانون الصريح

ولما تبين أن « الجنسية الألمانية » لا تشملها لأنه رعية الحكومة النموية  
احتالت وزارة برنسيك على الأمر بتعيينه في وظيفة « شرفية » تسمى وظيفة  
الاستشارة في تلك الحكومة Regierungsrat ليصبح الماني الجنس بحكم  
التوظيف ، وفاقاً لدستور فيمار الذي يشمل بالجنسية الألمانية كل أجنبي يشغل  
وظيفة في حكومات الولايات ، أو حكومة الريخ الكبرى

ويبدو من هذا وأشباهه مبلغ الاغضاء والاملاء الذي حف بهتلر وأشياعه وهم  
ينشرون دعوتهم ويهددون خصومهم ويستكثرون من أذئابهم ، آمنين مطمئنين  
لايجازفون ولا ييأسون من المعونة عند الحاجة اليها . لأن دستور فيمار قد الغى  
حكم الاعدام فلا خوف منه .. ثم لا خوف من السجن الذي يعقبه العفو بعد قليل

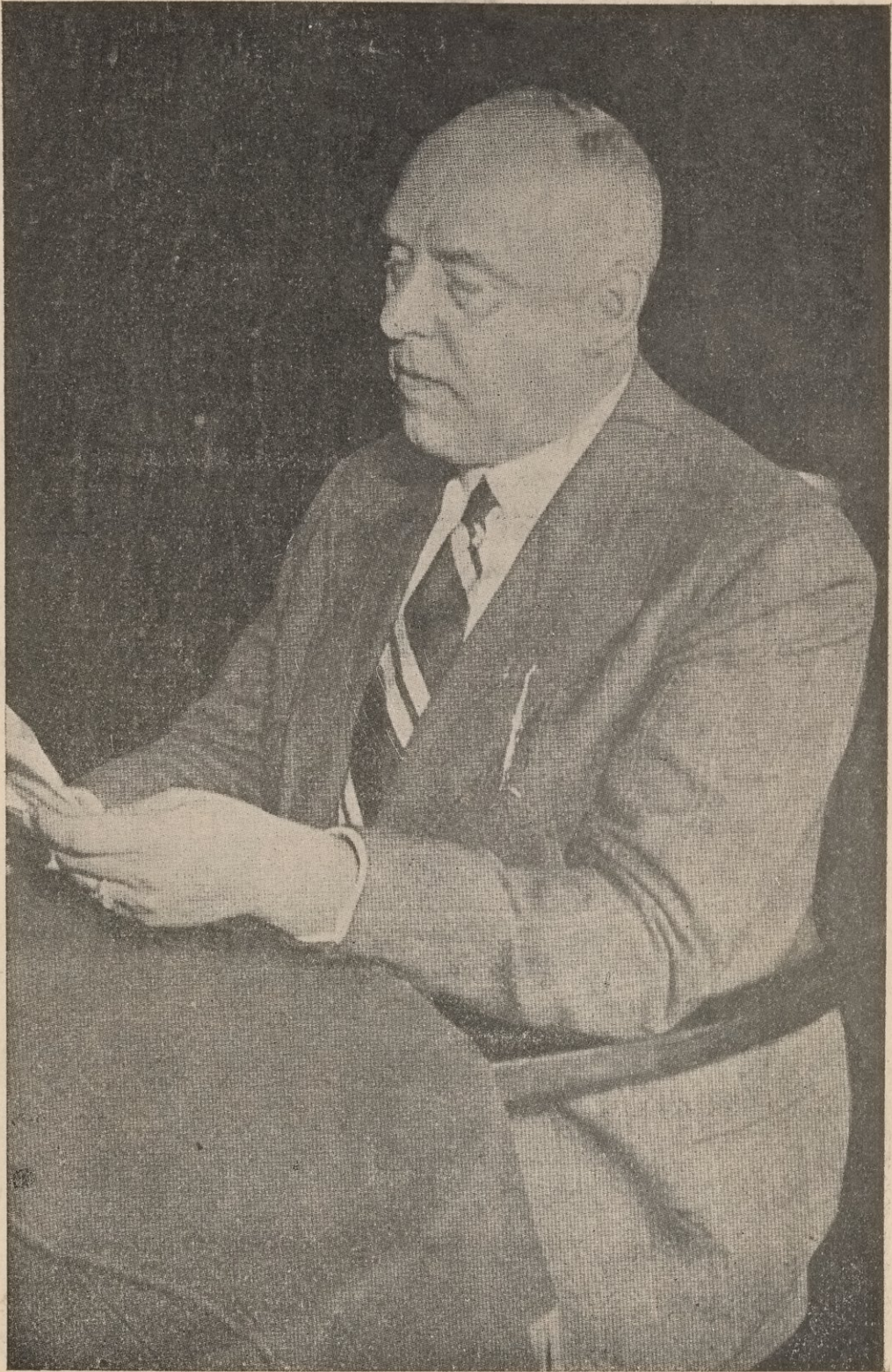
\*\*\*

ثم أتمت الدسائس في حاشية المارشال هندنبرج مابدأته الحوادث والازمات ،  
فانتقلت بهتلر من شعب الطريق إلى ديوان الاستشارة

وكان المارشال الكبير قد وهن واستسلم ، وثقلت عليه وطأة السنين ،  
فأصبح أرجوحة تتردد بين رجلين من دهاة زمانه : أحدهما أمين سره القديم  
الجنرال فون شليخز الذي قيل فيه أنه أحق بقيادة البحر « لبراعته في ارسال  
القذائف تحت الماء » . . وثانيهما فون پان الذي كان يساكن الرئيس هندنبرج  
في قصر واحد ، وقيل فيه أن قدرته على خداع المحترسين منه العارفين بخداعه أكبر  
من قدرته على خداع الوائقين به المطمئنين اليه !

كلا الرجلين كان يريد ان يضرب منافسه ويقضى على نفوذه وأن يستخدم





جريجور شتراسر مؤسس «النازي» في المانيا الشمالية  
وأحد ضحايا هتلر في المذبحة المشهورة



النازيين في مأربه لأنه لم يكن يستطيع أن يستخدم الديمقراطيين والاشتراكيين  
وسائر أحزاب الوسط والشمال

وكلاهما كان يريد السوء بالنازيين ويضمحلهم الغدر وأن يشطرهم شطرين بعد  
ارتقائهم مناصب الاحكام ، ثم يضرب أحدهما بصاحبه متى سنحت له ساحة قريبة  
وكثيراً ما كانت تسنح في تلك الأيام

لكنهما كانا مختلفين في الأسلوب وان اتفقا في نية الغدر والوقية ، فكان  
فون شليخر ينوي أن يرشح نفسه للاستشارة ويندب زعيماً من كبار زعماء  
النازيين لو كالة الاستشارة ، ثم يتقدم إلى الريشتاج فيقسم النازيين عاجلاً أو  
آجلاً بين هتار وبين الزعيم النازي الآخر ( وقد وقع الاختيار على جريجور  
شتراسر منشيء حزب النازي في المانيا الشمالية ) ... فينجل الريشتاج ويعاد  
الانتخاب ويخرج النازيون فريقين ضعيفين يزيدهما هو ضعفاً بساطان الحكومة  
الذي يقبض عليه بكتا يديه ، وهو مستشار الدولة

وكان فون پاپن يريد أن يكرر ما حدث في انجلترا من ترشيح المستر رمزي  
ماكدونالد لرئاسة الوزارة رجاء أن يضعف حزب النازي كما ضعف حزب العمال  
في البلاد الانجليزية ، فاقترح على المارشال الهرم أن يدعو هتار إلى تأليف الوزارة  
مع اثنين أو ثلاثة من انصاره الذين يرضاهم المارشال ، وقنع هو بوكالة الاستشارة  
معتقداً أنه يملك زمام الأمور بسيطرته على المارشال وتألبه مع سائر الوزراء

ولما ظال التنافس بين الخصمين فكر فون شليخر في الانتفاض وائتمر  
بالمارشال مع بعض القواد العسكريين وبعض رؤساء العمال الساخطين على النازيين  
وأحزاب اليمين . فاتفقوا على تدبير إضراب عام يجتمع فيه العمال وحامية بوتسدام  
ويزحفون على برلين فيتخذون من ذلك ذريعة للحجر على الرئيس الشيخ وإعلان





المارشال ہندنبرج بین ہٹلر و جورنچ

...ent, December 16, 1939



« حالة الطوارئ » والقبض على دفعة الحكومة باسم الضرورة القصوى التي تقتضيها المصلحة الوطنية

ونعى الخبر الى فون باين الساھر على حركات خصمه فأبلغه الى المارشال وأقنعه بوجوب الاسراع الى دعوة هتلر وإقامته على رأس الوزارة ، ولم ينس خطته الأولى التي أراد بها أن يحتفظ بأعنة الأمور في يديه ، فاشترط أن تكون له وكالة الاستشارة وأن يكتفى في مجلس الوزراء بعضوين اثنين من النازيين وهما الدكتور ولهم فريك والكابتن هرمان جورج

وقد كان له ما أراد !

إلا ان الحوادث قد خالفت ما قصد من تديره ، فجرت الانتخابات الجديدة بإشراف المستشار هتلر على الطريقة النازية المعهودة ، وصدرت المراسيم بحل جماعات الشيوعيين ، واشتد المرض بالمارشال الهرم فاصبح لا يعي ما يقول ولا ما يقال بلسانه ، ثم مات وتبوأ هتلر مكانه باسم زعيم الأمة ومستشار الدولة ، وأفلتت الأعنة من يدي فون باين فاتقاد لسائقه

على أن الدسائس ، من شليخر أو باين ، لم تكن هي جماع البواعث التي أكرهت هندنبرج على قبول هتلر في رئاسة الوزارة ، وعلى إبقائه فيها بعد ذلك الى أن كان منه ما كان . فقد أكرهه على قبوله باعثن آخران ، قد يصح أن يقال أنهما باعثن شخصيان

أهم هذين الباعثين أن هندنبرج كان يحذر المغالين من المحافظين أحزاب اليمين ، لأنه كان يعلم أنهم يكيدون للنظام القائم ويسعون الى إعادة الملك سيرته الأولى في سلالة هوهنزرن ، وكان هندنبرج - على نفوره الفطري من هدم نظام يقوم هو على رأسه - لا يحب في تلك الآونة أن يواجه العالم بالتحدي والمناجزة وما يتبعهما لاحالة من تصافر الدول على ألمانيا وذهاب كل أمل في تخفيف قيودها



واحسان الظن بمقاصدها . فاذا لم يكن بد من الخيار بين الملكيين أو الشيوعيين أو النازيين الذين لا يرحبون برجعة آل هوهنزلرن — فهؤلاء النازيون أولى بالتجربة ! ولا سيما اذا تكفل بكبحهم زملاؤهم في الوزارة من أصدقاء الظاهر أعداء السريرة

والباعث الثاني هو فضيحة الضياع الشرقية كما كانوا يسمونها في تلك الايام ، وخلاصتها أن الحكومة خسرت أموالا كثيرة من خزانة الدولة بذات جزافا لاناس من أصحاب الضياع الواسعة في بروسيا الشرقية معظمهم أصدقاء أو أقرباء أو جيران للرئيس ، وتهامس بعض النواب بهذه الفضيحة ثم لغطوا بها وطلبوا التحقيق فيها ، وثارت الثوائر حولها لوفرة الأزمين والملوكين والمتطلعين إلى قليل المال يجرمونه وهم يسمعون بالحكومة تسكيله جزافا لكبار الزراع وأصحاب الضياع

فغضب الرئيس على شليخر لأنه لم يفلح في اسكات تلك الأصوات ومداراة تلك الفضيحة ، وبدا له ان الحكم على طريقة النازيين بالقمع والارهاب وقطع الألسنة وكم الأفواه خليق أن يريجه من لغط اللاغطين وزعم من زعموا أنه قد أخذ لنفسه بعض ما قيل انه أعطاه الجيران والأصدقاء ، وهو زعم ظالم تكرر على السنة الشيوعيين ولم يثبت قط بالقول الوثيق .

ويرى بعض المطلعين ان هندنبرج ما كان ليطلق أيدي النازيين في قمع الشيوعيين وحل أحزاب المعارضين لولا انزعاجه الدائم من فضيحة بروسيا الشرقية وأقاويل أحزاب الشمال .

فهذا وذاك وغير هذا وذاك من دسائس الحاشية وطوارىء الزمن وقد مهدت كلها الطريق لهتلر ووضعت السلم تحت قدميه حيث يريد وحيث لا يريد .  
فاذا قلنا ان زعيما كمصطفى كمال قد هجم على التيار اللجبي فشقه بالعزيمة التي



تروضه والأيد الذي لا يباليه فإذا صنع أدواف هتار في تياره !  
لبس فيه عوامة النجاة ، ولم يدفع موجة واحدة من أمواجه ، بل ذهب مع  
الموج إلى مدى وثبتين من الساحل ، ثم وثب إلى الساحل في أمان .

\*\*\*



### أفكاره وأفكار غيره :

وكما حملت الحوادث هتلر على أثباجها إلى ذروة الحكم حملته كذلك الأفكار السياسية التي نشأت في قومه على عهده وقبل عهده بجيل أو جيلين ، فلم يتكرر قط فكرة واحدة من تلك الأفكار التي شاعت بين الشعوب الجرمانية وكان لها شأن في توجيه هذه الشعوب وجهتها الأخيرة ، ولم ترجع إليه صيغة واحدة من الصيغ التي دارت على الألسنة وكان لها شأن في اذكاء النخوة القومية واقناع السواد . وما أسهل ما يقنع « عقل » السواد ؟ ! انه ليمحسث عن يقنعه ، بل يمحسث عن يخذعه ، ولا يهرب إلا ممن يفتحون عينيه ويرشدونه إلى الحق الصراح .

فالجامعة الجرمانية<sup>(١)</sup> التي تغنى بها هتلر قد ظهرت في موطنه خاصة وقبل

مولده بنحو ثمانين سنة ، ودعا إليها الفيلسوفان هردر Herder وفيخته Fichte أوائل القرن التاسع عشر فأطنبا ما أطنبا في مزايا الجنس الجرمانى وفضله على سائر الأجناس البشرية وانه هو دون غيره شعب الله المختار المهيباً بالفطرة لمناجاة الأرباب ومكاشفة الأسرار ، وان لغته دون غيرها هي لغة الحكمة والفلسفة والعلم بمقائق الأشياء ، وان حكومته دون غيرها هي الحكومة التي قدرتها عناية الله لقيادة الأمم قهراً أو بالارشاد والاعزاء ، وما من كلمة تغنى بها هتلر في هذا المعنى إلا ومرجعها إلى محاضرات فيخته الأربع عشرة التي ألقاها ( سنة ١٨٠٧ )

(١) Alldeut<sup>5</sup>achtum



ووضع بها — من الوجهة الفلسفية — أساس تلك الدعوى التي يدعيها الجرمان .  
ثم ظهرت دعوة هر كلاس Her Class قبل الحرب الماضية وتجاوبت  
أصدائها في صميم البلد الذي نشأ فيه هتلر ونعني به لنز Linz من الأقاليم النمساوية  
واقترنت بهذه الدعوة دعوة مشابهة عُرُفت باسم أوربا الوسطى تارة (١)  
وباسم الزحف على الشرق تارة أخرى (٢) وشرحت شرحا وافيا في كتاب فردريش  
نومان Friedrich Naumann الذي كان يزعم كما زعم هتلر من بعده أن  
التهام أوربا الوسطى قديمتاى بمجرد الارهاب والاستعداد من غير حاجة إلى قتال  
أما قداسة الجنس الآرى فقد بشر بها الكونت دى جوينو الفرنسى في  
كتابه تفاوت الأجناس البشرية عند منتصف القرن التاسع عشر قبل أن يولد  
هتلر بنحوار بعين سنة ، وتبعه الانجليزى هوستون ستيوارت شميرلين Houston  
Stewart Chamberlain الذى تبحر من وبنى بيت فاجنر الموسيقى الكبير  
وألف كتابه أساس القرن التاسع عشر مشيدا فيه بالعبقرية الجرمانية رادا فيه كل  
حضارة وكل عظمة انسانية إلى ذلك الينبوع الذى لا ينبوع غيره — فى رأيه —  
للحضارات والعبقرات

والحركة النازية نفسها بجملمتها وتفصيلها ظهرت فى أوائل القرن التاسع عشر  
على يد رجل يشبه هتلر من وجوه كثيرة وهو Vater Jahn الخطيب المتهوس  
الذى نظم فى المانيا فرق القمصان الرمادية والأندية الرياضية ، وبلغ من جنونه أنه  
أشار باقامة السدود بين ألمانيا وفرنسا وبغرس الآجام التي تملأها الضياغم  
والسباع على حدود الأمتين صيانةً للدم الجرمانى الطهور من التلوث باوشاب الأمم  
الاجنبية ! وكانت الدعوة « التيوتونية » على لسانه تقابل الدعوة الآرية على  
لسان هتلر ، فكان يوصى أتباعه الشبان أن يتجسسوا على آبائهم فى البيوت

(1) Mitteleurope (2) Drag Nach osten



وزملائهم في المدارس ليردعوهم بالبطش والقسوة اذا خالفوهم في دين العصبية الجنسية Volkstum وطالما صاح كما يصيح النازيون اليوم أن الشرف هو السلاح وأن من لا سلاح له فلا شرف له Wehrlos ehrlös . . . . .  
وأن العنف أساس الخلق والكرامة ومناط الحكم والسياسة .

وعلى جهل هذا الرجل وفراغ عقله لم تتورع جامعات المانيا أن تهدي اليه ألقاب الشرف العلمية والفلسفيه ، ولم يتورع الأدباء والشعراء أن يهدوا اليه الدواوين والمصنفات ، تمجيداً له واعترافاً بسداد آرائه !! مما يدل على خليقة مستقرة في دخيلة النفس الجرمانية أن تهتز لأمثال هذه الصبيحة ، وأن تلبى أمثال هذه الدعوة ، ولا سيما بعد الهزائم والازمات .

ويقول فيلسوفهم تريتسكه Treitschke في تعلييل ذلك : « إن هذه الحركة العامية ذات جذور متأصلة في قرارة الخليقة الجرمانية ، فان قومنا طالما حنوا الى معيشة الفطرة الأولى ، فكلاما جاش في عروقهم الدم تديغت نفوسهم بدفعة العنف الطاغية ! »



كذلك عداوة اليهود لم يكن هتلر أول دعايتها والناخبين في نازها ، بل كانت مذابح اليهود في أوربا الوسطى وأوربا الشرقية أقدم من مولده بمئات السنين ، وكثيراً ما اقترنت تلك المذابح بأيام الفتك والمجاعة وشح الأموال . لأنها أيام ثور فيها الحفائظ ويضطرب فيها الحكم وتؤمن عواقب العبث والاعتقال .

كذلك الصليب المعقوف « شارة النازية » لم يخترعه هتلر بل اقتبسه من الجنود الألمان الذين عادوا به « من فنلنده » بعد ان حاربوا فيها الجيش الأحمر ، ولم يتغير منه إلا لونه الأزرق فقد سوده النازيون .

على ان حركة القمصان في ألمانيا الحديثة إن هي إلا نسخة مستعارة من حركة القمصان في ايطاليا الحديثة بإشاراتها وشاراتها . مع فارق واحد في تحيتها .



وهو أن السلام الروماني في روما معقول . أما في جرمانيا فهو حركة يد بغير مدلول .  
ولم تكن الفلسفة النازية من مبتكرات العصر الحديث ولا سيما في حملتها  
على الديمقراطية ووصفها الحاكم الجدير بأمانة الولاية . وإنما هي حكاية أو  
محاكاة للحكم التيموقراطي Timocracy الذي ذكره افلاطون وقال أنه نظام  
يسند الدرلة إلى من لهم عزم وحماسة ولا يسندها إلى ذوى الرأى أو ذوى السيادة .  
وأه يقوم على « الارادة » ولا يقوم على الرغد الذي تتوخاه حكومات الشعب أو  
على الرشاد الذي تتوخاه حكومات العلية والسروات

وصفة الرجل « التيموقراطى » كما لخصها افلاطون « أن يكون غليظا في  
معاملة العبيد خلاقاً للرجل المهذب الذى يترفع عن هذا الخلق ، وأن يخضع للسلطة  
ويحب القوة والمجادة ، وألا يتذرع إلى طلب الحكم بالفصاحة وما إليها بل يطلبه  
لأنه مقاتل تفوق في أعمال الفروسية واجالة السلاح . وهو كذلك يحب للرياضة  
والطراد »

\* \* \*

وأعجب مما تقدم أن هتار لم ينشئ الحزب الذى أصبح رئيساً له بعد ذلك بل  
أنشأه دركسلر Drexler و بضعة من رفاقه ، وأنه لم ينشئ فرقة واحدة من  
فرق الجيوش الأهلية التى راجت بعد الحرب الماضية لأحزاب اليمين وأحزاب  
اليسار ، كفرقة القمصان البنية أو فرقة الحرس السوداء أو غيرها من جيوش  
اليمين . بل أنشأها ارنت روه Ernest Roehm وفرانز سلدت Franz  
Seldt و بعض الضباط القداماء

وكان اسم الحزب الذى رأسه هتار حزب العمال الألمانين ، فندب من قبل  
الحكومة للتجسس عليه كما قال فى كتابه ، ثم اقترح على أثر انضمامه إليه أن





هتلر وأصحابه قبل زهو النجاح

يسمى الحزب الاشتراكي الثوري ، محاكاة للاشتراكيين الثوريين في روسيا الحمراء . فنفر زملاؤه من هذه التسمية ووقع اختيارهم بعد البحث والمشاورة على اسم « الوطنيين الاشتراكيين » ليمتسوا باسم « الوطنيين » إلى اجتذاب أنصار اليمين ، وباسم الاشتراكيين إلى اجتذاب أنصار الشمال ، وليصبح الحزب بهذه التسمية قابلا لاستغراق الألمان جميعاً في يوم من الأيام فمن أى وجه نظرت إلى الرجل لم يسمعك أن تحسبه زعيماً لألمانيا لأنه خلاق



حوادث أو خلاق أفكار ، ولم يسعك أن تحسبه زعيما لأنه أقدر من فيها وأشرف  
 من فيها ، وغاية ما يسعك أن تقوله على التحقيق أنه تقلد زعامتها لأنه « أنسب »  
 من غيره لظروفها ، وفرقٌ عظيم بين الأقدر والانسب ، لأن المرء قد يناسب  
 الظروف لنقص فيه كما يناسبها لخصلة من خصال الكمال والاقترار

*[Faint handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is mostly illegible due to fading and bleed-through.]*



### لا يخطئ :

أشاعت الدعاية النازية بعد احتلال وادي الرين والنمسا أن زعيمهم لا يخطئ ولا يتردد ، فاذا حان الموعد المقدور فلا يستأخر ساعة ولا يستقدم : كل شيء في أوان وكل شيء بحساب

فلننظر الآن ما هو ذلك الحساب : هل هو حساب عويص بعيد عن التقدير أو هو داخل في تقدير من يريد ؟

كل ما حسبه هتلر « أولاً » أنه يستطيع أن يهزم النمسا وأمثالها إذا أراد فتح بلادها و « ثانياً » أن الدول الأوروبية الكبرى لا تقدم على حرب عالمية في كل لحظة . فهل هذه معضلة وهل هذا حساب ؟

من البديهيات أن ثمانين مليوناً يهزمون سبعة ملايين ، ومن البديهيات كذلك أن دول العالم لا تهجم على الحرب العالمية في كل ليلة ونهار فأين هو الحساب ؟ وأين هي السياسة ؟

أما الحساب الصحيح أن يمضى هتلر في سياسته دون أن يوقظ خصومه ودون أن يلجئهم إلى عزيمة الحرب التي تردوا فيها .

أما أن يضرب النمسا في سنة ١٩٣٨ وتقع الحرب في سنة ١٩٣٩ فليس بشيء يعجز عقول الساسة المدبرين ، وليس هو بسياسة ، وإنما هو فعل سلاح

فإن كان قد فعل ما فعل وهو يعتقد أن الحرب لن تكون ، وأن الدول لن

تقدم عليها فذلك تقيض الواقع ، وذلك أفضل الحساب



وما من وزير في الدنيا يدخل في تقديره أن يحارب وأن يتورط في الحرب العالمية وألا يبالي عواقب هذه الورطة ثم يعييه أن يفعل كما فعل هتلر في النمسا وبوهيميا وغيرها

وأفضل الحاسبين يستطيع أن يفعل كما فعل هتلر إذا كان كل حسابه أن يؤخر الحرب سنة واحدة . ثم تأتي لاحالة !  
من الذي يعجز عن مثل هذا النجاح ؟

من الذي يعجز بثمانين مليوناً أن يهزم سبعة ملايين !  
كل المسألة إذن هي : هل يؤدي هذا الهجوم إلى الحرب أو لا يؤدي إليها  
وهاهو ذا قد أدى إلى الحرب عياناً لامن باب الظن والترجيح ، فأين هو  
الاعجاز في التقدير والتدبير ؟

هذا هو العجز بعينه في عمل السياسة ، وهذا هو سوء الحساب وليس هو  
باتقان الحساب

\*\*\*

ولننظر مرة أخرى في تقديرات هتلر وأصحابه قبل الحرب لنرى هل هي مثال  
السداد والاتقان ، أو هي خطأ ومجازفة من وجهة النظر النازية فضلاً عن وجهات  
النظر الأخرى

فهل إذا لم يضرب دانزيج بدلا من ضرب التشك قبل مؤتمر ميونيخ ؟  
لم يكن لبولونيا ضمان من دفاع فرنسا وبريطانيا العظمى في تلك الآونة ، ولم  
تسكن على استعداد للقتال وحدها كما ظهر بعد ذلك في الحرب الحاضرة

فإذا ضرب دانزيج وانفتحت الدول على خطة مثل خطة ميونيخ فانه لقابض  
اذن على زمام بولونيا وبلاد التشك وجاراتها جميعاً في مرافق التجارة والصناعة  
والاقتصاد ، فلا تقوى إحداهن على رد كلمة ولا على رفض اقتراح



ثم لماذا لم يقبل ما اقترحه الرئيس روزفلت وارتضاه ساسة الحلفاء من عقد المؤتمر الدولي الذي يفصل في جميع مسائل الخلاف؟

ألا يجوز أن تختلف الدول في ذلك المؤتمر فيواجهها مختلفات بدلا من مواجهتها متفقات؟ ألا يجوز أن ينتزع من أنصار التسليح في الدول الديمقراطية حججهم الكبرى التي أقاموها على رفضه التحكيم فلا سبيل إلى معاملته اذن بغير التسليح؟ ألا يجوز أن يعذره الرأي العام في الدنيا بأسرها إذا لجأ إلى الحرب لأنه قد أكره عليها أكرهاها بعد أن جرب وسائل الاقناع فلم يبلغ بها ما أراد؟

كل اولئك كان جائزا ، وكان خيرا مما اختار

وكل ما هنالك من اعتراض على هذا الرأي أن إطالة الزمن في المؤتمرات ربما مكنت الدول الديمقراطية من زيادة الاستعداد فماذا صنع هو الآن؟ هل منع ذلك الاستعداد؟ وهل استفاد شيئا من المبادرة بالحرب قبل تمامه؟

كلا . بل خسر أشياء كثيرة؛ خسر الوقت الذي كان يزداد فيه استعدادا بالتأمين والتخزين

وخسر الفرصة التي كان يوقع فيها الخلاف بين أنصار التسليح والدعاة الى نزع السلاح ، فلا يجمعون كما أجمعوا — من جراء خطته الهوجاء — على ضرورة التسليح جهدا المستطاع

وخسر البلاد التي اضطرت الى تركها للروسيا في أوروبا الشرقية وشواطئ البحر البلطي ، وقد كان طامعا فيها لامراء

وربما قيل أنه لا يبالي عواقب ذلك لأنه على يقين من خراب الروسيا بعد موت ستالين ، أو بعد الثوره الداخلية التي يتوقعها كثيرون

فان قيل هذا فقد كان أحرى أن ينتظر ذلك اليوم فيستريح من الحرب



الحاضرة ومن سرء السمعة التي جلبها على نفسه بصدقة الشيوعيين

\*\*\*

الحق أننا لانعرف في الحاكمين بأمرهم رجلا أفضل حسابا من هتلر في هجومه كل مرة على خطأ واحد يدفعه من ورائه الى أخطاء  
ولقد كان ذلك دأبه قبل ولاية الحكم وبعد ولاية الحكم ، ولا يزال دأبه  
الى الآن

فقبل الحكم أخطأ الحساب حين ظن أن الفرصة سانحة لقهر خصومه يوم  
عيد الميلاد ( مايو ١٩٢٣ ) فاختلس السلاح من مخازن جيش الهجوم ليضرب به  
العمال المتظاهرين ، ثم عاد الى تسليمه مدعنا لتهديد الضابط لوسو Lossow معترفا  
معه بما في هذه الحماقة من العجلة والمجازفة

وأخطأ الحساب من نوفمبر في تلك السنة حين ظن أن الفرصة سانحة لقلب  
الحكومة فجمع جنوده وأزمع أن يقتحم ديوان الدولة بميونخ ، وهو يعمل نفسه بولاء  
الحراس الحكوميين ويعتقد أنهم لن يطلقوا النار على المقتحمين ... ثم خاب ظنه  
فكان أول الهار بين عند انطلاق النار ، ولبث بعد هذه المجازفة الأخرى عشر  
سنوات يستعيد ما أضاع من ثقة ومن أنصار

وأما بعد الحكم فقد يكون في تفاصيل عمله خطأ وصواب . لكن الأساس  
الذي قام عليه العمل كله خطأ لا شك فيه ، وهو اعتماده هنا كما اعتمد في ميونيخ  
على أن خصومه لا يطلقون النار . . فقد ظن أنه يراوغ ويرaug الى غير انتهاء ،  
وأن الدول الديمقراطيةه تقبل التخدير بعد التخدير الى غير يقظة . فلم يصدق  
حسابه هنا ولا هناك



لماذا اختاروه ؟

وقبل أن نسأل : لماذا اختاروه ؟ ينبغي أن نسأل : من الذى اختاره ؟  
وما معنى اختيارهم إياه ؟

هل معناه أن ثمانين مليوناً من الألمان اجتمعوا قبل نيف وعشرين سنة  
فجمعوا أعواد رجالهم فرداً فرداً فلم يجدوا بينهم أحداً أصلح من هتلر للزعامة  
الألمانية ؟

هل معناه أن مؤسسى حزب النازى كانوا يملكون السيطرة على الأمة  
الألمانية بأسرها فيختارون من يشاءون ثم لا يقدر أحد على أن يرفض لهم أمراً  
ولا يسعه إلا أن يفرغ للزعامة التى نذبوه لها وهو يجهل مصيره ومصيرها ؟

هل معناه أن مؤسسى حزب النازى أصحاب ميزان لا يختل ولا يخطىء فى  
وزن الرجال فمن اختاروه للزعامة وجب أن يكون أفضل قومه بغير جدال ؟  
كلا بالبداية ! .. لا هذا ولا هذا ولا ذلك

فليس معنى اختياره قبل عشرين سنة أن الأمة الألمانية اختارته ، أو أن  
المؤسسين لحزب النازى فرضوه على تلك الأمة ، أو أنهم وزنوا الرجال جميعاً فلم  
يخطئوا الميزان

وإنما معناه الواقع أن خمسة أو ستة من المشتغلين بالسياسة نظروا فى متناول  
أيديهم فوجدوا هتلر موافقاً لهم وموافقاً للشروط التى يطلبونها



ومتى عرفنا تلك الشروط عرفنا قيمة ذلك الاختيار ، وعرفنا أن معظمها « سلبي » يستلزم النفي أكثر من استلزامه الاثبات ، أو يستلزم في الزعيم المطلوب تجرداً من صفات معلومة ، ثم يأتي بعد ذلك دور المزايا التي ينبغي أن يتحلى بها ويرجح بها على رفقائه

فالشرط الأول ألا يكون من طبقة النبلاء والأسرياء ، لأن نوبة السخط على هذه الطبقة قد بلغت أشدها بعد الحرب العظمى ، فهرب أمراء الولايات وقامت في دسوت الحكومة جمهرة من الصناع والمتوسطين ، وأصبحت كل حركة سياسية يتولاها زعيم من النبلاء والأسرياء متهمة بالرجعة الى القديم المكروه

وظل هذا الشعور غالباً على نفوس الألمان زمناً طويلاً بين أحزاب الشمال وأحزاب اليمين على السواء . فكتب الكابتن روهم صديق هتلر يقول : « لا ارتداد إلى العهد البائد . لا رجعة . لا معونة لنا تنتظر من أصحاب السعادات الدائرين ، وإما رجال عمل من جميع الطبقات ، وشبان قبل شيء . . . »

وهتلر كان فقيراً من طبقة أبناء الموظفين الصغار ، وكان في ذلك الحين لا يكاد يعدو الثلاثين ، وكان من صف الجنود فوق رتبة الجندي بقليل

والشرط الثاني أن يكون خالياً من الروابط الاجتماعية والأواصر البيتية التي تقيده بنزعة من النزعات ، أو تحول بينه وبين التفرغ لحياة المظاهرات وخطب الأرصفة والميادين

وهتلر لم يكن يخسر شيئاً بالتفرغ لهذه « الصناعة » التي هي خير من البطالة والفراغ ، ولم يكن ينقطع عن واجب بيتي أو واجب أبوي أو بنوي ، لغر بته وجفاء أهله وعجزه عن الزواج ، فهو يربح كثيراً من صناعة السياسة ولا يفقد الكثير ولا القليل .



والشرط الثالث أن يكون موافقاً للبيئة البافارية وهى بيئة محافظة قريبة إلى أحزاب اليمين ، لأن البافاريين تابعون للكنيسة الكاثوليكية ونهوذ الكنيسة بينهم عظيم . وبلادهم أصلح من غيرها لنشوء الحركات المعادية لأحزاب الشمال ، ثم هى بعيدة عن عاصمة الدولة الكبرى التى فيها سلطانها وهيلها وهيلمانها ، فلا يسهل تهديد النظام القائم فى برلين كما يسهل فى ميونيخ وهتلر كان كاثوليكياً فى نشأته وإن لم يكن من المتعبدين ، وكان مجنحاً فى جيش بافاريا ورائداً من رواد ميونيخ التى كانت تعد فى حينها عاصمة المصورين والموسيقيين ، وقد كان هتلر كما نعلم يتعاطى حرفة التصوير

\* \* \*

والشرط الرابع أن يكون « مهاودا » لزملائه أولاً يكون من أصحاب « الشخصيات الخفيفة المهيبة المرهوبة » التى يخشون اجتياحها وطغيانها وقد كان هذا الشرط متوافراً كل التوافر فى هتلر أيام نشأة الحركة النازية . فيجب أن ننسى هتلر الذى يصول الآن بقوة الدولة وقوة الزعامة التى لا منازع لها ولا نجاة لمن يعصها ، ثم نذكر هتلر الذى كان قبل عشرين سنة محتاجاً إلى كل شىء من مطالب المعيشة ومطالب السياسة ، وكان مشهوراً بالدهان والملق لمن فوجه ولمن يملكون أسباب نجاحه

وليس معنى هذا أن هتلر محروم من العزيمة والارادة فهو فى الحقيقة صاحب عزيمة وصاحب ارادة . ولكنها من نوع غير ذلك النوع الكاسر الذى يروع الناس لأول نظرة ، واهل عزيمة أشبه ما تكون بعزيمة المرأة الدؤب اللصاح التى تصل بالدأب والالحاح والعناد إلى ما تريد ، فهى لا تصدم من يراها أول مرة كما يصدمه المردة القهارون من أصحاب « الشخصية » الغالبة ، بل لعل الناظر يلحظ عليها التردد والجنوح إلى اللف والمراوغة ، فيحسبها طوع يديه حين تحزب الأمور



وقد أشار هتلر نفسه إلى شهرته بالتردد - بين وقف في الريشستاج على أثر مذبحه روهم ورفقائه لتسويغ ما فعله فقال إن المتأمرين قد غرهم به ما زعموه من «عجزه عن البت السريع عجزاً لا يشفيه إلا أن يضعوه أمام الأمر الواقع» وهذا ظن العشاء به وقد تسنم الذروة التي يستوى عليها الآن . فكيف بما كان عليه أيام الابتداء أيام الشك والترقب والافتقار إلى الأعوان إن تاريخ الزعامات السياسية لحافل بامثال هؤلاء الذين يختارهم زملائهم لأنهم أسلم جانباً وآمن شراً وأطوع قياداً ، ثم تتبدل الأحوال دفعة واحدة يوم يستقرون فينقلبون ذئاباً على من حسبهم ناعاجاً لا تفتك ولا تخيف

\* \* \*

تلك خلاصة الشروط «السلبية» التي كانت ترشح الرجل لزعامة النازيين ، وهي الشروط التي تستلزم صفات مفقودة وقلماً تستلزم صفات موجودة أما الشروط التي تدخل في باب «المزايا» الموجودة فهي الخطابة والحماسة والذكاء والاهتمام بالسياسة والالمام بالمعارف العامة ، وكانت موفورة في هتار لأنه خطيب جهورى الصوت شديد الايمان بالعصبية الجرمانية عظيم اللدد في الخصومة الحزبية ، ذكي اللب ملم بمبادئ الأحزاب المختلفة منذ صباه ونشأته في النمسا التي كانت كأنها « برج بابل » من الدعوات السياسية ، تتعالى فيه الصيحات بين المحافظين أنصار البلاط والأسر العريقة ، وبين الأحرار طلاب الاستقلال في الاقطار المختلفة التي كانت خاضعة لآل هابسبرج ، وبين أشياع الكنيسة ومعارضيهما ، وبين الاشتراكيين على اختلاف المذاهب والألوان ، وبين أعداء الساميين وأعضاء المحافل الماسونية والأندية السرية ، فكان حسب الرجل الذكى أن يفتح أذنيه ويفقه ما يسمع ليجتمع له من المعارف العامة والحجج المتقابلة والدعايات المتناقضة ما يكفي لسلوك الطريق في حركات الجماهير



وكان اجتماع هذه الشروط مع الشروط الأولى من أندر الأشياء ، ولا سيما في متناول النازيين وهم مبتدئون مستضعفون لم يبلغوا بعد مبلغ الهيمنة على عقول السواد ولا مبلغ الزنقى عند العلية وذوى الجاه والمال ، فلما التقى هتلر بالافراد القلائل الذين كان يعرفهم وكانوا يعرفونه لم يكن عجباً أن يرحبوا باختياره واجتماع ما اجتمع فيه من شروط الزعامة الحزبية ، فهو طلبتهم فيما يستطيعون بين تلك القيود ولم يكبر الحزب قليلاً حتى شعر رجاله أن زعيمهم في حاجة الى كثير من التشذيب و « التنجير » كما يقول العامة ، فأشار زميله فيدر Feder بتعيين مرافق له من الضباط العسكريين يدر به على تنظيم أوقاته وتقسيم ساعاته ، ونصحته آخرون بالاقامة في برلين فترة من الزمن لأصلاح لهجته الريفية بالمعاشرة والتردد على معاهد فن الالقاء ، وتقدم شيئاً فشيئاً فوكل به شاخت معلماً يلقنه أصول الاقتصاد وانتقى له الدكتور والترفونك Walther Funk الذى خلف شاخت في مركزه بعد وصول هتلر الى رئاسة الدولة . واتخذت مسألة تحضيره جانباً فكاهياً يشبه تحضير الممثل لدوره المرسوم . ولم يكن هذا مجازاً أو استعارة بل كان وصفاً حرفياً لما تعهدوه به من التدريب والتهديب . فقد كان معلمه الاكبر في بداية الحركة رجلاً مشغولاً بالاخراج المسرحى والرواية التمثيلية ، وهو الكاتب الالمنى البراق ديتريش ا كارت Dietrich Eckart الذى كان اسمه آخر كلمة خطها هتلر في كتابه « كفاحى » على سبيل التحية والتمجيد ، والذى اشتهر بالنزعة الآرية وبغض اليهود واتقان الهجاء اللاذع فيما يكتب وينظم . وقد تزداد علماً بمعنى اختيار هتلر للزعامة إذا علمنا الشروط التى كان أ كارت ينشدها في زعيمه وهى « ألا يكون ضابطاً لأن الناس أعرضوا عن الضباط ، وأفضل من ذلك صانع في كسوة جندى صغير ، وليس من اللازم اللازب أن يكون ذا رأس كبير ، لأن السياسة أسخف شغل في الدنيا ، وكل بائعة من نساء



السوق في ميونيخ تعي مقدار ماوعاه السادة في فيمار ، وخير من ذلك أن يكون الزعيم غيباً مزهواً يحسن الرد على الجماعة الحمر ( الشيوعيين ) ولا يجرى من كل رجل كرسي ترتفع لضربه . . . . . وتام الوصف المنشود أن يكون أعزب غير ذي أسرة فنجتذب اليها النساء » (١)

ويقول الذين عارضوا أسلوب هتلر في كتابه وفي خطبه بأسلوب اكارت هذا أن هتلر قد اقتبس منه عبارات بحر وفها وكلمات نموذجية من الفاظه التي طالما ردها في صحيفته ورسالاته ، وأنه اقتدى به في الكتابة والخطابة ، واحتذى حذوه في الرأي والطريقة

على أن الدكتور جورج شوت Dr Georg Schott أقدم المثقفين معرفة بهتلر يقول في وصفه « إنه تقيض رجل الدماغ . إنما هو رجل القلب ، رجل الدم ، مذياع الأحلام »

والدكتور شوت هذا كان هتلر يقول : « ليس كل منا نحن جميعاً إلا يوحنا صغير . . . . . إنني أترقب المسيح »

وطالما قال هتلر للقائد « لودندرف » إنه لا يريد الرئاسة ، وحسبه أن يصبح نافخ البوق . . . . . لأنه أحس أن القائد الكبير أخرى أن يتبوأ مكان هندنبرج ، وأنه هو حسبه أن يتبوأ معه مقعد المستشار . وقد استقال هتلر فعلا من زعامة النازي بعد سجنه ، وتولاه في تلك الآونة ياس عظيم فأزمع أن يصوم في السجن صيام ما كسويني ليسلك نفسه مع الشهداء . . . . . ولولا أن الحركة نامت في حينها نومة طويلة ولم يدع الأمر إلى انتخاب رئيس آخر لكان من الجائز أن تنطوي صفحة هتلر وهو مسجون

فزعامة هتلر على النازيين هذا معناها :

(١) من كتاب ترجمه هتلر لمؤلفه كونراد هيدن Heiden



معناها أنه وافق المطلوب في حدود الطاقة ، وأنه لما استقر في الزعامة لم يسهل  
اجلاؤه عنها ، ووجب أن يرأس الوزارة حين وجب أن يدعى حزبه إلى الديوان

\*\*\*

ومالنا بعد هذا وذاك لاختصر مسألة الزعامة الألمانية كلها بكلمات ؟ . . .  
لقد تأتي للمدعو « هاوسر » Hausser في ابان تلك الفترة أن يظفر بستين  
ألف صوت في انتخاب رئيس الجمهورية ، وأن يطبع صحيفة تباع بمائة ألف  
نسخة ، وأن يكون له اشيع ومر يدون يعدون بالألوف .

ومن هاوسر ؟

هو رجل لا تدرى أمجنون هو أم عاقل ؟ ودجال هو أم درويش ؟ فقد كان  
يسمى نفسه المهدي المنتظر ، ورئيس الولايات المتحدة الأوربية ، وينادى بأنه  
هو الحق وهو السبيل وهو الحياة

ومن يدري ؟ فاعله لو اتفقت له مصادفات كمصادفات هتلر ، وكان للدراويش  
نصيب من السياسة المصرية لغاز بلبق الفوهرر وسبق هتلر اليه ، لأنه هو أيضا  
كان يدعيه ويطلب من هتلر مبايعته عليه . . . وكم في الأيام من مضحكات ! . .

\*\*\*

إن ورقة النصيب لاتساوى عشر مليم ، ولكن كراتٍ ثلاثا أو أربعا تتفق في  
دولاب الأرقام كافية لاعطائها قيمة الألوف من الجنيهات  
وكذلك تتفق أربع صفات أو خمس صفات متفرقات فيصبح الفرد من الافراد  
في قوة عشرات الملايين

وليس حتما من أجل هذا أن يعد هتلر فردا كسائر الافراد

وإنما الذي تقصده أن ننبه المدهوشين المستعظمين حين يسألون : أجندي لم



يرتق إلى صفوف الضباط يرتقى آخر المطاف إلى ذلك المكان الرفيع ؟  
إذ ليس لهذا الاستعظام موضع صحيح . لأن الرتبة الصغيرة لم تكن هي العقبة  
التي كان عليه تذليلها ، بل كانت هي المزية التي ذلت أمامه جميع العقبات ، وهي  
الصخرة التي قام عليها جميع ذلك البناء



### سياسة هتلر :

من الأوهام الشائعة أن ألمانيا لم تنجح في ضم السار والرين والنمسا وبلاد  
السوديت ، ولم تحطم ماحطمت من قيود معاهدة فرساي ، إلا بفضل القوة القاهرة  
التي أضفاها عليها هتلر في مدة حكمه .

وهذا خلاف الواقع المؤيد بالأسانيد

فان هتلر قد احتل وادى السار بعد الاستفتاء المتفق عليه ولما يمض على  
إعلانه التجنيد الاجبارى غير ثلاثة أشهر ، ولم يكن خط سيجموند مبنياً في ذلك  
الحين .

ومصطفى كمال لم ينفق جزءاً من ألف من ربوات الملايين التي أنفقها هتلر  
على التسليح ، واستطاع مع ذلك أن يفتح الآستانة فتحاً ثانياً وفيها جيوش  
الحلفاء ، وأن يعيد إليها الحصون التي منعت اقامتها بعد هزيمة الحرب العظمى ،  
وأن يلغى الامتيازات الأجنبية والمعاهدات التي سبقت ألمانيا الحديثة ونشأت  
من أيام سليمان الكبير

ولما أغار هتلر على النمسا كانت غارته هذه تضارب السياسة الايطالية  
والسياسة الروسية كما كانت تضارب السياسة الفرنسية والسياسة الانجليزية ، ولم  
تكن دولة واحدة في أوروبا الشرقية أو أوروبا الوسطى تستريح إلى وقوع النمسا  
في قبضة السيادة النازية ، فهل يقول عاقل أن هتلر قد نجح في غارته بقوة تفوق  
هؤلاء جميعاً في ميدان القتال ؟



كلا . ليست المسألة إذن مسألة القوة والاستعداد ، ولم ينجح مصطفى كمال ولا هتلر فيما صنعاه لانهما أقوى من الدول التي كانت تأبى ما صنعاه ، وإنما سر المسألة كله صعوبة الاقدام على حرب عالمية سواء كان المقدم عليها من الحكام الدستوريين أو من الحكام المستبدين

فالذى صنعه هتلر إذن هو أنه غير هذه الحالة بسياسته الخرقاء ، وجعل الصعب سهلاً على الدول في مدى ثلاث سنوات . . . وما ثلاث سنوات في تواريخ الأمم وحوادث الدنيا ؟ ؟

فهتلر لم يكن قويا يوم أحجمت الدول عن حرب به ، ولم يكن ضعيفا يوم رفضت عنها الاحجام ولم تجد بين يديها مناصا من الاقدام . بل كان أضعف ما كان . وهي محجمة عنه ، وكان أقوى ما كان وهي مقدمه عليه فليست القوة اذن هي التي أكرهت الدول على تركه وشأنه يفعل في السار والرين والنمسا والسوديت ما يريد

وإنما كانت هناك حالة إغضاء فغيرها هتلر بحالة المقاومة والعداء فان كان هذا ما أرادة فقد نجح

لكنه يكون في هذه الحالة أخرق من عرفت الدنيا من سياسة الأقوام ، لأن أحداً من السياسة الراشدين لا يعمل بيديه ولا يبذل كل ما يملك لتأليب أعدائه عليه ، ولو كان على يقين من الظفر الأخير ، فكيف والظفر مجهول ؟ وكيف وهو بعد تحقيقه لا يضمن لصاحبه النجاح فضلا عن دوام النجاح ؟ كلا ! ليست سياسة هتلر هي التي أتاحت له أن يفعل ما يشاء ، بل سياسة هتلر هي التي جمعت الخصوص على منعه ، وأقنعت الأمم — قويا وضعيفا — أن كل مسلك مع هذا الرجل غير المقاومة والمصادمة لا يفيد



وليس بصحيح أن ألمانيا انتظرت مكتوفة اليدين حتى أراحها هتلر من  
أثقال المغارم والقيود التي فرضتها المعاهدات

فقد أعلنت الحكومة الألمانية في سنة ١٩٣١ أنها لا تدفع شيئا من المغارم  
والتعويضات ثم جاء مؤتمر لوزان فأعفاها منها كل الاعفاء .

وقد تمت في ديسمبر سنة ١٩٣٢ قواعد الاتفاق الخامس على التسوية بين  
ألمانيا والولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا في شروط التسليح والضمان

واستطاع المستشار هنريش بروننج Heinrich Bruning أن يتفق مع  
مندوبي إنجلترا والولايات المتحدة وإيطاليا على إباحة توريد السلاح وتحسين  
الحدود وزيادة الجيش الى ثلثمائة ألف في وقت السلم ، وإجازة تدريب الجنود  
«المرابطين الى جانب الجيش القائم ، ومد الخدمة العسكرية الى خمس سنوات . .  
ولم تبق إلا موافقة السفير الفرنسي لابرام الاتفاق . فما الذي حال دون إبرامه  
قبل استقالة بروننج من استشارة الريخ ؟

العجيب أن الذي عطل هذا الاتفاق هو فون پاپن وأصحابه الذين كانوا  
يعملون لاسقاط بروننج ودعوة هتلر الى الوزارة ! . . فانهم اجتمعوا بسفير  
فرنسا وأبلغوه أن بروننج ذاهب لا محالة فلا فائدة ترجى من تضييع تلك  
الهبات على وزير يوشك أن يستقيل ، وأن « أناسا متطرفين » يوشك  
أن يتهجوا في ألمانيا سياسة العدا والتحدى فلا يحسن التعجيل بتلك الهبات  
قبل جلاء الحال (١)

وكأنما أحس هؤلاء الساسة أن نجاح بروننج يقضى على آمالهم ويفض  
الشعب عنهم ويمنح بألمانيا الى طريق غير طريقهم فأفسدوا عليه وعلى أمتهم

(١) كتاب فرانز فون پاپن تأليف Blood Ryan



الامر ، وأحبطوا عمله ليقتنعوا الشعب بضرورة التحدى والعداء

وصفوة القول أن استنزاف الثروات والجهود والتسليح والتهديد لم يكن  
لازماً لقضاء مطالب من المطالب النافعة ، وأنه على فرض نفعه لم يكن مضمون  
العواقب مأمون المصير

فليس من المحقق أن مصالح المانيا أو مصالح العالم تستلزم تلك الأعمال  
العنيفة التي لا يسلوها هتلر ورفقاؤه . ولكن من المحقق الذي لاشك فيه أن تلك  
الأعمال جميعاً توافق طبائع اناس مفطورين على العجرفة والقسوة والغدر وتمرد  
الدليل الذي يرضيه أن يهدد ويتوعد ، ولو لم تكن ثمة ضرورة للتهديد والوعيد  
وكل عمل من أعمال هتلر ورفقاؤه نستطيع أن نفهمه إذا فهمنا الحاجة إلى  
العجرفة والقسوة والغدر والتمرد وسائر تلك الصفات ، فليس في عمل منها إذن قليل  
ولا كثير من الغموض

لكننا لانستطيع أن نفهمه إذا قيل أنه لازم للمصالح العالمية والمطالب القومية  
كأئنة ما كانت . لأن لزومها مشكوك فيه ، ونجاحها كذلك مشكوك فيه

وإذا كان التفسير الجامع المانع للأعمال المتفرقة المتعددة هو التفسير الصحيح  
القريب إلى المعقول . ففما تقدم بيان حقيقة البواعث الباطنة التي تستفز  
أولئك الناس إلى الجرائم التي يقتربونها ثم يزعمونها من مصالح العالم أو مصالح  
الامان

وإنك لتسأل : لماذا اعتدى هتلر على الضعفاء وقتل الخسوم والأصدقاء  
واختار الارهاب والارغام دون الاقناع والارضاء ؟؟ فإذا أجبت : انه فعل  
ذلك لانه مجرم النفس لم تجد عملا من تلك الاعمال يناقض هذا السبب في بدايته  
أو منتهاه



ولكنك واجدٌ مئات النقائض إذا قيل لك أنه قد فعل ما فعل لجد ألمانيا  
أو لجد الآريين ، أو لاشباه هذه التعلات ، ولا ينفي هذا أن أعماله ليست كلها  
جرائم وفضاعات ، فان المجرمين يعملون في حياتهم أشياء كثيرة غير الاجرام ، ولا  
يتنفسون الاجرام شهيقاً وزفيراً في اليقظة والنام



هتلر يخطب



# الفصل الثاني

## مطالب المانيا وشكاياتها



## مطالب ألمانيا وخطاباتها :

إلا أننا نبحث مطالب ألمانيا وشكاياتها بحثاً منفرداً عن الاعتبارات السابقة لئرى مقدار ما تنطوى عليه من الحقيقة ، ومقدار ما تثيره من السخط المعقول في نفوس الألمان ، وأولها الشكاية الكبرى بل الشكاية الجامعة لكل الشكايات ، وهي معاهدة فرساي .

لقد أكثر الألمان عامة والنازيون خاصة من تعديد مساوىء فرساي ومظالم فرساي وجرائر فرساي حتى خيل إلى الناس ان هذه المعاهدة كان ينبغي أن تكتب لمصلحة المغلوب لا لمصلحة الغالب ، ولسلامة ألمانيا لا سلامة خصومها . ولم يقتصر نقد فرساي على الألمان والنازيين ، بل تعداهم إلى الانجليز والفرنسيين والامريكيين ، ومن وقفوا في الحرب الماضية موقف الحيده بين المسكرين ، وقد كان هؤلاء الناقدون ممن يعتقدون حقاً ان معاهدات السلام اشتملت على جميع تلك المساوىء التي أحالوها عليها ، أو ممن يعارضون حكوماتهم وينصحون بسياسة غير سياستها ، فيحجبون أن يلقوا على عواتقها تبعات الحوادث والمشكلات العالمية ويمنون الشعوب مستقبلاً خيراً من الماضى الذى يسألون عنه تلك الحكومات . هذا أو يكون الناقدون للمعاهدات السلام ممن يسخرون أقلامهم للنازيين وأشباه النازيين ، ليساعدوهم على التغيير والتبديل وتحقيق المطالب والمقترحات . وليس وجود هؤلاء المأجورين بالغريب إذا ذكرنا الملايين التي كان النازيون وأمثالهم يبذرونها في جميع الأقطار .



ومعاهدة فرساي قد اشتملت ولا شك على اخطاء كثيرة وعيوب كبيرة ،  
أكبرها فيما نعتقد خطأ المغارم والتعويضات التي فرضتها على الألمان . فان هذه  
المغارم والتعويضات خطأ من الوجهة الاقتصادية الفنية وإن كانت عدلا من  
وجهة الجزاء والحساب ، لأن الألمان اذا حاولوا أن يؤدوها نقدا لم يجدوا المال  
بغير تجارة خارجية ، واذا أغرقوا الأسواق الخارجية بمصنوعاتهم وبضائعهم كانت  
خسارة الظافرين من جراء هذه المنافسة أعظم من خسارتهم بفقد التعويضات ،  
واذا أرادوا أن يؤدوها عينا وبضاعة كسد ما عند الظافرين من عين مماثلة  
وبضاعة مشابهة للبضاعة الالمانية

ومثل هذا الخطأ وشيك أن يظهر ، وقد ظهر . فابتدأ الظافرون باصلاحه  
على طريقة داوس Dawes ثم على طريقة يونج Young وكتنهما ترمى الى التسيط  
والاعفاء والتأجيل ، ثم عدلوا بته عن المطالبة بالفروع والاصول واكتفوا بما  
أخذوه ، وهو نحو الثمن من المطلوب مما أعانهم على تعمير الخراب وتجديد العالم  
بضع سنوات ، وانتهت هذه المسألة في مؤتمر لوزان ( سنة ١٩٣٢ )

فمسألة التعويضات كانت خطأ ولم تكن ظالما ولا عنتنا من الظافرين ، اذ  
ليس بالمعقول أن نعزم هؤلاء الظافرون ماغرموا من تكاليف الحرب ومن  
تخريب الأرض وتدمير المناجم ودور الصناعة ثم يعمرها هذا الخراب بأموالهم  
وجهود أبنائهم والالمان المهزومون ناجون في ديارهم لم تخرب لهم مدينة ولم يتعطل  
لهم مرفق أو صناعة ... ولو جاز هذا لكانت الهزيمة في الحروب خيرا من  
الانتصار

\*\*\*

كذلك أخطأت معاهدات السلام في تقسيم بعض البلاد وترسيم بعض



الحدود ، ولكنه لم يكن بالخطأ الذي لا يعتذر ولا بالخطأ الذي يسهل اجتنابه في مثل ذلك العمل الجسيم

فقد كانت أمام المؤتمرين مسائل متراكمة لا تخلص من ناحية إلا اشتبكت من نواحي شتى : ان خلصت من ناحية اللغة والجنس اشتبكت من الناحية الجغرافية ، وان خلصت من هذه جميعاً اشتبكت من ناحية التجارة والثروة ، وان خلصت من هذه وتلك اشتبكت من ناحية الخطط الدفاعية والمواقع العسكرية ، وان خلصت من نواحي اللغة والجنس والتجارة والدفاع اشتبكت من ناحية النزاع بين الدول الكبرى على مناطق النفوذ أو على مراحي السياسة العالمية أو على الاحقاد التاريخية أو ماشا كل ذلك من العقد المؤرّبة التي لا تحصى . فاذا أخطأت المعاهدات فهو خطأ مفهوم ليس في وسع أحد — حتى هذه الساعة — أن يدل الدنيا على صواب في موضعه يقنع جميع الشاكين وينصف جميع المظلومين ويبطل جميع المنازعات

وقد رأينا أمثله مما فرضه الالمان الغالبون على روسيا في معاهدة « برست ليتوفسك » وعلى رومانيا في معاهدة بوخارست وعلى المغلوبين الآخرين الذين لم يرمو معهم صلحا ولا سلاما فاذا الرحمة كل الرحمة فيما فرضته فرساي وأنفذه الخلفاء من الشروط ، واذا الالمان يقولون ويفعلون دائماً كما قال غليوم الثاني في ميداً الحرب الماضية : ويل للمغلوب !

ولو أننا نظرنا الى فرساي من حيث الأثر الواقع في المانيا لوجدنا أن فرساي هذه كانت خيرا للالمان من فرساي التي خرجوا منها منتصرين في حرب السبعين فقد كان قصارى ما بلغه الالمان في حرب السبعين أن خرجوا منها أمارات متفرقات على كل امارة منها عرش وتاج وفي كل منها حكومة ودستور . . . فأصبحوا بعد فرساي الحديثة دولة واحدة لا فوارق فيها بين الامارات



وقد لبث الألمان المنتصرون أربعا وأربعين سنة حتى استعدوا للحرب الماضية ولم يلبث الألمان بعد فرساي الحديثة عشرين سنة حتى أصبحوا على أهبة القتال في عدة سابقة لم تكن تملكها دولة منتصرة في الحرب الماضية

سأل « الجنرال » جورنيج سفير بريطانيا العظمى السير نيفل هندرسون عند ذهابه لأول مرة إلى نورمبرج (١٩٣٧) : من من الدول كان أعظم رجحا في الحرب العظمى ؟

فأجاب السفير : إنها هي إيطاليا لأنها ضمت إليها حدودها الجغرافية والعسكرية ثم الأمم الصقلبية بعد إيطاليا

فقال جورنيج : « كلا . بل هي ألمانيا . إذ هي لولا تلك الحرب ولولا الهزيمة فيها لكانت وحدثها ضربا من المحال »

وهذه هي الحقيقة التي لا يجهلها زعماء النازيين ولا ينبغي أن يجهلها أحد ممن يعرضون بالنقد لمعاهدة فرساي الأخيرة

على أننا نقارن بين فرساي الأولى وفرساي الثانية فيخطر لنا سؤالان لافكك منهما وهما : لماذا انهزمت فرنسا في فرساي الأولى فانتهدت من الهزيمة إلى تحطيم الاستبداد وتعزيز الحرية والحكومة الديمقراطية ؟ ولماذا انهزمت ألمانيا في فرساي الثانية فانتهدت إلى هدم الديمقراطية وتمكين صرح الاستبداد ؟

للأمر سر غير فرساي وكل ما انطوت عليه معاهدات السلام ؟  
للأمر سر مكشوف هو طبيعة الاستبداد ومطامع المستبدين في البلاد الألمانية ولا سيما البلاد البروسية

فقبل فرساي كانت المطالب التي تطلبها ألمانيا الآن محققة بأجمعها ولم يكن لمظالم فرساي ولا لمعاهدة فرساي أثر

كانت معها دانزيج ، وكان معها مجاز دانزيج ، وكانت معها المستعمرات ،  
(٤)



وكانت معها شواطئ البحر البلطى ، وكانت معها الالزاس واللورين ، وكانت معها عواطف الشعوب التي انقلبت إلى الشك فيها بعد قيام الحركة النازية

فماذا أغنى عنها كل ذلك ؟

لم يغن شيئاً ولم يمنعها أن تنادى بالسيطرة العالمية ، وأن تعمل لبسط هذه السيطرة على الأصدقاء والأعداء

ففي سنة ١٩١١ لم تكن هنالك مظلمة من مظالم فرساي ولاهزيمة كاذبة أو صحيحة، ولكن الجنرال فرديرش فون برنهاردي Friedrich Von Bernhardi ألف يومئذ كتاباً عن « ألمانيا والحرب القادمة » أوجب فيه الحرب على قومه وعقد منه فصلاً عنوانه « السيطرة العالمية أو السقوط »

وكان مكسميليان هاردن Harden كاتب صحيفة دي زكونفت Die Zukunft يقول قبل ذلك بسنة في صحيفته<sup>(١)</sup> « نحن خلقنا للحرب . فلنصنع الحرب صنماً قبل فوات الأوان »

وكان الدكتور كلاس رئيس العصبة الجرمانية يقول قبل الحرب الماضية بسنة : (إن قوة ألمانيا العسكرية تستخدم حينما نتعرض نحن أو يتعرض جيراننا للمنافسة من ذوى النيات السيئة ، وإن شعبنا الذى يسرع فى نموه يجب أن يقرر حقه فى الوجود وأن يبسط يده على أرض جديدة فى أوربا الشرقية الجنوبية على الخصوص )

وكان كارل بيترز Karl Peters مدير الاستعمار السابق يقول حوالى ذلك التاريخ : (ماذا كان بسمارك صانعاً لو كان معنا الآن ؟ لقد كان دائماً على استعداد

---

(١) ٧ أ أكتوبر سنة ١٩١٠



للمغامرة باضرام الحرب العالمية في سبيل تحقيق مراميه ، ولا مناص لألمانيا من أن تكون على استعداد لمثل ذلك في كل حين »

وكانت صحيفة الجامعة الألمانية دي بوست Die Post تنذر بريطانيا العظمى ( في سنة ١٩١٢ ) أن تترك للألمان الحرية المطلقة في السياسة الأوربية وتقرهم على كل تضخم لقوتهم في القارة — أى أوربا — سواء نشأ هذا التضخم من محالقات مع دول أوربا الوسطى أو من الاغارة على فرنسا ، وألا تعارض سطاتع المانيا الاقتصادية في البلقان أو آسيا الصغرى <sup>(١)</sup> »

وكانت صحيفة « من برلين إلى بغداد » تملأ الأذان قبل أن يتعلم هتلر معنى التوسع والامتداد

وكان هتلر يحلم في صباه — كما قال في كتابه — بسطوة الجرمان وسيطرة الدولة الجرمانية دون أن يكون باعته إلى ذلك غيظه المحتدم من فرساي ومظالمها الصحيحة أو المفتراة

وثقافة الألمان فضلا عن صحافتهم وأقوال ساستهم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين طاخحة كلها بهذه النعرة التي لا ينكرها القوم ولا يسعهم أن ينكروها : القوة ! ومعنى القوة الغطرسة ! ومعنى الغطرسة السيادة والعدوان . فهم ظلموا معاهدة فرساي ولم تظلمهم معاهدة فرساي ، ولعل الحلفاء قد بالغوا في الثقة بالمانيا ولم يبالغوا في الخذر منها والتشديد عليها ، فلورفوها عنها بعض الترفيه لعجل ذلك بالحرب الحاضرة ولم يؤجلها ، ولحسبته ألمانيا غفلة من الظافرين ولم تحسبه لهم في سجل الحسنات

(١) تراجع هذه الشواهد وكثير من أمثالها في كتاب « وثبة المانيا » لمؤلفه

ارنست هامبلوش nGermany Rampant by Ernest Hambloch



### نظرة أخرى في المطالب الالمانية

ونستقصي الموضوع من جانبه الذي تمثله الدعوة النازية فنفرض أن المطالب الألمانية لم تكن مطلوبة قبل معاهدة فرساي ، وننظر إلى الذرائع التي يتذرع بها النازيون في يومنا هذا إلى تحقيق تلك المطالب . فهل هي ذرائع صادقة ؟ وهل هي مما يؤخذ على ظاهره ؟ أو يمكن أن يجاب والعالم مطمئن إلى عقباه ؟  
أهم المطالب التي سبقت الحرب الحاضرة هي ما يسمونه فسحة العيش Lebensraum والمستعمرات القديمة ، ثم دانزيج ومجازها

\* \* \*

### فسحة العيش

ويريدون بفسحة العيش أرض الزراعة « اللازمة » لمعيشة الألمانين في القارة الأوربية ، وهي مسألة يقول هتلر في كتابه أنها لا تُحل بالمستعمرات ولا تعالج في الكمرون ! ولا محيص فيها من النظر إلى التخوم الأوربية التي يقطنها الفلاح الألماني وقد ضاق به وطنه ، وشح عليه قطنه ، ووجب أن يتوسع أو يموت

فهل تشكو ألمانيا كثرة السكان وازدحامهم في الحقيقة ؟ وهل حالها في ذلك أسوأ من أحوال الأمم الأوربية الأخرى ؟



كل ما يصنعه النازيون يدل على أنهم يشكون قلة السكان ولا يشكون  
كثرتهم وازدحامهم في المدن ولا في الريف

فهم يشجعون النسل و يبذلون معونة الزواج ، و يقيدون الهجرة من بلادهم  
و يسعون في طلب الأيدي العاملة من إيطاليا والمجر وبوهيميا ومورافيا و بولونيا  
وغيرها ، و يعلنون أن بروسيا الشرقية تتسع للمليونين من الألمان النازحين من  
الاقليم البلطية بعد التسليم فيها للروسين

وقد نشر معهد العمل الألماني تقريره قبل الغارة على بوهيميا ومورافيا فقال انه  
« على الرغم من وفرة العاطلين الذي وجدوا العمل في سنة ١٩٣٨ بشق النفس  
لا يزال نقص الأيدي العاملة شديدا ، واننا إذا قدرنا النقص في أوائل سنة ١٩٣٨  
بخمسة ألاف من الصناع والمستخدمين فهو على تقدير الوزير سيروب Syrup  
للسنة المقبلة لا يقل عن مليون »

وفي الوصية الأولى من الوصايا العشر التي نشرها في منتصف شهر ديسمبر  
سنة ١٩٣٤ وسموها وصايا غزوة الانتاج « ان ألمانيا فقيرة في مساحة الأرض  
ولكنها غنية بسكانها غنية بجميع الموارد التي تكفل لها اطعام أبنائها في هذه  
المساحة المحدودة ، واخراج الخامات الصناعية بمقادير عظيمة »

\* \* \*

وإذا قارنا بين نسبة السكان على حسب المساحة والتعداد فمساحة ألمانيا  
... / ٢٦٨ ميل مربع ونسبة السكان فيها على هذا نحو ٣٦٦ في الميل  
ومساحة بلجيكا ٧٧٥ / ١١ ميل مربع ونسبة السكان فيها ٧٠٧ في الميل  
ومساحة فرنسا ٦٥٩ / ٢١٢ ميل مربع ونسبة السكان فيها ١٩٧ في الميل  
ومساحة هولندا ٦٩٨ / ١٢ ميل مربع ونسبة السكان فيها ٦٧٤ في الميل



ومساحة بريطانيا العظمى . . . ٩٨/ ميل مربع ونسبة السكان فيها ٤٨٨  
في الميل

فألمانيا اذن أوسع مساحة من بلجيكا وهولندا وبريطانيا العظمى ،<sup>(١)</sup> ولو  
أضفنا إلى مساحة بلادهن مساحة مستعمراتهن لما تغير وجه المسألة بهذه الإضافة ؛  
لأن أبناء هذه الأمم القاطنين بالمستعمرات بضعة أوف لا تقدم ولا تؤخر في الحساب .  
وقد اثبتت الاحصاءات عن سنة ١٩٣٧ ان القادمين إلى تلك الدول أكثر من  
النازحين عنها ماعدا هولندا وايطاليا . ولم يكن المهاجرون الالمان في جميع  
المستعمرات الألمانية يتجاوزون عشرين ألفا على أكبر تقدير : أي نحو العدد الذي  
كان يعيش في باريس او لندن من الألمانين

فالصيحة بما يسمونه « فسحة العيش » ان هي إلا صيحة مصطنعة تخفي  
وراءها بواطن مكتومة غير ظواهرها المكشوفة

وحقيقة الأمر هي أن النازيين يريدون زيادة السكان ليتمكنوا من فتح  
الأرض وانتزاعها من أبنائها ، ولا يحتاجون إلى الأرض كما يزعمون لأنهم يشكون  
ازدحام السكان .

أوكا قال هتلر : « اننا الآن نعد ثمانين مليوناً من الجرمان في القارة الأوروبية ،  
ولكن صواب سياستنا الخارجية هذه لا يتقرر ولا يثبت حتى نصبح في مدى قرن  
واحد مائتين وخمسين مليوناً يقيمون في هذه القارة ولا يقيمون فيها معصورين  
كأنهم الارقاء في خدمة العالم . . . »

وكأنما مشكلة « الفسحة » المزعومة هي في أدمغة هؤلاء الناس : كيف

(١) الحرب البتراء تأليف أريك مور ريتشي



نعتدى؟ وكيف نبلغ العدد الذى يتيح لنا الاعتداء؟ وليست هى مشكلة الزحام  
أو التعاون بين الأمم على تذليل العقبات وفض المشكلات

وسبب الاعتداء حاضر على كل حال . ومن الضرورى أن تموت اليوم كل  
أمة يطعم النازيون فى أرضها ، لأهم ينتظرون بعد مائة عام من يصلون إلى الدنيا  
من مواليد الغيب الجهابدين ! . . . وهم بالقياس إلى ما كان عليه آباؤهم قبل مائة  
عام لن يزيدوا عند حلول الأجل المقدور على مائة مليون

\*\*\*

ولو كان النازيون صادقين فى شكوى الزحام لكان قبيحا بهم أن يعتبروا  
قتل جيرانهم حقا مشروعا لا يعارضهم فيه معارض ، وان يعتبروه الحق الوحيد  
الذى يحق للعالم أن يلتفت إليه ، أو الحل الوحيد الذى لا يفكرون ولا يفكر  
العالم فى غيره . فكيف والصيحة كما رأينا كاذبة؟ وكيف وهم لا يشعرون  
بالضيق من كثرة السكان بل يشعرون بالضيق من قلتهم واحتياجهم الى المزيد؟



منها ما كان يهدف الى توفير المواد الخام للصناعة في الوطن  
المتاحر من اجل ان يحميها من المنافسة الخارجية

في حين ان الدول المتقدمة كانت تفضل تصريف السلع  
والمصنوعات في الاسواق الخارجية

المستعمرات :

أما المستعمرات فتراد للاغراض التالية وهى : تصريف السكان ، أو  
تصريف السلع والمصنوعات ، أو جلب الخامات ، أو المآرب العسكرية والخطط  
الحربية .

فأما تصريف السكان فقد رأينا قلة غناء المستعمرات جميعا فيه . ولا سيما  
المستعمرات الألمانية القديمة التي لم يكن منها ما يصلح لسكنى البيض غير إفريقية  
الجنوبية الغربية

فكل من رحل الى المستعمرات الألمانية من أهل المانيا لم يتجاوزوا عشرين  
الفا يسكن مثلهم كما قدمنا في عاصمتى فرنسا وانجلترا

وليست الولايات المتحدة ولا الأقاليم الجنوبية من أمريكا مستعمرات نازية  
أو مستعمرات لدولة أوربية ، ولكنها قد اتسعت لعدة ملايين من الألمانين  
يعيشون فيها على حال لا يستبدلون بها المعيشة في أحسن المستعمرات

وأما تصريف السلع والمصنوعات فلا يعقل عاقل أن المهج الافريقيين  
يستنفذون من السلع والمصنوعات ما يساوى نفقات يوم واحد من الحروب الحديثة  
وأما الخامات فليس منها في المستعمرات التي كانت تطالب بها ألمانيا غير  
قليل من المطاط والنحاس ونزر من الأطعمة ومادة الغذاء . وقد دلت الاحصاءات  
الالمانية نفسها على أن الحد الأقصى الذى بلغته الواردات من المستعمرات إلى  
ألمانيا لم يتجاوز نصفا في المائة من جملة وارداتها



ولنضرب المثل بمستعمرة واحدة لتوضيح هذه الحقائق المحصورة بالأرقام ،  
أو لتوضيح دخائل النيات التي يخفيها النازيون وراء دعوى المطالبة بالمستعمرات .  
فمستعمرة الكامرون يسكنها مائتان وواحد وثمانون من البيض الأوربيين :  
منهم مائة وستة وسبعون ألمانياً ، وواحد وستون بريطانياً معظمهم موظفون ،  
وأربعة وأربعون من أجناس أخرى معظمهم قسس ومبشرون

وقد عرضت مزارع الكامرون للمبيع ( ١٩٢٥ ) فاشتراها الألمان الذين  
كانوا يعيشون في المستعمرة قبل الحرب الماضية وأوشكت أن تنحصر في أيديهم  
تجارتها صادرة وواردة كما جاء في احصاء سنة ١٩٣٧

فأصدر الألمان ما قيمته ١٩٤٦ ر ٤١٩ جنيهاً إنجليزياً من جملة صادرات  
تساوى ٥٢٦٥٥٤ ر ٥٢٦ جنيهاً . ولم تزد قيمة الصادرات إلى الجزر البريطانية عن  
٣٣٧٠٠ ر جنيه

واستورد الألمان من بلادهم ما قيمته ٧٧١ ر ١٥٦ جنيهاً من جملة واردات  
تساوى ٨٤٣ ر ٣٢٨ جنيهاً . ولم تزد الواردات من الجزر البريطانية عن  
٣٩ ر ٢١٠ جنيهات

ولا ننس أن خامات المستعمرات جميعاً قلما تبلغ جزءاً من ثلاثين جزءاً من  
خامات البلاد الحرة ، وإن أمماً كثيرة أصغر من أن تكره منافساً أو تقتحم سوقاً  
تتجر في العالم وليس لها مستعمرات كالسويد والنرويج وسويسرة ، وإن الولايات  
المتحدة لا تملك كندا ولكنها مع هذا تصدر إليها ثلاثة أضعاف الصادرات  
الإنجليزية ، وإن رؤس الأموال البريطانية في الأرجنتين أكبر من نظائرها في  
جميع البلاد التابعة لبريطانيا العظمى

فالساسة المتوجسون من خفايا النيات التي يواربها النازيون في اطواء



مسألة المستعمرات معذورون إذا أيقنوا أن الغرض المطلوب إذن هو العدوان  
العسكري والترصد للحروب والغارات

وحسب القارىء أن يلتقى نظرة على مواقع المستعمرات الألمانية القديمة  
ومواقع حلفائها ليعلم ما يهدد العالم من أخطارها . فليس أسهل من ايجاد مسالك  
المحيط الأطلسى والمحيط الهندي والبحر الأحمر على من يملك مكانم الغواصات  
والأنغام فى تلك المستعمرات ، أو يملك مراكز الطيران على جميع الشواطىء  
الافريقية ، وبعض الشواطىء فى المحيط الهادى وما يليه

وليس أسهل من تهديد القارة الافريقية برمتها سواء فى منابع النيل أو فى  
جوف الصحراء إذا أعيدت هذه المستعمرات إلى الأيدى النازية ، وثبت للقبائل  
الافريقية التى تفهم المحسوسات ولا تشغل بالها بما عداها — أن النازيين هم  
الغالبون وانهم يأخذون كل ما يريدون

عندئذ لا يأمن أحد فى افريقية أو فى العالم بأسره تهديد النازيين . ومن  
الذى يقول ان النازيين لا يهددون وهم قادرون على التهديد ! . . . الذى يقول  
ذلك لا يؤتمن على مصائر شعوب

ومن العبت أن نضيع الوقت فى تفنيد ما يزعم النازيون إذ يقولون انهم  
يطالبون بالمستعمرات لأنهم يأنفون أن تعزى اليهم جريمة الحرب وان تضيع  
مستعمراتهم عقوبة لهم على تلك الجريمة . . . كأن النازيين ينحجلون من الحرب  
وهم يتعبدون بها ويؤلّفونها ويقدمونها فى جميع ما يكتبون ، أو كأنما كان هتلر  
ينسى هذه القصة يوم كتب « كفاحه » وقال فيه ان المخاطرة فى سبيل المستعمرات  
من أسخف الحماقات ، أو كأن فتح النمسا وهى بلاد أوربية لا يعدل فى هذا  
المعنى سيطرة ألمانيا على الجاهل الافريقية ، أو كأن استيلاء اليابان على بعض



المستعمرات الألمانية لا يضيرها كما تضيرها المستعمرات التي في أيدي الأوربيين  
( الآريين أو أشباه الآريين ! )

فهذه تعلات تقال ولا يصدق أحد أن الساسة يقصدونها حقا حين  
يفررون بها جماهير الشعوب ، أو أنهم يجازفون بخراب العالم من أجلها  
ويصرون على هذه المجازفة سنينا بعد سنين ، ولو صدقوا في ذلك لكانت  
وصمتهم بالصدق فيه أشد وأقبح من كل وصمة يفتريها عليهم ألد الأعداء



### دانزيج :

أما مسألة دانزيج — وهى سبب الحرب المباشر إذا أخذنا بأقوال اللسان — فكل ما يدكره النازيون أنها كانت ألمانية ويجب أن تعود إلى حكومتها الأولى . ثم ينسون ما عدا ذلك من الدعاوى والمصالح والتواريخ القريبة والبعيدة ينسون مثلا أنها لبثت من منتصف القرن الخامس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر مدينة حرة فى ظل السيادة البولونية ، وانها ضمت إلى بروسيا بعد هزيمة نابليون الأول على خلاف مشيئة أهلها ، وان حياة بولونيا تتوقف على دانزيج ولكن حياة ألمانيا لا تتوقف عليها ولو عزلت عنها كل العزلة ، وهى حقيقة عرفها الساسة الألمان من قديم الزمن وعبر عنها ملك بروسيا فردريك الثانى أحسن تعبير حين قال « ان القابض على مصب نهر الفستولا لهو أقوى فى بولونيا من الملك البولونى الجالس على عرش فرسوفيا »

ولم تكن سيطرة ألمانيا على دانزيج ضعيفة فى نظامها الحديث الذى قررتة المعاهدات بعد الحرب الماضية ، فقد كان الأمر فيها لمجلس الشيوخ وللحكومة المسؤلة أمامه ومعظم أعضائهما المانيون ، ولم يكن لبولونيا من الأمر فيها إلا القسط الكافى لضمان صادراتها ووارداتها وبريدها ، ثم لا ولاية لها عليها . بل الولاية لعصبة الأمم التى تندب حاكم المدينة وترجع اليه فى العلم بأحوالها ولم يحدث قط أن تعرضت بولونيا للمواصلات الألمانية فى الجاز البولونى المشهور للمراقبة المهربات التى قد تحمل الى بلادها ، ولم يطلب النازيون استفتاء الشعب فى ذلك الجاز لمعرفة رأيه فيمن يحكمه الا على شريطة أن يحكموه سنة ثم



يجرى الاستفتاء المطلوب ! ومعنى ذلك أنهم يحتاجون الى سنة في الحكم النازي  
المعهود ليضمنوا جلاء من في المجاز من البولونيين واستدعاء من يخضعهم من  
النازيين . . . ثم لا يضمنون هذه النتيجة الا أن يكون الحكم في أيديهم ساعة  
الاستفتاء ، وأن يكون كل مقيم في المجاز عارفا ما سيصيبه إذا اختار بولونيا ،  
وهو يرى بعينه أن اختياره إياها لا يفيد

فليست « دانزيج » هي بيت القصيد

إما بيت القصيد هو خنق بولونيا ومن يجاورها من أمم أوروبا الوسطى . فلا  
تجد تلك البلاد منفذا لتجارتها في غير الأرض الألمانية من الشمال أو الجنوب :  
ففي الشمال دانزيج وفي الجنوب النمسا ، ولن يدخل الى تلك البلاد أو يخرج منها  
شيء الا باذن النازيين !

ومتى استعبدت أوروبا الوسطى للنازيين هذا الاستعباد فمصير أوروبا الشرقية  
وما وراءها معروف . ومصير الخطط النازية كذلك معروف ، فهي خطط تجتمع  
في خطة واحدة ، وهي استعباد كل من يُبتلى لهم بجوار ، أو يقف لهم في طريق  
وعلى الرغم من هذا جميعه لم تكن الحرب ضرورة قاسرة ولا ضرورة غير  
قاسرة ، لأن أنصار السلام من سياسة الامم في أوروبا وأمريكا تعبوا وهم يقترحون  
حلول المفاوضات والتوفيق ، فقيل لهم أن الحل الوحيد هو قبول ما يريده النازيون  
ولو كان في قبوله الفناء

ولمن شاء أن يأخذ المطالب النازية على ظاهرها ، أو يأخذها على باطنها  
الذي قلما يستره حجاب

فهي على ظاهرها لا تلجىء الى الحرب ولا يكون المقدم على الحرب من  
أجلها الا مجرما يجازف بسلام أمته وسلام العالم لغير ضرورة  
وهي على باطنها تسعى حثيث للسيطرة على العالم وتهديد من فيه من الأقوياء



والضعفاء على السواء . فهل لا يد من هذه السيطرة ؟

وهل الحرب طريقها التي لا محيد عنها ؟

هل هي طريق السيطرة على العالم حتى لو انتهت بالانتصار ؟

نقروض أن السيطرة على العالم غاية لا محيص منها فهل الحرب وسيلة لا مناص

منها ؟ وهل هي وسيلة مضمونة ؟

وماذا لو فشلت الحرب ؟ وماذا لو امتدت وطالت ولم تفشل ؟ أكل هذا

لا يدخل في الحساب ثم يقال أن السياسي الذي يهجم على هذا كله يحسب

ولا يخطيء الحساب ؟

أن الرجل الذي لا يعرف له سياسة غير هذه السياسة لا يعرف أن يسوس

لأن الأمم إنما تحتاج إلى السياسة لاحتياجها إلى اجتناب هذه الشرور .

أما إذا كانت لا تحتاج إلى اجتنابها فما أغناها عن السياسة والسواس !

وإذا كانت سياسة هتلر قد اضطرت به إلى ورود هذا المورد الويل فبئس

ما فعل ، وساء نصيبه من السياسة

أما إذا كان مختاراً يملك الحرب والسلم ثم لا يبالي أن يخوض الحرب

ويعرض عن السلم فالمصيبة أعظم : المصيبة خطل وإجرام وهوس مجتمعات



# محمد علي

بإلى سفيراً

فرد ألمانية

ذ كرنا طرفاً من الأسباب التي هيأت النجاح لهتلر وجماعة النازيين في  
الأمة الألمانية ، فنضيف الآن أن هذه الأسباب على كثرتها وقوتها لا تكفي  
لبلوغه النجاح الذي بلغه لولا السبب الأكبر الشامل المحيط بها جميعاً ، ونعني به  
خلة راسخة في الأمة الألمانية تفتح آذانها واذهانها لقبول الدعوات التي من قبيل  
الدعوة الهتلرية

ففي اعتقادنا أن هتلر لم يكن لينجح ذلك النجاح في تطويع أمته لو كانت  
هذه الأمة غير الألمانين . لأن الأمة الألمانية العظيمة بمن نبغ فيها من فطاحل  
الأدباء والشعراء والفلاسفة والعلماء والمخترعين ليست بالأمة العظيمة في كل شيء .  
بل لعلها مصابة بقصور شديد سالت منه أمم دونها في عدد النوابع الافذاذ ، وهو  
قصورها في التربية السياسية وضعف ايمانها بالحرية

ولا يخفى أن التربية السياسية تحتاج إلى شيء غير نبوغ الافذاذ وانجاب  
العبقريين ، لأنها مسألة مرانة متسلسلة في بنية الشعب بجميع طبقاته وعناصره ،  
ينتقل فيها خطوة بعد خطوة ودرجة بعد درجة ، بالتدريب العملي والحوادث  
الفعالة في تركيبه وتأليفه . فلا تبلغ منه التربية السياسية مبلغ العادة إلا إذا  
تعودها . ولا يجيء التعود بالأقوال والعظات ، وأن وُجد القائلون والواعظون ،  
فكيف وهم لا يوجدون ؟



ويرجع قصور الألمان في تربيتهم السياسية إلى أصول تاريخية بعضها قديم  
وبعضها حديث أو قريب من العصر الحديث  
ففي العصور الغابرة كانوا قبائل غازية لاتعرف الاستقرار وآداب العمار .  
وإذا لجأت إلى الاستقرار فإما تستقر بالتناوب سنة للقتال وسنة للرعى والزراعة :  
فيقاتل في هذه السنة من كانوا يزرعون ويرعون في السنة السابقة ، ثم يذهب  
الزارعون والرعاة إلى القتال ولما يظل عهدهم بالسلم بضعة شهور . وقد وصفهم  
يوليوس قيصر في حالتهم تلك فقال : « أنهم كلما يبالون الزراعة لأنهم يعيشون  
أكثر ما يعيشون على اللبن والجبن واللحوم ، وليس لرجل منهم أرض يملكها ولا  
حدود تفصل ما بينه وبين غيره » . . . . وقال : « أنهم يحسبون من شرف  
الدولة أن تقفر الديار من حولها دليلاً عندهم على الشجاعة التي تقصى جيرانهم فلا  
يجسرون على الاقتراب منهم » . . . « وان اللصوصية لا عيب فيها إذا قورفت  
بعيداً عن ديارهم ، بل ربما حسبوها نافعة لتدريب الناشئة ومنع الاخلاذ إلى  
الكسل والراحة »

ووصفهم المؤرخ تاسيتوس فقال : « أنهم إذا هداوا واستراحوا تطوع كثير  
من نبلائهم للقتال في صفوف القبائل التي تشن غارة من الغارات ، وأنهم لا يقدر  
بغير العدوان والحرب أن يمونا اتباعهم وحاشيتهم الكثيرة ، ويعتمد هؤلاء  
الاتباع على كرم رؤسائهم فيما يركبون من خيل أو يشهرون من رماح ، ولا ينالون  
أجراً غير ما آدب الطعام الغليظ وان لم يكن بالقليل . فالحرب والغنيمة فخر أولئك  
الرؤساء ، وليس من السهل أن تقنعهم بالحرث وانتظار الغلة كما تقنعهم بالهجوم  
والمبارزة ، بل من دلائل الوهن عندهم أن تطلب بعرق الجبين ما أنت قادر على أخذه  
بالدم المراق . . . » ووصفهم المؤرخ جان فرواسات Froissart في أواخر القرن  
الرابع عشر فقال « إنهم شعب جشع يجنح أبداً إلى العنف والتهديد والاعتداء ،



لارحمة عندهم إذا غلبوا ومعاملتهم لاسراهم سيئة قاسية »  
وهذه خلة كانت شائعة في كثير من الأمم وهي على حالة البداوة والهمجية .  
بيد أن الألمان قد انتقلوا منها إلى حالة تشبهها ولم ينتقلوا إلى حالة الحكم المسؤل  
والشورى الدستورية كما انتقل بعض الأمم الأخرى رحلة بعد رحلة . فخرجوا من  
همجية البداوة الأولى إلى نظام الاقطاع الذى لا يعرف علاقة بين الحاكم والمحكوم  
غير علاقة الأمر بالمأمور ، ولا يعرف علاقة بين الولاية والولاية غير علاقة  
القاهر بالمقهور ، أو علاقة الحرب والترص والانتقام .

وكانت ولاياتهم تتعدد وتتكاثر كلما نشبت الحروب وانقطعت الوشائج  
والارحام . فزادت فى نهاية القرون الوسطى على ثلثمائة ولاية لاتضع السلاح  
يوما خيفة جيرانها وأبناء جنسها أو خيفة الجيوش الجارفة التى كانت تشق أوربا  
من الشرق إلى الغرب أو من الغرب إلى الشرق أو من الشمال إلى الجنوب أو  
من الجنوب إلى الشمال . فان موقع الألمان فى الرقعة الوسطى من قارة أوربا  
تركهم عرضة لكل مغير وجعلهم متوثبين أبداً للاغارة على من حولهم من الغافلين  
أو المستضعفين ، فعاشوا فى ساحة حرب لا رأى فيها للرعية إلا كراى الجندى  
المطيع ، ولا عهد فيها بين ولاية وولاية إلا كعهد المغلوب للغالب أو الغالب  
للمغلوب .

وظلوا على هذه الحالة الى ما قبل حرب السبعين ، فلم تنقص ولاياتهم عن  
مائة وسبعين فى أيام الثورة الفرنسية ، ثم انتظموا فى علاقة تشبه الوحدة بالقياس  
إلى ما كانوا عليه من التفرق والصراع . ولكنهم لسوء حظهم وقعوا فى زعامة  
هى شر الزعامات ، فسلموا زمام الدولة لامارة لم تكن لها مزية على سائر  
الامارات غير وفرة العدد ووفرة السلاح ، وهى بروسيا آخر القبائل الجرمانية  
حضارة وأقلها نصيبا من الأدب والمروءة . فسارت بهم على سنتها وباعدت ما بينهم  
(٥)



و بين «التطور» في سبيل الشورى ومعاملات السلم والمودة ، وتركهم في سياستهم لا يعقلون إلا «وجهة نظر واحدة» هي وجهة النظر التي يأمر بها السيد المطاع ، ولا يعرفون حق المعارضة لفرد من أفراد الرعية لأن المعارضة منه عصيان ، ولا لدولة من الدول الأجنبية لأن المعارضة منها عداً وقتال

ولبثوا كذلك إلى ما بعد الحرب الماضية التي خرجوا منها دولة واحدة قليلة الفواصل والحدود . فلم تنقض عليهم عشر سنوات حتى انكفأوا إلى نظام المعسكر وأدب الغارة والاعتقال

وازن بين تربية كهذه لا محل فيها لرأى الأمة في سياسة داخلية أو خارجية ولا أدب لمن يتربى عليها غير الطاعة أو العدوان ، وبين التربية السياسية التي فرضتها على خصوم الألمان مواقع الجغرافية ووقائع التاريخ

فالانجائز مثلاً أبناء جزيرة مستقرة قرية

فهم لهذا آمنون ، وهم لهذا تجار . ومن هنا بطل فيهم طغيان العسكرية ونشأت فيهم خلائق الشورى والتفاهم والأخذ والمطاء

وهم أقوياء ولكنهم يبيعون ويشترون ، فلا مناص لهم من السمعة ومن الثقة ومن الارضاء ، إذ التاجر لن تنسيه قوته أن يرضى عميله وشريكه ، ولن يستغنى — وان استغنى — عن التفاهم والقبول

وقل ماشئت عن أسرار الحرب الحاضرة وأسباب الحوادث القريبة على تناقض الروايات والتعليقات ، فملا شكك فيه أن تربية الألمان القديمة هي التي جعلتهم يأنفون من مفاوضة الأمم الصغيرة ، ويستكبرون أن يجلسوا مع بولونيا أو مع غيرها إلى مائدة واحدة لفض المشكلات وتبادل الآراء ، لأنهم ينظرون إلى المفاوضة نظرة العسكري الذي لا يعرف المفاوضة إلا لاملء الشروط أو الخضوع لمن يملها . ومما لا شكك فيه أن تربية الانجائز القديمة هي التي جعلتهم يفاوضون



الكبير والصغير ، وعودتهم أن يروا لمفاوضهم حق الشاري على البائع وحق البائع على الشاري ، في مجال الأخذ والعطاء

تلك الخلة الألمانية معلومة لكبار الأدباء الألمان سواء منهم الآريون وغير الآريين ، فأديبهم الكبير « جيتي » يقول

« ان امام أنباء وطننا بضعة قرون أخرى تنصرم قبل أن يترقوا إلى منزلة من الحضارة تجعل الناس يقولون انهم كانوا برابرة منذ عهد بعيد »  
وشيلر زميل جيتي يقول « أيها الجرمان ، عزيز عليكم أن تصبحوا أمة ، فكونوا رجالا فذلك ميسور »

وهيني أشعر شعرائهم الغنائيين يقول : « يوم يتبدد رمز المسيحية الوديع يفور مرة أخرى جنون الغزاة الأقدمين الذي يطنب في التنغي به شعراء الشمال ، وتهب الأرباب الصخرية من مراقدها في الآكام المهجورة نافضة عن اهدابها غبار ألف عام . ويهب معها اله الرعد والبرق ثور يحمل مطرقة الهائلة ليهوى بها على محاريب الاله المسيحي : يومئذ تسمع جهنم من الضوضاء لم يسمع لها مثيل قط في تاريخ العالم كله ، ويومئذ تعلم أن الرعد الجرمانى قد تمادى إلى مداه ، وان الصيحة يومئذ لتسقطان النسرميتافى علاه ، ولتسمعنها الأسود الناكصة في أقصى الآجام الأفرريقية فتختبىء في كهوفها ، ولتشهدن ألمانيا في ذلك الموعد مشهدا تحسب الثورة الفرنسية عنده موقف غزل وغرام . وليتطلعن العالم كأنه علي سلالم عريضة الصراع لينظر إلى مشهد هذا العراك الجنونى في ساحة ألمانيا . . . »

قالها هيني قبل مائة سنة فصدقته الأيام ، ولو قالها اليوم لقالوا نبوءة شاعر

كذاب من سلالة اسرائيل !

ونيتشه نبى القوة عندهم يقول : « الجرمان كالنساء . لايسبر غورهم لأنهم بلا

غور . . . وهذا كل ما هناك . فلا يقال عنهم أنهم ضحل لهذا السبب عينه . اماما



يسمى العمق في ألمانيا فهو في لبابه تقص في اخلاص المرء لنفسه ، أو هو بمثابة  
أمة تأبى أن تقف من طبيعتها موقف الوضوح والصراحة . ألا يحسن أن نضع  
كلمة الجرمانية رمزا متفقا عليه للدلالة على هذه الآفة النفسية ؟ »

وطالما ألم جيتي المأ شديداً للنظر في أمور هذه الأمة التي تتمن التفاصيل  
وتنسى الشمول والتي « يبدو فيها أفراد أجلاء وتبدو هي أمة زرية »

إلا أن الاختلاف الذي لاحظته لا يعد من الشذوذ ولا الخروج على القياس  
المعقول . لأن البربرية وقوة العقل والطبع لا تتناقضان ، فيجوز أن ينشأ الأفراد  
المتدرون في غمرة البداوة كما ينشأون في أوج الحضارة ، وأن تعلو الصفات الفردية ،  
وتهبط الصفات القومية . أما النقيضان المستغربان فهما أن تصمد الأمة على حكم  
الأستبداد وأن تتقدم في أطوار التربية السياسية وخلائق الحرية التي تواتبها  
في تصريف تبعات الحكم ومشاركاته ، وهذا هو جانب القصور في تربية الالمان

\*\*\*

ومن الشهادات التي لا تستغرب بعد ما تقدم أن الالمان على كثرة ما أفادوا  
العالم في أبواب العلم والفن والصناعة لم يفيدوه شيئاً في باب العلم السياسي والاصول  
الدستورية ، فلامهم في أطوارهم الشعبية تقدموا وراء القيادة العسكرية وأنظمة  
الميدان ، ولاهم في كتابات فقهاءهم ودارسيهم ساهموا بقسط قيم من التفكير  
في هذا الباب ، وغاية ما ساهموا به أنهم قدسوا الدولة وأقاموها على أساس « القوة  
الحاصلة » وجعلوا مخالفتها أشبه بالكفر والشيطنة منها بالجريمة التي يعاقبها القانون  
فالدولة عند فيلسوفهم الكبير هيغل هي مساك الحق وحلاصة التاريخ  
وصورة المشيئة الالهية . . . وماشا كل ذلك من نعوت تلحق الدولة بعالم الغيب  
في عرف المتصوفة

والقانون عند فقهاءهم هو « سر العنصر » أو لباب الروح القومي



Volksgeist وليس هو بالعدل المطلق الذي يعم جميع الأقسام ولو في المبدأ والقاعدة.... فبيما كانت الدول تعلن في الحرب الماضية أن محكم الغنائم فيها تطبق قانون الأمم وشريعة المنطق الانساني كانت المانيا تعلن أنها لا تطبق إلا الشريعة الألمانية التي تستمدتها من الدولة الألمانية، وبيما كانت الشعوب المختلفة تبني اعتزالها لعصبة الأمم على أسباب المصلحة أو على خشية الاخفاق والاصطدام بالوقائع المنظورة كان الالمان يخلطون بذلك سببا فلسفيا يقوم على فكرة العنصر والقوم، فلا عدل في اجتماع عصبة الأمم لانها مجموعة أجناس المشرق والمغرب وسلالات البيض والصفير والسمر والسود، وانما العدل أن تقوم على جنس واحد أو أجناس متقاربات، وأن تعترف بالتفاوت بين السادة والمسودين والاقوياء والضعفاء.... أي أن تبطل معنى العدل فتجعله اعترافا بجواز الظلم لمن يقدر عليه وتحريمه على من يعجز عنه ليس إلا... وما أبعد الفرق بين قولك أن الظلم هو العدل والانصاف وقولك أن العدل مطلوب محبوب ولكنه متعذر التحقيق، ولا بد من رياضة الطباع عليه

وهذا التفاوت بين اقدار الشعوب يسرى على الرعايا الالمان فينقسمون الى آريين وغير آريين وينقسم الآريون الى عريقين في الآرية يحملون جواز العراقة Gross Ahnenass ومحدثين في الآرية لا يثبتون من النسب فيها اكثر من جد واحد ولا يحملون الأجاز المحدثين Ahnenspiegel وهو لا يسمح لهم بالانتظام في الحزب ولا في جماعاته المختارة<sup>(١)</sup>

وكان أناس يخالون أن حذقة الالمان في تفضيل أنفسهم على العالمين قد بلغت قصاراها خلال الفترة التالية لمهد بسمارك وحرب السبعين، فاذا بالنازيين يدخرون

---

(١) كتاب الحق والقوة لمؤلفه الفقيه الالمانى الدكتور فردريش رويتير  
Firedreick Roetter



من هذا المعنى مالم يكن يخطر على بال .  
فليس التفاوت باديا باقيا بين القوم الجرمان وسائر الاقوام الآدمية وكفى ...  
كلا . بل هناك تفاوت بين حيوان آرى وحيوان أجنبي وبين فاكهة عريقة وفاكهة  
هجينه ، وبين بذور رفيعة تنبت في تربة الشمال وبذور خسيصة تنبت في تربة  
الجنوب ، فمن المحقق كما يقول الجنرال لندورف <sup>(١)</sup> أن الأرنب ليس بحيوان  
آرى ، وحسبك سببا جبنه الاليم . وحماذاه أنه مهاجر يحظى بحفاوة الضيف . أما  
الحيوان الذى لاشبهة في ملامحه الجرمانية فهو الأسد ، وهو من أجل ذلك المانى  
في دار غربة «

بل التفاوت بين السلالة الآرية والسلالات الأخرى تفاوت في تركيب  
الجسد ووظائف الأعضاء وخصائص العترة البشرية .

« فغير الآريين لهم أسنان وفكوك عليها تشبه في ضيقها ومنظرها خراطيم  
الحيوان ، وحركة الفكين بين أهل الشمال تسمح بمضغ الطعام والفم مقفل على  
خلاف الأجناس الأخرى التى تُسمع لمضغها أصوات كأصوات العجماوات . وللغم  
الشمالى عدا هذا فضائل شتى يمتاز بها كامتياز اللون الأحمر باثارة الشعور ، فان  
لونه المتوهج القانى يعرى بالقبلات ، وفم الشماليين من أجل هذا مركب صالح في  
تركيبه للتقبيل . أما غير الشماليين فهم عراض الشفاه غلاظها ينمون بذلك  
وبفتحات المنخرين على الشهوة وعلى التعبير الهازىء المضطغن وعلى حركة  
الارتشاف التى تنبىء بالانغماس فى المتعة الراضية ، وهم يفرطون فى التحدث  
بمساعدة الأيدى والأرجل مما لا يرى فى حديث أهل الشمال الذين يتكلمون  
أحيانا وأيديهم فى الجيوب . ولن تبصر فى غير المرأة الشمالية ذلك النهى الكاعب  
المكين المستدير الذى يبرز للنظر حتى حين تلقى بذراعيها إلى الجنبيين . وخلاصة

(١) فى Am Qelle Deutscher kraft أى من منبع القوة الجرمانية



القول ان غير الشماليين ينزلون في مرتبة بين طبقة الانسان الشمالى وطبقة الحيوان من فصيلة فوق فصائل القردة العليا . فليسوا هم باناسى يقابلون الصفات الحيوانية بالصفات الانسانية ، ولكنهم حاقة وسطى في الطريق احرى بهم ان يسموا شبه بشر . . . . . « و إذا سأل سائل ما بال غير الشماليين وهم أقرب رحماً إلى القردة يتناسلون من الشماليين ولا يتناسلون من القردة ؟ فالجواب ان الدليل لم يقم بعد على انهم وفصائل القردة لا يتناسلون ! » (١) .

وليس المهم ان يؤمن النازيون بهذا الهراء ايمان اليقين ، بل المهم انهم يعملون به عمل المؤمنين . ولا ندرى وايم الحق أيهما أقبح بالمرء : ان يصدق هراءاً كهذا فهو مسلوب التمييز في شؤون الأقوام ومسائل السياسة ، أو ان يدعيه ولا يصدق به فهو خادع محتمل .

\*\*\*

أمة تروج فيها هذه الدعوات حينما ظهرت ليس بعجيب أن يعلوها أضراب هتلر وجوبلز وهيس وجورينج متى أيدهم المصادفات واندفع بهم تيار الحوادث والأزمات ، وليس بعجيب أن تكذب تلك الأمة على عقولها وهي تكذب على أعينها فتصدق أن هؤلاء صفوة الآريين وهم على تقيض الشائيل التي يزعمونها لأبناء الشمال . فالرجل الشمالى في زعمهم « أصهب رائع المنظر فارع الطول بين الرجولة رشيق وسيم » . . . . . وهتلر انشوى جنوبى السحنة لا روعة لمراه ، وجوبلز أعرج دميم ممسوخ الوجه والقامة ، وهيس أسمر من مواليد الأسكندرية ، وجورينج ضخم بدين جدته فرنسية . . . . . ولكنهم يهتفون للألمان بما يعجبهم

(١) كتاب الأصول الحديثة لبحث الأجناس تأليف هرمان جوش اقتباس

مجلة الناشيون في ٦ فبراير ١٩٣٥ .



فهم مصدقون ولو كذبهم العميون !  
لقد أكبر بعض الكتاب الأوربيين من هتلمر أنه « صنع المعجزة » وأعاد  
إلى الألمان الثقة بأنفسهم وقد شارفوا على الذلة والانحلال .  
فهل جاء هتلمر قومه برسالة الثقة بالنفس أو رسالة الاستخفاف بالآخرين ؟  
ان الواثق بنفسه لا يلغى حقوقه في الحرية ولا يبني حياته على التسليم والأذعان  
ولا يصيح على الابراج والشواهد أنه واثق وأنه يقسم أنه لواثق !  
كلا . إنما يفعل ذلك من لا ثقة له بنفسه ولا قدرة له على تمييز رأيه ، وليس  
الاعتداء على الآخرين من صفات الواثقين ، ولكنه من صفات من لا يعرفون  
الحقوق ولا يدرون معنى الحرمات .

وهتلمر قد علم شبان قومه خلائق معلومة لا صعوبة في تعليمها ، بل الصعوبة  
في اقتلاعها وتبديلها لأنها من نوازع الهمجية وخلائق القطعان .

قال لهم البسوا الكساوى والشارات التي تحبونها ، واخرجوا في الشوارع  
صفوفاً صفوفاً ترعقون وتمعدون ، واضربوا اليهود واضربوا الشيعيين واضربوا  
الديمقراطيين واضربوا النازيين الخالفين . . . . . اضربوا اضربوا واضربوا واضربوا  
المجد والفخار وعلى فرائسكم المسبة والعار .

ولقد عاش أبناء آدم مائة قرن يعاقبون من يضرب ويقيدون يديه ويعيبونه  
بالشر والذيلة ولا يزال الضرب مغرباً يهون فيه العقاب والتأنيب .

فاذا جاء هتلمر وجعله شرفاً يبوء المعتدى بفخره ويبوء المعتدى عليه بوصمته  
ونكره فأين هي المعجزة وأين هي الخليقة الكريمة التي تكتسب بالمشقة  
والرياضة وهداية الزعماء ؟

هذا اندفاع مع التيار وليس وقوفاً في وجه التيار ، وتلك هي النكسة



والانحدار وليست هي الوثبة والاقْتدار ، وما في هذه الزعامة الرخيصة مسحة من العظمة ولا لمحة من الابتكار .

أغوا وجودهم من ناحية وأغوا وجود الآخرين من ناحية أخرى !  
كبحوا حريتهم العالية على الأحرار ثم أشبعوا نفوسهم المكبوحه بشهوة العدوان على حرية الناس . فكانوا خاسرين في الصفقتين ، غادرين بحرمتهم وحرمت من يعتدون عليهم . وبئس التعليم ان كان هذا الصنيع في حاجة إلى تعليم .  
إنما المعجزة أن تعلم المرء الكرامة فلا يهدر حقوقه ولا يهدر حقوق غيره ، وإنما الرجل الكريم كما قلنا في كتابنا عن سعد زغلول من « يسوءه أن يتعرض الآخرون لغضاضة مهينه كما يسوءه أن يتعرض هو لتلك الغضاضة ، ويعاف الذل حيث كان ولو لم يمسه في كبريائه ، وذلك هو الفرق بين الكرامة المحموده والغطرسة الذميمة . فان الغطرسة الذميمة هي التي تستريح إلى اذلال الآخرين ولا تغار على كرامة إنسان ، وهي التي لا تميز بين الكبرياء بحق والكبرياء بباطل ، ولا تلوم الناس لأنهم اعتدوا عليها مبطلين بل تلومهم لأنهم عرفوا لأنفسهم كرامة ولو كانت صادقة وعلى صواب . ولهذا يستخذي المتغطرس حين تصدمه القوة من سواه ، ولا يزداد الكريم إلا انتصاراً لكرامته حين يمسه من يتناول عليه » .

\*\*\*

وهكذا « معجزات » هتار في شتى مراميها لا تستمد قوتها من رفيع الصفات كما تستمدها من وضع الغرائز والشهوات ، ولا تعتمد على الاقتحام كما تعتمد على الاتباع والانسحاق ، ولا تروعك بالبطولة كما تروعك بالمداورة والاستغلال ، ولا تروض الظروف بل تركيبها وهي ربيعة ذلول ، ولا يرتفع بواحدة منها إلى مرتبة النوادر الأعلى بل يظل حيث كان في زمرة الأواسط وأبناء المصادفات





هتلر مع شامبرلين ودلايهه وموسوليني



هتلر مع شامبرلين وهندرسون السفير البريطاني



# الفصل الثالث

## نفس هتلم



## نفس لهنر

صرفنا معظم الكلام في الفصل السابق إلى بيان « الظروف » التي هيأت لهتلر متهيأه من النجاح في قومه ، لنعزل بين أعماله وضجتها الخارجية ، ونعلم ماهو حقه وما هو حق الحوادث ، ونوازن بين ما هو من فضل الكفاءة وما هو من فضل المكان الذي ارتفع اليه ، ونخلص من ثمة إلى سبر أغواره وأغوار أعماله فنسلكه في مسلكه الصحيح ونقيمه حيث ينبغي أن يقوم

وسنصرف الكلام في هذا الفصل إلى دراسة طبائعه وأخلاقه وبواعث تفكيره وهواه ، فيكون سؤالنا في هذا الفصل : لماذا اختار هذا الطريق ؟ وقد كان سؤالنا في الفصل السابق : كيف تمهد له هذا الطريق ؟

وفي هذا العصر الذي شاع فيه علم النفس واتصل فيه طب العقول وطب الأجسام يندر أن يشتهر انسان بما يثير النفوس دون أن توضع نفسه هو موضع الفحص الطبي والدراسة العقلية ، ليمتدح الباحثون دلالة أعماله ويتعرفوا نصيبها من الصحة والاستقامة أو نصيبها من المرض والشذوذ

وهتلر في رأى بعض الأطباء مصاب بآفة نفسية يسمونها « شيزوفرينيا »

Schizophrenia أو ما يُعبر عنه في العرف الدارج بازدواج الشخصية ، وهي

آفة تنشأ من الوراثة القديمة والحديثة ومن فرط النشاط في الغدة الدرقية على نحو يغلب في النساء المريضات ، واليه يرجع اهتياج الشعور عندهن وطغيان الحس

على أفكارهن

كلام



وقد لوحظ على هتلر كثيرٌ من عوارض هذه الأنوثة المريضة لأنه يبكي ويمرح حين يشاء ، ويغضب ويصخب لأتفه الأتساء ، ويثير شعور سامعيه أبداً ثم لا يزودهم يوماً بزاد من الفكر المقنع والروية الهادئة في غير سخط واهتياج ، ويشبه المرأة في تركيب جسمه لضيق كتفيه وضخامة ردفه ، وقلة العضل في تكوين أعضائه مع عنايته بتصفيف طرته وتنميق أظافره ، وندرة ما يبدو عليه من دلائل الرجولة في اتصاله بالجنس اللطيف ، وكثرة ما يعهد من كيد وولعه بالايقاع وإثارة الشحنة والغيرة بين المحيطين به على نحو ما تصنع المرأة المتبوعة بين المحيطين بها ، وهذا إلى صبره الطويل على كل ألم في سبيل الظهور والزينة والمتعة بالتفاف الأنظار ، كوقوفه خمس ساعات ممدود الذراع أمام المواكب التي تحميه وتومئ إليه ، وهو نوع من الصبر يعهد كثيراً في النساء ولا يعهد في الرجال .

وصاحب الشخصية المزدوجة يتناقض في تفكيره وشعوره كأنما تصدر أفكاره وأحاسيسه من مصدرين أو من شخصين مختلفين : فهو حيناً شديد الرأي وحيناً شديد الخطل ، وهو تارة ودبوع لين وتارة شرس عنيد ، وساعةً يحجم ويتردد وساعةً أخرى يهجم ويتعسف ، وقد يعالج الأمور علاج الحالم المؤمن ثم لا يلبث أن يعالجها علاج المتشكك الذي لا يقنع بغير الواقع الملموس .

ونشرت مجلة الموضع الطبية Lancet في أوائل السنة الحاضرة بحثاً عن المستيريا النفسية عدد فيه الكاتب عوارضها وعلامات هذه العوارض في نفس هتلر وأعماله ، فقال ان المريض المصاب بالمستيريا ذكي متعدد الشواغل وإن كان لا يتعمق في واحدة منها ، مولع بالأسرار لبق في التسلل إلى مكامن الأهواء ، قادر على تجديد الصور في خياله وحده ورابط الشئيت من الأفكار بروابط غريبة وسطحية لا تنفذ إلى اللباب ، وانه مستعد بالفطرة للتغاضي عما لا يوافق



ولا يرضى لباناته ، وانه جامع النفس في حبه و بغضه ، متقلب في أطواره وميوله  
تدور خواطره كلها على محور واحد هو نفسه وما يتفزز به حسه ، ويفتأ من أجل  
هذا متشوقا إلى الثناء متعلقاً بدواعي الغرور . منهوما بما يلفت الأنظار ويخاب  
الأفكار ، وتساعده على ذلك قدرة على الايحاء إلى من حوله والايحاء الباطني إلى  
صحبه ، فيحظى بينهم حظوة قلما ينالها من عروا من قدرة الايحاء والايحاء .  
وتتعطل فيه مراكز الحس فيصاب بضرب من البلادة ويكل أحيانا عن  
الاحساس بالجوع والتعب والسهاد ، وهو ما يلوح للناس في هيئة الجلد والدؤب  
والثبات .

ويشفع الكاتب كل صفة من هذه الصفات بما يدل عليها من كلام  
هتلر أو من عاداته المعروفة وحرركاته المشهورة ، فيحكم عليه بالمرض المستيري  
وزيغ التكوين .

أما الطبيب الذي امتحن هتلر في السجن — وهو الدكتور برنشتينر  
Brinsteiner — فقد نفى عنه المرض العقلي و بواذر الجنون وقال : « ان النظر  
في حالته النفسية وطريقة سلوكه أظهر لنا انه لم يصب بضرر من جراء نشأته وتعليمه  
وحياته الأولى ، وان الانقلاب الذي حاوله في الثامن من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٣  
وطالما قيل فيه انه حماقة و جنون قد يسهل رده إلى اختلال العقل واضطراب  
ميزان التفكير . ولكنك إذا سمعت من هتلر نفسه بواعث الانقلاب وتعليقاته  
انتهيت إلى الجزم بأنه كان مالكا زمام رأيه أثناء تلك الحركة من بدايتها إلى  
انتهائها ، وانه لا محل فيها لاختلال التفكير مع احتمال النقص والخطأ في الباعث  
والتعليل . . . . » .

وعلى خلاف هذا الرأي الدكتور ماكس فون جروبر Max von grober  
الأستاذ في جامعة ميونيخ ، فانه يقول ان تعبير وجهه لا يدل على رجل يملك



زمام شعوره ، بل فيه دلالة على اضطراب واهتياج .

وللطب العقلي مدرسة أخرى غير مدرسة المباحص والعقاير ومستشفى المجاذيب على طراز البيارستان القديم ، وهي مدرسة التحليل النفساني على مذهب فرويد ومذاهب تلاميذه الذين اقتبسوا منه أساس الفكرة وان ناقشوه في أجزاءها أو اختطوا لأنفسهم بعد ذلك خطة جديدة

فلهذه المدرسة أيضا كلماتها بل كلماتها في مزاج هتلمر وتركيب عقله وسريرة أخلاقه . فمنهم من يقول أنه رجل مكبوت الغرائز الجنسية لعله في تكويينة يدل عليها أنه لم يتزوج ولم تعرف له صلة مألوفة بالنساء ، فهو من ثمة يرى في حب السطوة والقسوة منطلقا لغرائزه المكبوتة ينفس يه عن ذلك الكبت الاليم

ومنهم من يقول أنه كان طفلا مدللا ألف التدايل من أمه والشدّة من أبيه ، فنشأ مضطرب الاهواء ، يغلب عليه التدايل حينما فلا يطيق المعارضة ولا يزال ينتظر من الدنيا التمليق والموافقة كأنها مطالبة باشباع نهيمته من هذه العادة ، وغلب عليه الامتعاض تارة أخرى فيجب التمرد والانتقاض والثار لنفسه مما أصابه في طفولته وصباه

ومنهم من يقول هذا وذاك ويزيد عليه أن محنة الفقر والتشرد في الشباب

الباكر قطعت ما بينه وبين الناس من رحم ومحبة وعودته سوء الظن وضعف الثقة بالموودة والوفاء ، فأصبح غير صالح لمبادلة الأفراد عطفًا بعطف واخاء باخاء ، وانحصرت علاقته بيني الانسان في صورة الجماهير والجماعات ؛ فأما ان يحيا في الحركات السياسية التي تقوم على الجماهير والجماعات وإلا فليست له حياة ! وأما أن يستيئس في طلب الحركة السياسية وإلا فليس في بيئته الفردية متسع للعطف والشعور ، وكل ما تتسع له تلك البيئته الفردية بمعزل عن السياسة فانما هو والخبية والنضوب



ومنهم من يرجع الى الوراثة من والديه ، ومن جهة أبيه خاصة ، لانه كان رجلا مزواجا تموت له الزوجة فلا تنقضى أشهر حتى ينساها ويبنى غيرها ، وكانت أم هتلر ثالثة زوجاته بنى بها وهى فى نحو السابعة عشرة وهو فى نحو الاربعين ، وولدت هتلر وهى فى التاسعة والمشرين وهو فى الثانية والخمسين . وقد مات بضربة فالج ، وقيل أنه مات وهو يتعاطى الخمر فى حانة

ويلاحظ هؤلاء النفسانيون أن هتلر - على افاضته فى بعض أخبار صباه - يقتضب الكلام اقتضاها عن أبيه وأهله ، ولا يبدو عليه الارتياح الى هذه السيرة فيما يكتبه أو يتحدث به لتابعيه وخاصة رفقائه . ففى الأمر لاشك سر مجهول غير ماهو معلوم مما تقدم ، وفيه الكفاية للدلالة على انحراف الصفات الموروثة .

ويربط بعضهم بين هذا السر المجهول فى نشأة هتلر وبين تكرار الكلام فى كتابه عن الامراض السرية و « سوط عذابها » المنصب على أبناء زمانه ، ويتساءلون ولا سبيل عندهم الى اليقين : ألا يجوز أن يكون اختلال الغريزة الجنسية واهتياج الدماغ عند هتلر متصلين بسر من تلك الأسرار ؟

\*\*\*

هذه الدراسات النفسانية والطبية كثيرة مستفيضة فى جميع اللغات الأوربية لاضرورة لحصرها ولا للاستشهاد بأكثر من النماذج التى استشهدنا بها للامام بما يقال فى سبيلها

ولسنا نريد أن نعول عليها وحدها دون التعويل على مايزكها من الوقائع الواضحة التى لا تحوجنا الى مشرحة الطبيب أو معجم المصطلحات الفنية ففى اعتقادنا أن أصدق الأوصاف العلمية فى دراسات النفوس هى تلك الأوصاف التى تستغنى عن المصطلحات وعن لغة المعامل والمشرحات ، لأن الأخلاق الانسانية لم توضع فى مجمع علمى ولم تتقرر بعد الاكتشف الطبى على من



وضعوها في الأجيال الغابرة والأجيال الحاضرة . فقد كان في ملايين الملايين الذين وضعوها أناس يجوزون امتحان الأطباء وأناس لا يجوزونه ولا يحسبون من الأقوياء ولا الأصحاء . وإنما وُضعت أخلاق بني الإنسان بتجاوب الشعور وتجاوب الأحقاب والأعقاب ، فلا كها ولا شك هو النفس العاطفة القادرة على مجاوبة من حولها وما حولها مجاوبةً متصلة مستقيمة فيما تؤديه وفيما تتلقاه

فاذا امتحن الأطباء رجلا فلم يجدوا عيبا في وظائف جسده ولا في مجس أعصابه وعضلاته ثم ظهر أن هذا الرجل يحس بالغضب ولا يحس بالرضا ، أو يشعر بما يؤلمه ولا يشعر بما يؤلم غيره ، أو يقدر على ادراك عاطفة ويمجز عن ادراك عاطفة مثلها ، فالوصف الصادق لهذا الرجل أنه ناقص وإن قال الأطباء أنه لا نقص فيه

ثم هو ناقص وإن لم ينجم عن نقصه ضرر ، كما نحكم بالنقص على الجهاز الكهر بائي الذي يسمعنا الأحاديث في وقت ولا يسمعنا في وقت آخر ، ولو لم تكن هنالك فائدة من السماع أو ضرر من عدم السماع

فلاك الأخلاق الصالحة نفس صالحة للشعور قادرة على التقى والأداء ، وقد تنفعنا البحوث الطبية في التعليل والتفسير إذا عرض لنا ما يحوجنا إلى تعليل وتفسير . أما إذا كانت الأخلاق المائلة أمامنا غنية عن تعليلها وتفسيرها فهي إذن مفهومة مدروسة بغير حاجة إلى معمل أو امتحان

وسنتوخى هذه الشئنة دون غيرها في دراسة نفس هتلر وتقوم عمله وكلامه : نتوخاها لوزن الرجل لا لترجمة حياته ، فان وقائع التراجم تتشابه وتتكرر في الوف السير ، وتتشابه وتتكرر في سيرة الرجل الواحد ، ولا تميزه إلا طائفة محدودة من وقائمه وأقواله



X

### التربية والنشأة:

كان أبو هتلر المسمى ألواز (Alois) ثمر « غير شرعية » من بنت فلاحه ورجل مجهول .

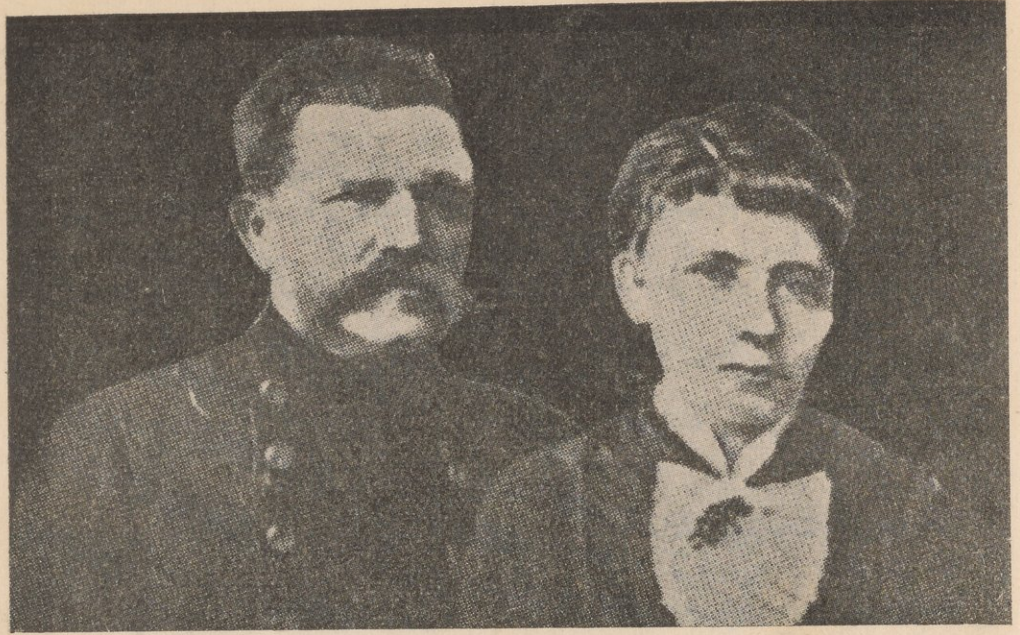
وكان يحمل اسم أمه شيكاجروبر Schicklgruber إلى أن بلغ الأربعين من عمره ، فقيّد في السادس من شهر يناير ( سنة ١٨٣٤ ) باسم الرجل الذي ظن أنه أبوه وهو جوهان جورج هيدلر ، وقد صحف هذا الاسم على الألسنة فأصبح هتلر كما ينطق الآن .

وتزوج ألواز بثالثة نسائه « كلارا » أم هتلر وهو في نحو الأربعين وهي لم تتجاوز بضع عشرة سنة كما تقدم ، وكانت خادمة لزوجته الأولى ثم فرت إلى « فيينا » وهي صبية صغيرة ، وعادت إلى موطنها بعد فترة مجهولة الأخبار ، فخطبها أبوه .

وتربية هتلر من مولده إلى شبابه تربية صالحة لتفسير حياة رجل جامع النزعات متناقض الأحوال ، لأنها لم تجر على استواء واحد بين تدليل الأم وصرامة الأب ، وهي صرامة كانت تشتد وتعنف كلما ملح من ابنه رغبة في احترام التصوير والعيث في معيشة الأباق والتشرد ، وهو يعده لوظائف الحكومة ويرشحه لمستقبل رتيب .

وكانت أمه أصغر كثيراً من أبيه كما تقدم ، ولكنها على صغر سنها كانت متوعكة شاكية كما قال هتلر في كتابه ، ولم تكن قوية العزيمة لأنها كانت تضعف عن تأديب ولدها والاشتداد عليه ، وقد ماتت في نحو السابعة والأربعين ، وهي سن لا تدل الوفاة فيها على صحة وافية .





أبو هتلر وأمه

ولم يكن أبوه متين البنية ولا كان قدوة في الوفاء وضبط النفس وبراءة  
النشأة . بل كان عرضة لنوبات الفالج تعترية من حين إلى حين ، وكان سريع  
الزواج بعد وفاة زوجته ، وكانت ولادته كما تقدم في غير مهدهم الزفاف المشروع .



هتلر الطفل

فهل ورث هتلر ما يورث من  
هذين المزاجين ؟ لقد كانت أمه تقول  
له في طفولته أنه سريع القمر  
Mondsüchtig وهي كلمة تقارب  
عندنا كلمة « المجذوب » (١)

والذين عاشروه مجمعون على نزقه  
وسرعة بكاؤه وكثرة هياجه وتقلب  
أطواره، ويقول روشننج Rauschnig

(١) كتاب البيت الذي بناه هتلر لمؤلفه الدكتور ستيفن روبر برتس



رئيس مجلس الشيوخ السابق في داتريج أنه يتخبط ويتشنج ويستيقظ من نومه وهو صائح مذعور كأنما يهرب من أعداء ، والشائع عنه الآن أنه لا ينام ليلة بغير دواء مرقد إلا إذا كان مبيته في برختسجادن حيث يهدأ بعض الهدوء (١) فاذا أضيف إلى الأثر الوراثي في الجسد أنه نشأ وهو يعلم مولد أبيه في غير مهد الزواج لم يكن من شأن ذلك أن يعزز فيه ضوابط الأخلاق أو يدعم فيه الثقة بنزاهة الآداب .

ومات أبوه وهو يناهز الثانية عشرة فأصبح عالة على أمه الأرملة بضع سنوات ، ينتظم في الدراسة فترة وينقطع عنها فترات ، وسرعان ما أصيب في معيشة الطواف والتشرد بمرض صدرى أعفاه من الدرس ومن التجنيد ، فتمت له بغيته من ترك الدراسة واجتنب الامتحان .

وحاول أن يلتحق بمدرسة الفنون في عاصمة النمسا فلم يقبله الأساتذة لأنهم لم يلمحوا في صورته مسحة من ملكة المصور الصانع

وكثيرا ما ظلمت مدارس الفن نابغا في صباه ثم أنصفته الدنيا وعرف قدره بعد حين . إلا أننا لانعتقد أن أساتذة فينا ظلموا هتلر حين ردوا صورته وبدسوا من فلاحه ، إذ ليس أدل على صواب رأيهم من اعراضه الباك عن الفن واستغراقه في السياسة ، وهو ما لم يحدث قط في تاريخ فنان عظيم مفطور على الخلق والابداع في عالم الفنون

فلما ردت مدرسته فينا قنع بالنقش والتخطيط وبدا له في بعض هواجسه أنه على مثال «ميكال انجلو» بناء ومثال وليس بمصور لوحات وناقش ألوان ، وساوره من المرارة والضغن ما يلحق بالغرور المصدوم ، فامتلات جوانحه بالسخط والانكار

(٢) راجع كتاب « اننى أعرف هؤلاء الكتاتورين » لمؤلفه وارد پرايس

Ward Price وهو أحد المعجبين به



ثم ماتت أمه وهو في نحو الثامنة عشرة عاجز عن كسب رزقه بسعيه واحتياله .  
فأوى إلى بيوت الصدقة ومدَّ يده بالسؤال ، واجتهد في جمع قوته بنسخ الصور  
ونقش تذاكر البريد ، فلم يظفر من هذه الصناعة بطائل ، ولجأ أحيانا إلى جرف  
الثلج في الشتاء وحمل الحجارة في العمارات ، وهو الرجل الذي كان يعتقد أنه  
خليفة ميكال المجلو على هندسة البناء

وتقضت شديبته وليس فيها أثر من رحم القرابة أو انس الصداقة، فمضى عليه  
في الحرب العظمى أربع سنوات لم يكتب رسالة ولم ترد إليه رسالة ، ولاحظ  
زملاؤه أنه كان يرقب توزيع الرسائل والهدايا بشيء من الحرد والتمرر ، فيأبى أن  
يأكل معهم من أزوادهم حردا وتمررا في الحقيقة لأنفة وعزلة ، لأنه لم يأنف أن  
يأكل خبز الصدقة وأن يبسط اليد بالسؤال

وكانت علاقته بالنساء ولا تزال محفوفة بالغرابة والغموض . فلم يتزوج ولم  
يعاشر معاشره أزواج . وقيل انه لا يزيد على لمس ذنود الحسان والجلوس إلى  
جانبهن ، وانه لا يتعلق بعاطفة من قبيل الألفة والمحبة

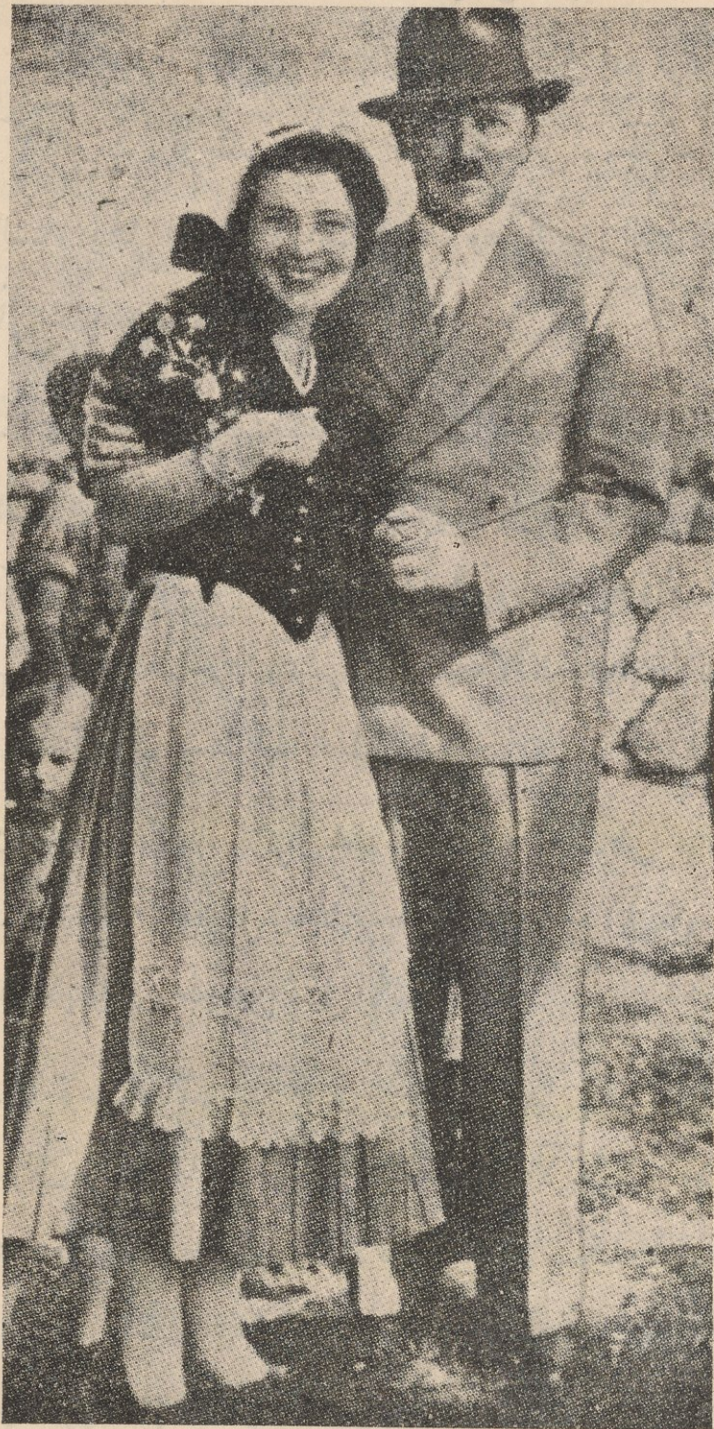
والحادث الوحيد الذي يذكر في ترجمته من قبيل المحبة الغرامية قد يزيد  
الغرابة والغموض ولا يجلوها ، ونعني به حادث انتحار الأنسة جريت روبال  
Grete Raubal بنت أخته التي كانت تعيش معه في مسكنه . فكيفما كانت  
العلاقة بينهما فليس شغف الرجل ببنت أخته وانتهاء هذا الشغف بالانتحار مما  
ينفي الزيف والنشور ، بل هما خليقان ان يشبهاهما أيما اثبات

وجملة ما يفهم من هذه الأحوال أنها أحوال رجل زائف الطبيعة، ناضب العاطفة  
منقطع الصلة « الشخصية » بينه وبين أبناء جنسه ، مستعد للبغضاء وليس بمستعد  
للمودة والوفاء



Heather do not stand beside a woman

-- ٨٦ --



« موقف هتلر مع فتاة »

كتب هتلر إلى صديقه وزميله روم في ذكرى الثورة النازية الأولى خطاباً  
يقول فيه: « يهز نفسي في هذه الذكرى الأولى — يا عزيزي ارست روم —



أن أشكر لك خدماتك التي لا تنفي للحركة الوطنية الاشتراكية والأمة الجرمانية  
جمعاء ، وأن أؤكد لك مبلغ حمدي للعناية الالهية التي أتاحت لي أن أدعو رجلا  
مثلك صديقي وزميلتي .

و بعد أشهر قليلة قتل هتلر هذا الصديق والزميل ومئات من رجاله شرقتة ،  
ووصمه بكل رذيلة من الرذائل التي كان يعلمها ويعتد عنها بين أصحابه ، ولا تمنعه  
أن يفخر بالصدقة والزمالة للعزيرارنست روم . ولم يتقدم هتلر بوثيقة واحدة  
تسوِّغ تلك المجزرة الجائحة فيما بين يوم وليلة ، مع استيلائه على أزمة البحث  
والتحقيق في البلاد الألمانية بأسرها .

وكان هتلر يقول عن القائد فون بلومبرج انه هو الصديق « الذي لو تركني  
لقدفت بنفسى من النافذة » . . . . . ثم ترك هو فون بلومبرج لسبب يدعو إلى  
التساؤل الكثير ، وهو انه تزوج من فتاة قيل عنها انها سهلة الاخلاق تعمل في  
خدمة هيمار رئيس الجواسيس المشهور .

وموضع التساؤل الكثير هو أن هتلر وجورج حضرا الزفاف بل كانا شاهديه  
الوحيدين . فهل يعلم هيمار بحقيقة الفتاة ولا يخبر رئيسه قبل الزفاف وهو الرجل  
الذى يتتبع خطواته ويتأثر حرركاته في ذهابه وإيابه ؟ وهل يغتفر هتلر هذه الزلة  
لرئيس الجواسيس ولا يغتفرها للزوج الخدوع ؟ وهل كان القضاء على مستقبل  
بلومبرج هو حل المسألة الوحيد ؟

أيا كان ذنب روم وبلومبرج وعشرات الأصدقاء الذين انقلب عليهم هتلر مثل  
هذا الانقلاب فهناك أمثلة أمامنا على هوان الصداقة عند الرجل وليس ، هناك مثل  
واحد على صداقة واحدة بينه وبين انسان من الناس غير صداقة المتآمرين المشتركين  
في مكيدة واحدة .

ولم تؤثر في سيرته من طفولته إلى أيامه هذه مائة واحدة من ما أثر اللطف



والنبل وكرم السجية ، وليس في كلامه ولا عمله إلا العدا و «التعاون» على الانتقام  
والايذاء . ولم يعهد فيه قط انه غلب فظهر منه العفو والرحمة بمغلوبيه من الأفراد  
والأمم ، وكل ما في نشأته الأولى يدل على ان خلق الغدر فيه ليس بغريب  
روى بعضهم انه يحب الكلاب والعصافير والأطفال ، ويحمل صورة أمه

حيث سار .



هتلر مع كلبه

والكلاب التي شوهدت معه أكثرها كلاب حراسة ، فهي أخرى أن تدل  
على حبه لنفسه وحذره من أبناء جنسه .

وحبس العصافير قد يدل على كل شيء إلا العطف عليها . لأن أم المخلوق الذي



ركب الله له جناحين لذرع الفضاء وهو محبوبوس في شبرين ، أمر لا يحتاج إلى خيال كبير .

على انه لا حب الكلاب والعصافير ، ولا حب الأطفال والحنين إلى ذكرى الأم ، بالعلامة على العطف السليم ما لم يقتن بقرائن النبل ومكارم الخلق وفضائل الساحة .

فكثير من « المستيريين » يألفون الحيوان ويتعهدونه بالتربية ، ما نفع وما ضر وما كرم وما خبت ، حتى الأفاعى والثعابين . ولا يُعوّل لهم فيما وراء ذلك على مودة وشعور وثيق .

فان لم تكن ألفة الحيوان مقرونة بشواهد الرحمة حيث وجبت الرحمة فهى دليل على فقر الشعور لا على وفرته وغناه ونبل مغزاه . لأنها دليل العجز عن كسب المودة بمجهود عظيم . فلماذا غابت أدلة البر كلها ولم يبق لها من دليل فى نفس هتلر إلا البر بذكرى أمه ؟ وإلا ما يقال من مودته للطفل والكلب والعصفور وهى الخلائق التى يشتري مودتها ولا تكلفه من جانبه مودة انسانية كبيرة ؟ ؟ سبب واحد يفسر ذلك أوضح تفسيرا وأصدق تفسير ، وهو أن المودة الانسانية فى نفسه ضعيفة ، وانه لم يكسب إلا مودة الأم التى تحب ابنها غير فضيلة فيه ، ومودة الأطفال والعصافير والكلاب التى تمنح مودتها بغير جهد عظيم .

فالتعلق بالأم وبالطفل وبالعصفور وبالحيوان الأليف علامة نبل النفس وغزارة العاطفة إذا كانت علامة من علامات كثيرة ، أى إذا عمت شواهدا وفاضت يناييعها حيثما جرى مجراها . أما إذا انحصر الأمر فى هذه العلامة الواحدة فهو على نقيض ذلك دليل الأنانية وشح النفس والمساومة الرخيصة على كسب العطف والولاء بأرخص الأثمان ، فضلا عما يكون له من الطبيعة المستيرية التى لا تستغرب منها أشباه هذه البدوات .

شواهد الرحمة

Psycho



أين العدو الذي عفا عنه هتار ؟ أين الصديق الذي يدخر له بقية من الخير  
بعد انقلابه عليه ؟ أين الأمة التي غلبها فأظهر لها دخيلة من دخائل نفسه غير القسوة  
والغطرسة والتنكيل ؟ أين هو الشاهد الواحد الذي يرينا انه يقسو مضطراً  
ولا يبحث عن القسوة حينما أتاحت له لذته وجنوحه اليها ؟

إذا رأينا هذا ورأينا معه ألفتة للعصافير والكلاب فهنا عاطفة سليمة وهنا  
شعور نبيل . أما إذا بحثنا عن العاطفة وعن الشعور فلم نر لهما أثراً في غير العصافير  
والكلاب فتلك هي وساوس المستيريا وعوارض الأنانية ، ونقص التركيب .



AMERICAN UNIVERSITY  
LIBRARY  
CAIRO

### شجاعة :

يلبس هتارنوطاً واحداً على صدره هو نوط الصليب الحديدى « الذى يقول بعضهم أنه من الطبقة الأولى ويقول الآخرون أنه من الطبقة الثانية »  
ويروى أتباعه أنه استحقته بعمل من أعمال الشجاعة النادرة فى الحرب العظمى ، وهو أنه هبط مع زميل له على اثني عشر جندياً فرنسياً فى خندق قريب من الخطوط الألمانية فساقهم الى الاسر جميعاً بسلاح واحد : وهو الرامية التى يحملها الجنود  
والرواية لم تثبت قط فى سجل من سجلات الحرب الألمانية ، ولانخالها قابلة للاثبات ، فهى أقرب الى الهزل منها الى الجد الرصين  
ومما يلفت النظر فى أمر هذا النوط الذى يعتم به هتار اليوم أنه لم يذكره قط فى كتابه الذى ذكر فيه ما هو أهون وأصغر من هذا الشرف البارز ، وأنه لم يترق قط الى رتب الضباط مع افتقار الجيش الألمانى الى الضباط المترقين من صفوف الجند المتعلمين فى مراحل الحرب الأخيرة  
وقد وقع الاختيار على هتار للمراسلة فى مكتب الفرقة المتطوعة فلم يكن من الذين يحضرون حرب الخنادق فى جميع الملاحم . وثبت أن الاصابة التى انتقل من جرائها الى المستشفى قبيل انتهاء الحرب كانت أهون كثيراً من الاخطار التى تعرض لها غيره . لأنها كانت إصابة بالغازات المدممة Lachrymatory gas



AMERICAN UNIVERSITY  
LIBRARY



هتلر مع زميلين

التي لا تستلزم الالتحام في الهجوم ، ولو أنه أصيب بأقوى من هذه الغازات لما  
سلم نظره ولا زالت آثاره كل الزوال كما ثبت من امتحان عينيه  
وربما كان في قصص هتلر عن الحرب العظمى أكاذيب كثيرة لا أكذوبة  
واحدة أو أكذوبتان . فانه يكذب في الأمور التي لا خطر لها كقوله مثلاً أنهم



كانوا يتغنون في الفرقة المتطوعة أثناء معركة الايبر بنشيد « المانيا . المانيا فوق الجميع » مجارة لمن كتبوا عن الحرب من بعيد . وقد حقق الدكتور فريدولين سولدر Fridolin Solleder مؤرخ الفرقة أنها كانت تتغنى بنشيد آخر عنوانه

الحراسة على الرين Die Wacht am Rhine



ويذكر هتلر غير ذلك من الأحاديث التي تحيط به - اشكوك ولا تقل عن هذه الشكوك !

على أن الحرب العظمى شيء بعيد، والحديث عنها عرضة للنسيان والمناقضة والادعاء ، وفي تاريخ هتلر واقعة مؤيدة في المحاكم والسجلات بشهادة الشهود والحاضرين ، وهي واقعة ميونيخ التي حاول بها إسقاط الحكومة ثم صدمته طلقات النار من حراسها فلاذ بالفرار

هتلر كما كان في الحرب الماضية

قال شهود العيان في تلك الواقعة أن

لندورف وجورنج صمدا لطلقات النار ، فأسر لندورف وجرح جورنج ثم نجا بنفسه الى ما وراء الحدود . أما هتلر فسرعان ما سمع الطلقة الأولى حتى طرح نفسه على الأرض فجأة بغير احتراس ، فالتحمت كتفه لشدة الوقعة وتقرر ذلك في الكشف الطبي الذي أجرى عند اعتقاله ، وكأما كان يحسب حساب الفرار قبل الهجوم فأوصى سـيارة أن تلحق به وركبها وحده دون أن ينتظر فيها انقاذ أحد من زملائه في تلك المخاطرة

وقد كان فرار هتلر حقيقة لا تقبل الجدل ولا الاعتذار ، فلما أكثر خصومه تعييره وتبكيته خطر له بعد بضع سنوات ان يرحض عنه مسبتها ويقطع جريتها ،



فصعد يوما على منبر الخطابة والى جانبه غلام ناشيء قدمه الى السامعين وقص عليهم  
أسطورة له لا تقبل التصديق : خلاصتها أنه كان قد وجد الغلام في الطريق —  
وكان طفلا يوم هجمة ميونيخ — فأشفق أن تصيبه النار وحمله مهر ولا لينقذه  
من الموت ، ونسى هتلر أنه كان مخلوع الكتف في ذلك اليوم ، وأن العظام  
المخلوعة لا تطيق اللمس الرقيق فضلا عن حمل الأطفال والعدو بهم عدة أمتار ،  
ونسى أن قصة الغلام كانت مجهولة كل الجهل لا يشير اليها أحد من المدافعين  
عنه في الفترة بين يوم الهجوم ويوم الخطاب !

وقصارى القول أن شجاعة هتلر لم تثبت قط ثبوت اليقين ، ولم تعل قط  
على مظنة الشك والانكار ، ولم نعرف لها مؤيدا من مسلكه الطويل في قيادة  
الامة الالمانية ، وهو يحيط نفسه بالحراس والجواسيس ويوشك أن يتحصن من  
أقرب المقر بين ، مما لم يعهد له نظير في سرايب أجبن القياصرة والخواقين .



### مبلغ صدق :

وللعلم بمبلغ الصدق في خلق الرجال السياسيين لا يصح أن نسأل : هل كذبوا أو لم يكذبوا ؟ فإن الرجل السياسي قد يكذب وطبعه صادق ، وقد يلجأ إلى الكذب حين يلجأ إليه وهو مغضوب مغضوب كما يفعل الانسان وهو يتجرع الدواء العلقمي ، لضرورة من ضرورات الداء

وانما يكون السؤال : ماذا يكلفه الكذب ؟ هل يكذب وهو مستريح أو يكذب وهو مكره متبرم ؟ وهل يسترسل في كذبه أو يقتصد فيه اقتصادا على قدر المصلحة الموقوتة ؟ وهل يتجاوز الحد في اختلاقه أو يكتفي بكتام الحقيقة وتلوينها بغير لونها ؟

فالسياسة كالحرب خدعة ، وليس كل كلام يقوله السياسيون صادقا جد الصدق في حرفه ومعناه . فيجب ألا تحكم على السياسي بكذب كلامه بل الواجب أن تحكم عليه بحالته وهو يكذب ، فإن هذه الحالة هي التي تبين لنا هل هو رجل صادق يشد في كذبه أو هو رجل كاذب يطرد في قياس عاداته حين يختلق ما يختلق من الأكاذيب والأراجيف

فاذا رجعنا إلى هذا القياس مع هتلر فكيف نجده في كذبه ؟ انه لم يكذب قط كما يتجرع المرء الدواء الكريه ، ولم يكتف قط من الكذب بمقدار معقول ، ولكنه يكذب كمن يكرع من شراب لذيد يعب منه عباءة ويخشى أن تنزع كأسه من يديه . . . !



فانظر مثلاً إلى قوله عن روسيا : « ان دولة واحدة فقط هي الدولة التي  
اشتهر من الاتصال بها أية صلة على الاطلاق . تلك الدولة هي روسيا الشيوعية »  
١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٧

أو قوله عنها : « سنمضي عهد المسالمة مع جميع أمم العالم ما عو ماننا معاملة  
الانصاف . إلا في الشرق فلن ندخل في عهد من هذا القبيل ، إذ أن الجرمان  
لن يناخوا عن البلاشفة ، ولن يخطوا خطوة واحدة في مثل هذا الكفاح .  
ونخبر لى أن أشنق نفسى من أن أطأ بقدمى هذا الطريق الوبيل » مايو ١٩٣٥  
وانظر إلى قوله عن المعاهدات « ان المانيا لن تسلك سبيلا غير السبيل التي  
رسمتها المعاهدات ، وستبحث الحكومة الألمانية جميع المسائل الاقتصادية  
والسياسية في نطاق المعاهدات وعلى حسب مقتضاها . . . . . وليس في الألمان  
من يفكر في غزوأمة من الأمم » ٢٧ مايو سنة ١٩٣٣

وانظر إلى قوله : « ان زعم الزاعمين أن الريخ الألماني يدبر الخطة لا كراه  
الحكومة النمسوية هو زعم سخيف لا برهان عليه . . . . . وانى لأدفع بكل قوة  
ذلك الادعاء الذي تدعيه الحكومة النمسوية عن تدبير غارة أو شروع في غارة  
على بلادها . وما فتىء الريخ الألماني على استعداد لبسط يد المودة والتفاهم  
الصحيح فيما يكفل حرية الألمان النمسويين ، وهو على أتم استعداد — وقد انتهت  
مسألة السار — لرعاية ميثاق لوكارنو حرفا ومعنى غير قانع برعايته من حيث  
المعنى وكفى ! » ١٣ يناير ١٩٣٤

وانظر إلى قوله : « ان عهد المفاجآت قد انتهى اليوم » أو إلى قوله عقيب  
ضم السويد أن ألمانيا لاتطلب بعد الآن أرضا في القارة الأوربية !  
أو انظر إلى عشرات من أمثال هذه التصريحات التي لا يقتصد فيها أقل



اقتصاد ولا يعنى بها الا تقيض معناها كعهوده لأصحابه وعهوده لجاراته من أمثال الدعرك وبلجيكا وهولندا وغيرها . فهل هى كلام رجل يكذب مكرهاً مقتصداً أو هى كلام رجل يكذب بغير حساب ولا يبالي أن ينقض فعله أقوى توكيداته وأقسامه ؟

وليس هذا شأنه فى وعوده « الخارجية » وحدها ، بل هو شأنه فى جميع الوعود والتوكيدات

فقد أكد لمدير الشرطة ووزير الداخلية فى ميونيخ أنه لا يعمد إلى انقلاب ما عاش ، فلم تمض أيام حتى عمد إلى انقلابه المشهور وأكد للرئيس هندنبرج أنه يؤيد الوزارة القائمة بعد الانتخاب فنقض توكيده فى اليوم التالى لظهور النتيجة الانتخابية

وأكد للأمة الألمانية أنه فى غنى عن تكرير مذابح برتلماوس اكتفاءً بأحكام القضاء ثم أدار الذبح فى أنصاره وخصومه بغير تحقيق ولا محاكمة ولا إعلان أسباب

ولا موجب فى الواقع لاحصاء أكاذيبه وتسجيل نقائضه بعد أن أعلن بلسانه شريعة الكذب فى انجيل دعوته حين قال : « ان الألماني لا يدرك على الاطلاق أن الأمة لا بد أن تخدع وتضلل للظفر باخلاص الدهماء » . . . . أو حين قال « ان من دواعى تصديق الأكذوبة مبلغ ضخامتها ، فان الدهماء فى سذاجتهم ليقعون فريسةً للأكذوبة الكبيرة قبل الأكذوبة الصغيرة »

ولقد نفى المذيعون الألمان روايات روشننج التى نقلها عن هتلر ونسوا ان الرجل لم يقل إلا بعض ما تقوله أفعال الزعيم وأحاديثه وعاداته فى نقض وعوده . فمن هذا الذى نقله روشننج أن هتلر قال له بعد توكيد من توكيداته المشهورة : « انى على استعداد لتوقيع كل اتفاق وضمان كل حد وتأمين كل من شاء بميثاق



من المواثيق ، فان التخرج من استغلال هذه الأمور هو فكرة باهية . . . »  
فهل كذب روشننج في الرواية ؟ ليكن . . . فهو مع هذا لم يزد مثقال  
ذرة على ما علم الناس من أفعال هتلر وعاداته التي يعلنها للملأ في بلاده وغير  
بلاده ، ولا يفضي بها سرا لصفوة الزملاء وراء الجدران  
فهو رجل يستمرىء الكذب غير مقتصد فيه وغير مبال بعقباه ، وليس  
الكذب عنده جرعة دواء مكروه ، ولكنه شراب سائغ يعب فيه ظمان



هتلر في بوبة سوداء



## غرابية الاطوار :

يراد الانسان على بعض الأشياء

ويريد هو بعض الاشياء

والاشياء التي يراد عليها ويساق اليها ليست هي التي تكشف لنا دخيالة

نفسه وحقيقة أطواره ، لأنها صادرة من غيره

وانما تنكشف لنا دخائله وأطواره من الأشياء التي يريدنا هو حسب

مشيئته ووفق مناه ، وبخاصة ما كان منها في معيشته البيتية التي يخلو فيها لنفسه

ويتصرف فيها بوحى هواه

وهنا تبدو غرابية هتار في كل شيء : في مسكنه ومطعمه وفرجته وسلواه .

فيبدو لنا عقل نصفه في النور ونصفه في الظلام ، أونصفه في ضحوة الواقع ونصفه

في غياهب الأحلام والأوهام : انسان يهرب ! انسان يلوذ بالفرار . . . . ومن ثم

يبدو لنا أيضا أنه فيما يرتقى اليه من ضجة السياسة ودوى الحركة ومواكب

الجيوش ومظاهر السطوة انما هو انسان هارب ، لانه بالفرار

قال السفير الفرنسي في برلين — ماريو فرانسوا بونسيه — من خطاب

كتبه إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ العشرين من أكتوبر (١٩٣٨)

« لما طلب المستشار الألماني في السابع عشر من أكتوبر أن اذهب اليه

بأسرع ما أستطيع ، وضع رهن مشيئتي طائرة من طياراته الخصوصية ، فركبتها

في اليوم التالي إلى برختسجادن بصحبة الكابتن ستهان ، ووصلت اليها حوالي



الساعة الثالثة بعد الظهر ، ومنها أخذتني سيارة لم تذهب بي إلى ( أوبر سالزبرج ) حيث يسكن الفوهرر ، بل ذهبت بي إلى مكان عجيب يجب أن يقضى فيه أيامه عندما يروق الهواء

« والمكان يلوح على البعد كأنه مرصد فلكي أو صومعة صغيرة محطوطة فوق أعلى القمم هناك على ارتفاع ستة آلاف قدم ، وتلتف الطريق إليها مسافة تسعة أميال مقدودة في الصخور ، تشهد الجراة في نحتها بمهارة مهندسها طود كما تشهد بمجهود العمال الذين فرغوا من هذا العمل الضخم في مدى سنوات ثلاث

« وتنتهي الطريق أمام سرداب يفضى إلى الجبل وينغلق عليه باب مضاعف من الشبهان ، ويؤدي في طرفه الآخر إلى مصعد عريض مصفح بالنيحاس يرتقى رأسا إلى ثلاثمائة وثلاثين قدما حيث يقيم المستشار . وهنا نبلغ من الأعجوبة غايتها القصوى ! فيرى الزائر أمامه بناء ضخما متينا يشتمل على رواق عمدان رومانية ، وعلى بهو مستدير تحيط به النوافذ والمطلات ويبرز فيه موقد كبير تشتعل فيه الأحطاب الضخام ، وأمامه مائدة يحرق بها نحو ثلاثين كرسيًا ، وتنفتح على الجوانب أبواب حجرات شتى مؤثثة بالمقاعد المرحة الوثيرة

« ويطل الزائر من كل جانب كما يطل من الطيارة المحلقة على مشهد متلاحق من الأطواد ، وتترأى له على البعد - وراء منظر كأنه الدرج الرحيب - بلدة سالزبرج والقرى التي تحف بها ، يشرف فوقها على مد البصر أفق من القمم والشواهد والمروج والآجام كأنها تتشبت بالسفوح

« وفي الجيرة الملاصقة بالمكان حائط ينبثق أمام العين انبثاقا مفاجئا يخيل اليك أنه قائم في الفضاء بغير عمد ولا أساس

« وكل أولئك يبدهك وهو مغمور في شفق الخريف كأنه شيء آبد مغمم يقرب من البحران . فيعجب الناظر ويتساءل : أفي يقظة هو أم في منام !



ويود لو يدري هل ذلك حصن مونسلفات الذي يأوى اليه فرسان الآنية المقدسة ؟  
أو هو صومعة جديدة في جبل آتوس تحبىء ناسكا يتهدد ويسترسل في التفكير  
والعبادة ؟ أو هو قصر انينيا يرتفع في قلب الجبال الأطاسية ! أو هو تجسيد لبعض  
تلك الرسوم الخارقة التي كان فكتور هوجو يخطط بها هوامش روايته عن حكام  
الجرمان ؟ أو هو خيال مليوني لا يدري ما يصنع بأمواله ؟ أو مباءة عصابة يركنون  
اليها ويجمعون فيها الذخائر والكنوز ! هل هو خاطر عقل سليم أو هو خاطر  
انسان معذب بجنون العظمة وهو اجس الشوق إلى التفرد والسيادة ؟ أو ليس هو  
إلا خاطر انسان ملكته المخاوف والظنون ! »

« على أن هناك مسألة واحدة لا يُغضَى عنها ولا تقل عن المسائل الاخرى  
قيمة عند من يدرسون هتلر من الوجهة النفسية ، وهي أن مداخل البيت وخبائاه  
ومناذه كلها تحميها الجنود ومكامن المدافع الرشاشة »

قال السفير : « واستقبلني المستشار بحفاوة ومودة ، وكان يبدو متعبا شاحب  
السحنة ، ولكنه لم يكن في يوم من أيامه الهائجة ، ولعله كان في فترة هدوء  
واسترخاء ، فأخذني تواء إلى إحدى نوافذ البهو الكبير ، وأراني المنظر واستراح  
لما شاهده على من سمات الاعجاب التي لم أحاول اخفاءها ، وتبادلنا بعض التحيات  
والجملات ، ثم جرى بالشاي في إحدى الحجرات القريبة ، وبدأ الحديث على  
أثر خروج الخدم وإغلاق الأبواب بيننا نحن الثلاثة ، وأعنى بالثالث هر فون  
رو وبنتروب الذي لم يشترك في الحديث إلا في مناسبات قليلة لم يكن يزيد فيها  
على تأكيد ملاحظات الفوهرر

« وكان ادولف هتلر مستاء من ذيول الاتفاق في ميونيخ ، فقد كان يعتقد  
أن اجتماع الاربعة الذي أزال شبح الحرب وشيك أن يفتح عهدا من عهود



المسألة والعلاقات المتحسنة بين الأمم ، ولكنه لا يستطيع أن يرى شيئاً من ذلك  
قد حدث . . .

« ان غيوم الأزمة لم تنقشع ، ويوشك ان لم تتحسن الامور أن تغدو شراً مما  
كانت في مدى فترة قصيرة ، لأن بريطانيا العظمى تصل صليها بالانذار والدعوة  
الى السلاح ، وتلك مناسبة انتهزها الفوهرر للانطلاق في حملة من الحملات  
الكلامية المعهودة في خطبه سنها على تلك الدولة وعلى أثرها وإيمانها الصبياني  
بتفوقها ورجحان حقوقها على حقوق غيرها . ثم سكنت جائشة الفوهرر بعد  
قليل . . . »

\*\*\*

هذه البدوات التي وصفها السفير الفرنسي ليس فيها مبالغة ولا اختراع ، لان  
عش الفوهرر معروف مشهود مكرر الوصف في أقوال الكتاب ، لا خفاء به ولا مثيل  
له بين مساكن العقلاء . وقد بلغت تكاليف بنائه وتأثيثه وتعبيد طرقه الملايين  
من أرزاق شعب يشكون باسمه الضنك والفاقة ، فهو وليد التفكير المتسلسل الدائم  
وليس بالنزوة التي لا تلبث أن تطراً حتى تزول

ومثل هذا الروع بالاغراب في المسكن والاستكانة إلى المناظر المسحورة لا يعهد  
في غير من أدمنوا الخدرات أو شوهدت عليهم أعراض الخبل والانتكاس .  
ففي تاريخ بافاريا الحديث ملك من هذا القبيل كان يزين الأشجار بالمصابيح  
المستورة ويحف الغرف والمنازه بالسراديب المسحورة . ثم طبق عليه الجنون فمات  
في إحدى نوباته وقيل انهم قتلوه .

وفي توارينخ الملوك الهمجيين أو انصاف الهمجيين « قلعة » كهذه القلعة  
المتلرية بناها الملك الزنجي خريستوف الذي استقل زمناً في أوائل القرن التاسع  
عشر بالسيطرة المطلقة على جانب من جزيرة « سان دومينيغو » . . . فقد عن له



أن ينفرد بقصر لا نظير له في قصور الملوك ، فأمر ببناء قلعته المشهورة على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم ، ولبت المهندسون يعملون فيها خمس عشرة سنة ولاءً ورفعوا جدرانها من ثمانين إلى مائة وثلاثين قدماً وعرضوها من عشرين إلى ثلاثين ، وأحاطوها بثلاثمائة وخمسة وستين مدفعا من الشبهان على عداد أيام السنة : كل يوم مدفع لا يتكرر في سائر الأيام !! ثم شل هذا الطاغية فأيقن بزوال ملكه واقتراب يوم هلاكه ، فأعد لنفسه قذيفة من الذهب أطلقها على صدره من مسدسه يوم هجم الثوار عليه .

يا للتندر من ساخر قدير! . . . . . فهذا القدوة الصالحة لزعيم الآريين وصفوة الجنس الأشقر زنجي أسود منتمكس الخليقة ، وليته زنجي سليم!

ولا شك ان النزعات « المسحورة » التي من قبيل نزعات هتلر لا تنشأ بين يوم وليلة . فهي داء قديم قد لازمه في شبابه وكن في طوية نفسه وامتزج بأفكاره وآماله . وقد روى هانيش Hanisch زميله في صباه وشريكه في بيع تذاكر البريد : ان هتلر شهد يوما وهو في الحادية والعشرين شريطاً من شرط الصور المتحركة عنوانه « النفق » يخطب فيه رجال يلقى خطبته في نفق ويصبح بعد ذلك زعيماً لبلاده . فالتهب هتلر شوقاً إلى محاكاة ذلك الزعيم وخطر له أنه يفتتح زعامته بفتحة نفخة لو تسنى له أن ينشئها بخطبة يلقيها في نفق من الأنفاق . وتحدث بهذه الأمنية الساحرة إلى زملائه فضحكوا منه وأثقلوا عليه المزاح (١) .

وهناك اليوم قصور تبني ثم تهدم في برلين ، وشوارع توسع جوانبها على الرغم من جدة المباني التي تشرف عليها ثم لا يكون لتوسيعها من سبب إلا أن تصبح أوسع مثيلاتها في أوربا وأمريكا ، ومكاتب يباهون بجلب الخشب لها من ثمانى



عشرة مملكة ، ومظاهر شتى من مظاهر السموق والروعة لا يضمنون بالمال عليها  
وكلها فيما نظن وليدة الطبع المنتكس وترجمة ذلك « الخطاب في النفق » الذى لا  
يزال يُترجم في عالم السياسة كما ترحم في عالم البناء .

نعم لا يزال يُترجم في عالم السياسة ليوقع العالم في مجاهيل لا حد لها من  
جراء هوسه غالبية .

وإلا فما هو « صرح الدولة الجرمانية التى تسود العالم بأسره » إن لم يكن نسخة  
في عالم السياسة من قصور ألف ليلة أو من صومعة الجبل التى وصفها السفير؟  
انه لصرح يهرب به العقل المصروع من عالم الصواب والرشاد إلى عالم الجنون  
والبدخ والتهاويل .

انه ناطحة سحاب أو مخبأ فى سرداب ، أو حجاب لا يستر ما وراءه من التبليل  
والاضطراب .

وشأن هتلر فى الطعام كشأنه فى السكن من الوله بالغريب والجري على سنة  
الايخارج المسرحى ، والتعاطف بأمثال الاشاعات التى تشاع عن كواكب الصور  
المتحركة فيما يأكلون ولا يأكلون ، وفيما يلبسون ويخلعون .

تارة يقال انه صائم عن اللحوم ، وتارة يقال انه لا يستنزل الوحي إلا بأصناف  
الجوز والبذور ، ويوماً يقال انه ترخص فأباح نفسه البيض وحساء الدجاج ،  
ويوم ينقضى على هذا فيقال انه عاد فحرم على نفسه ما أباح . وهكذا دأبه فى  
التبغ والجمعة وسائر المرطبات .

ايخارج مسرحى لا أكثر ولا أقل .

فان كان وراء الايخارج المسرحى حقيقة فهى شىء تافه لا غرابة فيه ولا موجب  
لكل فيه هذه الأقاويل .



رجل يصاب في صدره فتيةً فيدرج على كراهة التدخين ، ورجل لا ينام أحياناً من أثر الهستيريا والاجهاد فيهبجر القهوة حيناً ليستدرج النوم، ويشربها حيناً لأنها لن تضره مع السهاد .

ورجل يرث بنية الفالج والنوبات ويقضى السنوات وهو لا يدرك الوجبة الواحدة في اليوم أو الأيام المتوالية ، فيعتريه عسر الهضم ويتقلب في اختيار المأكولات ، ويعيب بكأس من الشراب الشديد .

وكل هذا مألوف لا غرابة فيه ، ولكن كيف يتفق هتلر والمألوف ؟ وكيف ينجح إلى الناس ان هتلر يأكل كسائر الناس ؟

إذن تنقلب المألوفات فاذا هي رياضة ونسك واتصال بعالم الغيب وترفع عن ضعف الأدميين أبناء الفناء .

وإذا أنالته البساطة ماتنيله الفخفة من التهويل واللغظ والاستغراب فلا ضير إذن من البساطة المسرحية على شريطة أن تكون شيئاً يطاق : كسوة تخلع ثم تلبس بعد ساعات ، وليست كوخا يسكنه ما عاش ، أو مكتباً يشاهد فيه أيان ذهب إلى الديوان .

وان الناس إذ يشهدون هتلر في كساء بسيط ليقولون : انظروا وانظروا واعجبوا اعجبوا ... أكثر مما يقولون انظروا أو اعجبوا لهتلر في الطيالس والقراء . لهذا تأخذ البساطة نصيبها من مظاهر هتلر ، ويكون فيها أجن بالفخفة والاغراب مما يكون في الحلل والحلى المسومات .

ونظرة خفية إلى نقائص النفس الانسانية ترىنا ان بساطة هتلر في الكساء وغرابة هتلر في البناء هما عنوانان لصفة واحدة ، أوهما فرعان لجذع واحد : هو الغرور والادعاء .

فهتلر البسيط في كسائه لا يتشبه بعلمة النبلاء في لباسهم الفاخر لأنه يعلم أنهم



يترفعون عنه ويعتزون عليه بالحسب والعراقة فيتحداهم ويأبى أن يعترف لهم بأنه  
نسى أصله ايثاراً لأصولهم ، أو بأنه دونهم في القدر لأنه يتشبه بهم ويود لو نشأ  
على غرارهم .

ولكنه لا يصنع هذا الصنيع في بناء الصوامع والقصور ، فلماذا يتفخم هنا  
ويتبسط هناك ؟ ولماذا يختلف فعله في كسائه من فعله في مأواه ؟

لأنه خليفة « ميكال انجلو » في عبقرية النحت والعمارة ! . . . . . فالناس  
لا يقولون إذا رأوه في الصرح المشيد : « ذاك هو المحدث الذي يتشبه بالمعرقين ! »  
بل يقولون : « ذاك هو الفن العبقرى ! وتلك هي القريحة النادرة التي تتجسم  
العيان باعجاز بارئها القدير ! » .

وكلاهما غرور ، وكلاهما ادعاء !

فالرجل ناشز في تبسطه واغرابه ، هارب من الواقع فيها يدعيه ولا يدعيه ،  
متعلق بالقصور المسحورة والأبراج الخرافية سواء بنى في عالم السياسة أو بنى في  
عالم المعمار .



### كفاءة الزهنية:

والمشهور عن زعماء السياسة أنهم لا يعملون كل ما ينسب اليهم ، ولا يكتبون كل ما يكتب بأسمائهم ، وهتلر ليس بالاستثناء من هذه القاعدة ففي برلين مكتب برئاسة سيير Speer أستاذ العمارة « ينفذ » ما يوحى به الزعيم من الخواطر والرسوم في إقامة المعاهد وفتح الطرق والميادين

وقد يختلف المختلفون فيما هو لهتلر وما هو لمكتب التنفيذ من تلك الخواطر والرسوم . فكثيرا ما يكون الفضل كله للمكتب في ابتداء الرسم وانجازه ثم يقال أنه من عمل الزعيم أو الرئيس ، وكثيرا ما يعرب الزعيم أو الرئيس عن رغبته بكلمة واحدة ثم تأتي التفاصيل بعد ذلك على يد أعوانه ، وهو لا يدري بها إلا عند انجازه والاحتفال بابرازها

هذه أمور شائعة لا يجربها المطلعون عليها في الدواوين . إلا أن الحقيقة الراسخة من وراء كل جدل وكل مرأه هي أن الفنان الموهوب لن يترك منه ليعقد مصيره بالسياسة وغيرها من المطالب كأننا ما كان نصيبه منها ، لأن الهبة الفنية كالوظيفة العضوية التي لا تقبل الاهمال ، ولا تزال في الحاحها على صاحبها كالهيام القلبي في الحاحه على العاشق الممتلىء بالحياة ، فلا هو يغفل عنها ولا هي تمهله الى زمن طويل وهذه الحقيقة وحدها — بنجوة عن جميع الأقاويل وجميع الاسانيد — هي الحكم الحاسم في كفاءة هتلر الفنية ، أو فيما يدعيه من مواهب التصوير والبناء . فهي لن تعدو الطبقة الوسطى بحال ، ولن تتجاوز نصاب التذوق الشائع



بين مصطنعي النقد والموازنة في الفنون، حتى لو اسندنا اليه جميع الرسوم التي تحمل

اسمه في متحف العمارة بمدينة ميونيخ

ومن خصائص هتلر أنك لا تجد فيه صفة واحدة « خالصة » للعظمة وصحو  
العقل والطبيعة . فكل صفاته النفسية والفنية ملتبسات بين الاضطراب والسلامة ،  
وبين الهبوط والرجحان

مثال ذلك أنه يعجب بالموسيقى الكبير « فاجنر »

وفاجنر هو الموسيقى الذي يعجب به المجانين والعقلاء... فقد كان راعيه الاكبر  
الملك لدفيج البافاري مخبولاً مات في خبله ، وتنفق الآراء بعد ذلك على أن فاجنر  
هو موسيقى المردة والغيلان « والشخصيات » المنتفخة التي تقرب من التشويه  
ومن المسخ الكريه : يسمعه العاقل فيعجب لحسن تمثيله هذه « الشخصيات »  
العجيبة وحسن تعبيره عنها بالاصداء والألحان ، ويسمعه المجنون فيلهس من  
سريره موضع التشويه والانحراف ، ويرى نفسه مفهوماً على نحو من الانحاء

وهتلر ينكر « موسيقى الجاز بند » وما شابهها من فنون النحت والتصوير

الحديث التي يزرعها يعقوب ابشتين Jacob Epstein

ولكنه ينكر كل شيء حسن أو قبيح مصدره من الزوج كملك الموسيقى ،  
أو كفن النحت والتصوير الذي يزرعه ابشتين واخوانه في الطريقة... فان ابشتين  
له عند هتلر سيئتان لاسيئة واحدة . لأنه اسرائيلي فهذه هي السيئة الاولى . . .  
ولأن تماثيله قريبة في طريقتها من طريقة الأصنام الافريقية! فهذه هي السيئة الثانية  
وقد أبى هتلر أن يصفح الاوائل السابقين من الزوج في الالعاب الرياضية  
العالمية وهم ضيوف بلاده . فاذا كانت العاهم لا ترضيه وهي العاب الرياضيين في  
جميع الأمم البيضاء أو السمراء فهل ترضيه موسيقاهم وهي شيء يجوز أن يختص  
بالزوج دون سائر الشعوب ؟



وعلى هذا النمط يصحو ذهن هتلر وصحوه مقسّم بين العوج والاستقامة ، وبين العلة والعافية ، فلن يفهم أبدا على وجه الصحة وحدها في حال من الأحوال وما يقال عن التصوير والموسيقى يقال من باب أولى عن الكتابة والتأليف . . . فان أحدا من أتباع هتلر لا يدعى له ملكة الكتابة الموهوبة ، ولا يثنى على أسلوبه ثناءه على أسلوب بارع أو جميل ، وأن حسبوا كتابه « كفاحي » انجيلا للنازيين

والشائع — حتى في أمر هذا الكتاب — أن تفكيره مستمد من الجنرال كارل هوشوفر Karl Haushofer صاحب مذهب السياسة الجغرافية أو «سياسة الجغرافية» التي تعد من مبتكراته ، والتي يتولى إدارة معهد الأعلی بمدينة ميونيخ Geopolitics

وإن هس Hess كاتب هتلر الخاص قد اشترك في تأليف كتابه وتنقيحه ، وأصبحت له حصة فيه يعطاها كل عام ، وقيل انها لا تقل عن خمسة آلاف جنيه لكن الطابع الهتلري مع هذا موجود متكرر فيما ينسب الى هتلر من خطب أو رسائل أو أحاديث

فليس هو عالة على أعوانه ومساعديه ، وليست اللهجة الغالبة في كتاباته لهجتهم المتفرقة بل لهجته هو التي تتكرر على وتيرتها المعهودة ، في كل خطبة وكل رسالة وكل حديث

وفي اعتقادنا أن الرجل لا يخلو من عبقرية ، وهبة ذهنية لكننا خلقاء أن نحترس في فهم معنى العبقرية هنا لنفهم منها ما نريد في هذا السياق

فعند جمهرة الناس أن العبقرية هي أعلى مراتب الذهن وأرفع طبقات التفكير وهذا خطأ



فأما العبقرية حالة تصاحب كثيراً من المراتب الذهنية ، وتشاهد في كثير من الصناعات : فهناك الفيلسوف العبقرى والنجار العبقرى ، وهناك القائد العبقرى والخدام العبقرى ، وهناك عبقرية الاصلاح وعبقرية الاجرام . وهناك عبقريات لانهاية لها في أرفع الصفات وفي أوضع الصفات ، كأنما هي حالة الاتقاد التى تشترك فيها جميع الأجسام على درجات مختلفة من الحرارة

ولا يلزم أن تكون الفكرة العبقرية « احسن » فكرة من قبيلها ، بل كل ما يلزم أن تكون الصبغة العبقرية باديةً عليها وهذه الصبغة مما يصعب تعيينه وتوضيحه ، ولكننا نقر بها بعض التقريب ونوضح مانعنيه بها جهد المستطاع

فالعبقرية أقرب إلى الغريزة والبداهة منها إلى التفكير المسبب والقياس  
المدرّوس

ولها خاصة الحماسة والتوهج والرغبة ، فلا يباشرها الانسان وهو كاره أو طامع في الجزاء ، بل يباشرها كأنه مقبل على رياضة شائقة وممتع محبوب والعبقرية تضلل من يراقبها أشد التضليل ، لأنها تفاجئه بالمتناقضات وماهى فى باطن الأمر بالمتناقضات ، إذا نحن نظرنا إلى بواعثها ولم ننظر إلى عوارضها وأشكالها

فالعبقرية شخصية

والعبقرية طلاقة من القيود

كل عمل يعمله العبقرى ففيه مسحة من لوازمه الشخصية لا محالة ، فهو من ثم مطرّد على قياس

وكل عمل يعمله العبقرى فهو خارج فيه على القيود ، نأثر على القواعد والمصطلحات . فهو من ثم لا يطرّد ولا يفتأ مخالفاً للمتوقع والمألوف



وها هنا التناقض الظاهر

ونخطو خطوة وراء هذا التناقض الظاهر فنرى « مفتاح الشخصية » الذي

يفسر لنا كل نقيضة ويعلل لنا كل مستعص على التعليل

مثال ذلك غريزة الهجرة في الطيور ، وقد قلنا أن العبقرية أقرب إلى

الغريزة منها إلى التفكير

فالهجرة لها — ولا ريب — غاية واحدة هي طلب الغذاء والسلامة من برد

الشتاء ، وبوحى هذه الغاية يهتدى الطير إلى الأوقات والمسافات هدايةً لدنية لا

تجاريتها في الدقة أرصاد الملاحين وآلات الفلكيين

لكنها مع هذه الدقة سبب الغرق والهلاك لألوف الألوف من أسراب

الطير ، التي ما تحركت إلا ابتغاء السلامة والغذاء

ومثال آخر غريزة التناسل ودوام الاتصال بين الجنسين

فلماذا يستأثر الرجل بالمرأة ؟

طلباً للذرية لامراء

وماذا يصنع الرجل الذي يرى ابناً له يخونه في زوجه ؟

انه يقتله أو يهيم بقتله !

وهنا التناقض الظاهر :

فهو يقتل ذرية حاصلة إذ هو يطلب الذرية المجهولة المشكوك فيها

ولكنك مع ذلك تفهم معنى هذه الغيرة واستقامتها مع الطبيعة ، وترى

ما وراء التناقض الظاهر من القياس المستقيم

وهكذا تناقض العبقرية : أما هو تناقض في الظاهر ، واستواء عند الرجوع

إلى أسرار الشخصية الخفية



وهذه هي خصائص العبقرية التي حاولنا تقریبها وتوضيحها منعاً لخطأ  
المخطئين إذ يفهمون أن العبقرية هي أرفع مراتب العقول ، وأن الفكرة العبقرية  
هي « أحسن » ما تجود به الأفكار

كلا ! ليست العبقرية بأرفع مراتب العقل ولا هي بأحسن ضروب التفكير  
ولكنها « حالة » على الوصف الذي قدمناه توجد في الذروة كما توجد في  
الخصيض ، وتنتظر في الترياق كما تنتظر في السم الزعاف

وعبقرية هتلر هي عبقريته في إدراك الجماهير ومراوغات السياسة . فما يفهمه  
في هذا الباب هو شيء بمعزل عن الاطلاع ، وعن الخبرة المألوفة ، وعن الدرس  
والتعليم ، وهو شيء أقرب إلى تفاعل المواد وتبادل الأثر في الأجسام . فمن  
الجماهير يعلم ما تريده الجماهير ، وفي وثبة الساعة يفعل ما تدفعه اليه وثبة الساعة .  
وبينما هو مهتم في المسافات الطويلة بهداية كهداية الطير المهاجر بلا خريطة ولا  
أبرة مغناطيسية ولا دليل ، إذا هو يفرق كما يفرق الطير في اللجة التي يراها بعينه  
ولا يقوى على اجتنابها

ويدعونا إلى اعتقاد العبقرية السياسية أو العبقرية الشعبية في هتلر أن  
سياسته لها طابع ، وأنها تتسم بحماسة الرياضة ولا تتسم بقيود الشغل وحدود  
النظام ، وأنه يهجم هجوماً يخيل اليك أنه بالغ به الغاية المنشودة ، ولعله هو العقبة  
المهلكة التي تنكّل به أشأم النكول عن تلك الغاية

وفي تفكير العبقرى أبداً حساب « حسبة مجهولة » كالحسبة التي يرمز لها  
الرياضيون بحرف « س » ويرمز لها جماعة التطور بالحلقة المفقودة

هناك أبداً حسبة تنقطع فيها سلسلة التفكير ولا تنتظم الى النهاية : أو نهايتها  
« القصوى » هي « ان قلبي يحدثني بهذا » وكفى ؛

وهتلر عندما يذكر « العناية الالهية » كأنها لا تريد إلا ما يريد ينم على



غرور عظيم ولكنه لا ينم على الغرور وحده بذلك ، ولا يختار في الحقيقة ما يقول  
اذ « العناية الالهية » في عرفه هي الكلمة التي يسد بها فراغ تلك الحسبة  
المجهولة أو الحلقة المفقودة

يسأل نفسه : لماذا أريد هذا ؟ أو لماذا سيتم ما أريد ؟ ثم يعييه الجواب

الصريح

يعييه الجواب لأن هناك أسبابا يجهلها ولا يستطيع تنظيم حلقاتها الى نهايتها ،  
فكلمة « العناية الالهية » تسعفه اذن في سد هذا الفراغ

وقد يقال إن هتلر مغرور حين يتخيل أنه سينجح في الحرب لأنه يريد ذلك

والعناية الالهية لا تريد إلا ما يريد

ولكن هتلر يقول أيضا في كتابه إن العناية الالهية قيصت له أن يفهم في  
شبابه لماذا فشلت أحزابٌ نمسوية ونجحت أحزابٌ أخرى ، وأنها علمته أن  
حركات الجماهير لا تتم بغير اشتراك الجماهير ، وان الانقلاب القومي لا يضطلع به  
العلية دون السواد . . . . فأى لغز من الالغاز في هذه البداهة التي ظن هتلر أن  
العناية الالهية تسوقها اليه ؟

كل ما هنالك أنها الحلقة الناقصة في سلسلة الافكار المسببة ، يملأها بما  
يرضى غروره ولا يدعو الى اعترافٍ بالجهل أو بالضعف عن النفاذ الى كنه  
حوادث اليوم ، وقضايا التاريخ

وكلمة « العناية الالهية » هي اللحام الذي يربط به هتلر ما تفكك من  
تفكيره ومقدماته ، فمن قرأ كتابه أو تتبع خطبه فلن يرى أمامه بناء كاملا  
متناسقا إلا إذا صدق دعواه أن العناية الالهية تريد كل ما يريد

أما إذا شك في هذه الدعوى فليس أمامه بناء قائم . وإنما هو ركام فوق ركام



كفاءة الخطابية :

في كل شهرة خطابية منافذ المبالغة والاطناب لا بد منها في كل زمان ، وفي  
زماننا الحاضر خاصة

ومنافذ المبالغة والاطناب هذه تأتي من مصادر متعددة : بعضها برىء وبعضها  
متهم ، ومنها المقصود المدبر ، ومنها الذي يحدث على غير قصد وتدير

فأول مصادر المبالغة والاطناب جمهور السامعين ، وهم كدأب الجماهير يحبون  
أن يتأثروا وأن يخلقوا لانفسهم دواعي الحماسة والمغلاة ، وأن ينوّموا أذهانهم تنويماً  
يسهل لهم أن يعتقدوا ما يحبون اعتقاده ، وأن ينساقوا في موجة من الشعور  
لا تطيق الحدود ، ولا تقف دون الاعجاب الكامل . لأن الوقوف عند حد من  
الحدود المعقولة يفسد الحماسة ، وليس افساد الحماسة مما تطيقه الجماهير

وهي ، أي الجماهير ، طبقات في هذه الخليقة : ترتفع أو تهبط ، وتعادل  
أو تجمع مع الشطط ، على حسب موقفها من الخطيب وموضوع الخطابه  
فاذا كان موضوع الخطابه نكرة قومية أو شهوة عداوية يشترك فيها الخطيب  
والسامعون ، فالجمهور في هذه الحالة على استعداد للحماسة والاطناب بغير مقدرة  
كبيرة في الخطيب

وإذا كان السامعون رؤوسين لذلك الخطيب أو أتباعا متشيعين لحزبه ،  
يكرهون الغض منه لأنهم يحسبون غضا منهم ، ويحبون اكباره لأن كبره منسوب  
اليهم ، فهم اذن أكثر استعداداً للحماسة والاطناب



وإذا كانوا فوق هذا صغارا ناشئين يفورون بحرارة السن الباكرة ، فأحرى بهم وهم جماعات وجماهير أن يستسلموا لما يسمعون ، والا يجشموا الخطيب معجزة الابداع ، ليستجيش بها قلوبا هي من قبل ذلك لا تهدأ من الجيشان فأدنى الجماهير إلى التسليم هو جمهور صبية ناشئين يصغون إلى زعيم يفخرون به نخر العصبية ، ويسمعون منه صيحة الكبرياء الوطنية . . . وهذا هو جمهور هتلر في جميع المواقف ، إلا القليل الذي لا يذكر

وقد شهد الناس في مصر مجامع يحتشد لها السامعون زرافات زرافات من جميع الطوائف والاسنان ، ليسمعوا كلاما يعلمونه ويحفظونه ، من خطيب لا يعجب السامع بصوته ولا بايمائه . . . بغية الاجتماع في الواقع لا بغية الاستماع ثم تتكرر الدعوة ويتكرر الاقبال ويتكرر التصفيق الذي لا باعث إلا الرغبة في شيء يثير الشعور ويدفع السامة و « يبرر » للجمهور وجوده وسعيه وانتظاره ، ويريمه من الحكم على « وجوده » بالفناء . والفناء كرية إلى كل موجود ، جمهورا كان أو غير جمهور !

وفي وسعنا أن نشهد كل يوم حشدا من الناس يبذلون من مالهم ليستمعوا إلى ممثل مضحك مشهور في دور من الأدوار . فما هو إلا أن يلفظ الكلمة الأولى حتى ينفجر السامعون بالضحك والقهقهة ، ور بما سأل أحدهم جاره : ماذا قال ؟ بعد أن يكون قد ضحك مع الضاحكين !

فالمصدر الأول للمبالغة والاطناب في شهرة الخطباء هو ابرأ المصادر وأخلاها من الغش وفساد الذمة ، وهو دفاع الجمهور عن وجوده حيث انتظم له وجود

\* \* \*

والمصدر الثاني وسط بين البراءة والاثام ، وبين الاندفاع والتدبير : وهو

مصدر الرواة وكتاب الاخبار



فان الصحيفة الاخبارية لتتعمد التهويل والاغراق في وصف حادثة هيمنة  
لا تستحق الالتفات اليها . لأنها تريد من القراء أن يلتفتوا ، وتعيش من  
التفاتهم إلى ما تكتب ، لا من تعويدهم أن يهملوا الأخبار التي تستحق الاهمال  
والكاتب الذي يسافر الف ميل لينقل خطبه يلقيها أحد الزعماء في يوم  
مشهود مرتقب المصير من المغرب الى المشرق - قد يفقد وظيفته إذا قنع بما دون  
السحر والاعجاز في وصف ما سمع وما رأى ، وما لبث الناس ينتظرونه ويتكهنون  
به متشوقين متلهفين !

وقد تتفق الرواية الأمانة في الصحيفة الرصينة فيقرأها العارف المسئول  
ويعرض عنها طالب المناظر والعناوين ، ممن ينظرون إلى مسرح السياسة كما  
ينظرون إلى مسرح التمثيل ، وهم جمهرة القراء والنظارة في كل مكان ، فيتواتر النبأ  
المبالغ فيه وينقطع النبأ الذي يحرص على الصدق والاناة ، وينتهي الأمر بروج  
الكذب والتلفيق ، وبالشك في الصدق والأمانة

فمبالغة السامعين ومبالغة الرواة ملازمتان لكل شهرة سياسية في كل زمان  
ولا سيما زماننا الحاضر : زمان النشر والاذاعة ، وزمان التشوف إلى الجدة والغرابة  
ودفع الملل والسامة

\* \* \*

ويأتي بعد مبالغة السامعين ومبالغة الرواة مصدر آخر من مصادر التهويل في  
الشهرة الخطائية قائم على النية السيئة والخطة المرسومة ، ونعني به مصدر الدعوة  
المسخرة والأقوال المأجورة ، وهو سلاح يعتمد عليه النازيون خاصة فوق اعتمادهم  
على سلاح الميدان

وجميع هذه المبالغات قد بلغت في تعظيم شهرة الزعيم النازي اقصى ما يتاح  
لشهرة أن تبلغ على الاطلاق : فاهتمام النازيين بالدعوة المسخرة قد جاوز كل اهتمام ،



وجهورهم أقرب الجماهير الى التسليم والاستسلام ، وحملة الاقلام ما فتئوا عدة أعوام  
يتنافسون في اشباع نهمة القراء بين جميع الاقوام

\* \* \*

فمن الطبيعي اذن أن تكون حقيقة هتلر الخطابية أقل كثيرا من شهرته  
التي أذاعها الدعاة والصحفيون والسامعون من أتباعه ومريديه ، وأن يدخل في  
حساب شهرته كثير من المبالغة والاختراع و « الإخراج »

ونحن في عصر نسمع فيه الخطباء و نراهم على بعد ، ونحكم على المتكلم في برلين  
أو موسكو أو واشنطن حكم راءٍ و سامع ، فما على المذيع ولا على الصور المتحركة  
من بعيد

وقد رأينا هتلر وسمعناه

فهو ولا شك خطيب مبين ، ولكن لا شك كذلك أنه ليس من ملوك  
الكلام في عصرنا الحاضر ؛ وأنه لا يعد من طبقة الخطباء الذين يخاطبون كل  
جمهور و يتكلمون في كل قضية و يروضون عصي الامماع ، ولا نخاله يحسن القول  
بضع لحظات في موضوع غير الموضوع الذي يقلبه منذ عشرين سنة ، أو بين أناس  
غير الذين يوافقونه في الجملة ، ولا يخالفونه — ان خالفوه — إلا في التفصيل

فليس هو في إفاضة بريان ، ولا في بادرة لويد جورج ، ولا في مهابة سعد

زغلول

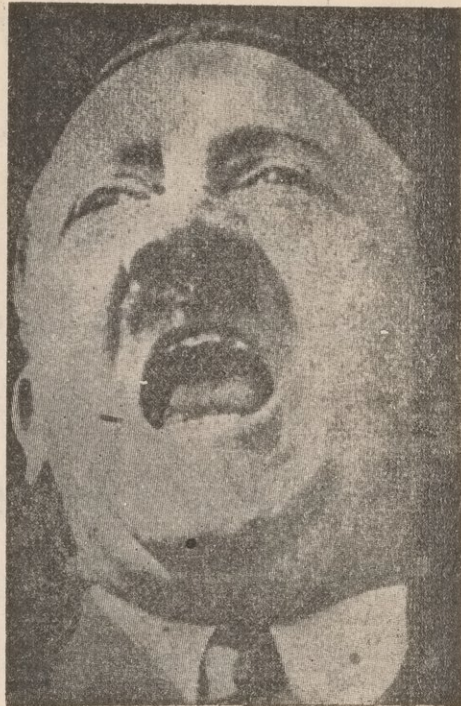
ولكنه أقرب الى الممثل الذي كرر دوره حتى حفظه ووعاه ووقع فريسة

له فلا يقدر على تبديله

تخييله مثلا غير غاضب ، أو غير متكلم في مظالم ألمانيا المزعومة ؛ أو غير

مطمئن الى آذان سامعيه





هتلر بين الوجوم والغضب الخطابى



وتخيله واقفاً في لندن أو في موسكو أو في القاهرة يفاجئ السامعين على غير  
معرفة باسمه ، ولا عهد بموضوع كلامه

إنه اذن ضائع لا محالة

وعيبه الأكبر أنه لا يُقنع ولا يقيم الدليل ، وأنه ما خرج قط على عادة  
واحدة تتردد في جميع مواقفه وموضوعاته ، وهي إثارة الحفائظ وإضرار الكراهية  
ومواجهة السامعين من جانب الشعور المتفق عليه بينه وبينهم . . . وفيم اجتهاده  
في اقناع من هو قانع؟ وإيمان من هو مؤمن بغير برهان؟

ومرجع هذه العادة عنده الى علل كثيرة : بعضها أصيل عالق بطبعه ، وبعضها  
حديث طارئ عليه من حوادث حياته وعصره

فالحديث الطارئ عليه هو هذا الذي ذكرناه ، وهو أنه تعود في أيامه الأخيرة  
على الأقل أن يخاطب أناساً لا يحاسبونه ولا يجسرون على حسابه ، ولعلمهم  
لا يريدون أن يحاسبوه لاتفاق الشعور بينهم وبينه

والأصيل العالق بطبعه أنه فقير في العاطفة الشخصية ، غني في العاطفة  
الشعبية ، أي العاطفة التي تربط بين الفرد والجمهير

والعاطفة الشخصية هي التي تربي عادة المساجلة والمحادثة ، ومواجهة العقل  
للعقل ، والنفس للنفس ، والاصغاء في موضع الاصغاء ، والاثبات بالحجة الصادعة  
في موضع الاثبات

فالرجل المفطور على عاطفة يساجل بها العواطف ، وفكرة يقابل بها الأفكار ،  
يقول ويسمع ، ويستميل الفرد بالوسائل التي يستمال بها الأفراد ، مرةً بالايحاء  
ومرةً بالدليل ومرةً بالشرح المفهوم ، وفي كل مرة يتبادل الثقة والاعتراف بحق  
المنافسة والاعتراض .

أما الرجل الذي نضبت نفسه من جانب العاطفة الفردية ، والذي ليس عنده



ما يبادل به مودة بمودة أو فهما بفهم أو خاطراً بخاطر ، والذي انقطعت جميع  
الوشائج بينه وبين إخوانه من أبناء آدم إلا الوشيجة التي تكون بين الواحد  
والألوف أو بين الداعية والجمهور — فذلك رجل محدود القدرة على التحدث والتفاهم  
وعلى الاصغاء والاقناع ، محتومٌ عليه أن يجد جمهوراً يستمع له . ويكتفى منه  
بالاستماع ، أو أن يتخيل نفسه قائماً بين جمهور وإن كان في مجلسه أفراد قليلون .  
لهذا اشتهر هتلر بالتدفق في أحاديث السياسة ساعة بعد ساعة دون أن يقف  
أو يتمهل أو يسأم التكرار . فان لم يتدفق في أحاديث السياسة فهو بين حكاية  
نادرة أو إعادة ملحمة مطروقة ، أو سرد تاريخ قديم ، فان لم يكن هذا ولا ذاك  
فليس في مجلسه إلا السكوت والوجوم .

« فهتلر الفردُ » معدوم

أما هتلر الموجود فهو البوق الذي ينفخ في الجماهير أو يردد صدى الجماهير .  
وانظر إلى صورته وهو في مواقف التفاهم والتحدث ترأمامك صوراً فاترة  
باهتة تنطق بالتكلف ونقص الحياة وتبعث في نفس ناظرها الريبة والنفور .  
أما الصور التي يحيا فيها وتلبسه الحركة والشدة فهي الصور التي ينقطع فيها  
التفاهم ويثور فيها الغضب وتتأجج فيها البغضاء .

وماذا ترى في هذه الصور ؟

إن الخطباء الحماسيين جميعاً ليغضبون ، وأنهم جميعاً ليحركون الغضب في الجماهير .  
إلا أن الفرق بين غضب وغضب لفرق عظيم ، وإن الاختلاف بين حماسة  
وحماسة ليفوق الاختلاف بين القوة والمرض ، وبين الجلال والهوان .  
رأينا سعد زغلول وهو غاضب في خطبه فرأينا غضباً كأنه السيف يصول به  
الفارس على قرنه ، ويعرف كيف يصول .

ورأينا هتلر وهو غاضب في خطبه فماذا رأينا؟ رأينا غضباً كأنه الدم





هتلرمع السفير البريطاني

المفتوح ينفّس عن ضعينة كامنة كأنها القيح المحبوس . فهو فرصة الألم والتذاذ  
الألم في وقت واحد ، وهو علاج للتنفيس عن داء ، وليس بالسيف في أيدي  
الأقوياء

هو نوبة مصروع وليس بوثة صارع  
وهو منظر تزور منه العيون ، وليس بمنظر تود العيون أن تمتلئ منه



وهو رقصة الهمجى فى حومة الدم أمام أوثنان النعمة والتشفى ، وليس برقصة  
الفارس فى حومة البرجاس

وقد جمعنا فى هذه الصفحات صوراً عدة لهتلر وهو يخطب ، أو وهو يغضب ،  
لأنه فى الحقيقة قلما يخطب إلا ليغضب . فأية صورة من تلك الصور ياترى يستطيع  
القارئ أن يكتب تحتها مثلاً « هذه صورة هتلر يزأر أو يزجر ؟ »

إن هذا الكلام ليكتب تحت صور كثيرة لمصطفى كمال أو لسعد زغلول ،  
ولكن هتلر — على عنايته بصوره واتخاذ رساما خاصا يتبعه فى جميع المحافل  
ويوزع فى أقطار العالم ألوف الصور بل عشرات الألوف منها — لا توجد له  
صورة واحدة تخيل إلى الناظر هيئة الأسد المزجر أو الأسد الغاضب ، وكلها بلا  
استثناء مما يصح أن يكتب القارئ تحتها : « هتلر يعوى » أو هتلر « يلطم » ...  
ولا جناح عليه

\* \* \*

ومن المعقول أن رجلاً كهذا يجب حلقات الخطابة التى يتزين فيها لشياطين  
غروره وحقده كما تتزين المرأة المجنونة لشياطين الزار ، ويستريح فيها للهياج  
والتهيج كما تستريح تلك المرأة لصرعة الرقص وجلبة الطبل ورؤية الذبائح وهى  
تتخبط فى الدماء

ومن المعقول جداً أن يكره مواقف المفاوضة والتفاهم لأنها تظلمه على عجزه  
وتكشف له عن خواء طبعه ، وتخرجه منها وهو فى رأى نفسه أقل ممن حوله . .  
إلا أن يلجأ إلى التهديد بالحرب كما يفعل فى معظم أحاديثه ، فهو إذن فى موقف  
الاملاء وليس فى موقف المفاوضة والاقناع

وقد سجلت كلماته فى المفاوضات التى دارت بينه وبين سفراء الدول ورؤساء  
الحكومات فإذا هى عبرة العبر واضحوكة الأضحاك : لا يكون فيها إلا ممثلاً



يراوغ ، أو مهددا يتوعد ، أو منكرًا لما يقال على طريقة الأطفال والنساء الجاهلات : إني أنكر هذا لأنني أنكر هذا ، ولا مزيد . .

ناقشه مستر شامبرلن رئيس الوزارة الانجليزية في الشروط التي فرضها على حكومة براغ وأوجب عليها فيها أن تخلى الأرض المطلوبة وأن تبدأ الاخلاء في الساعة الثامنة من صباح السادس والعشرين من شهر سبتمبر (١٩٣٨) وأن تنمه عند انتهاء اليوم الثامن والعشرين

فقال له مستر شامبرلن أن هذا املاء « انذار نهائى » بغير حرب ، وبغير هزيمة ،

على أمة قبلت المطالب وقبلت الاحتلال

واختار شامبرلن كلمة « املاء » عمدا لأن هتلر يذكرها كلما ذكر معاهدات الصلح ومعاهدة فرساي على الخصوص ، ويعتبرها موجبا لفسخ تلك المعاهدات فما زاد هتلر على أن قال : « كلا ، ليس هو املاء » وأشار إلى رأس الورقة قائلا : « انظر . . . إن الورقة مكتوب عليها كلمة مذكرة . . »

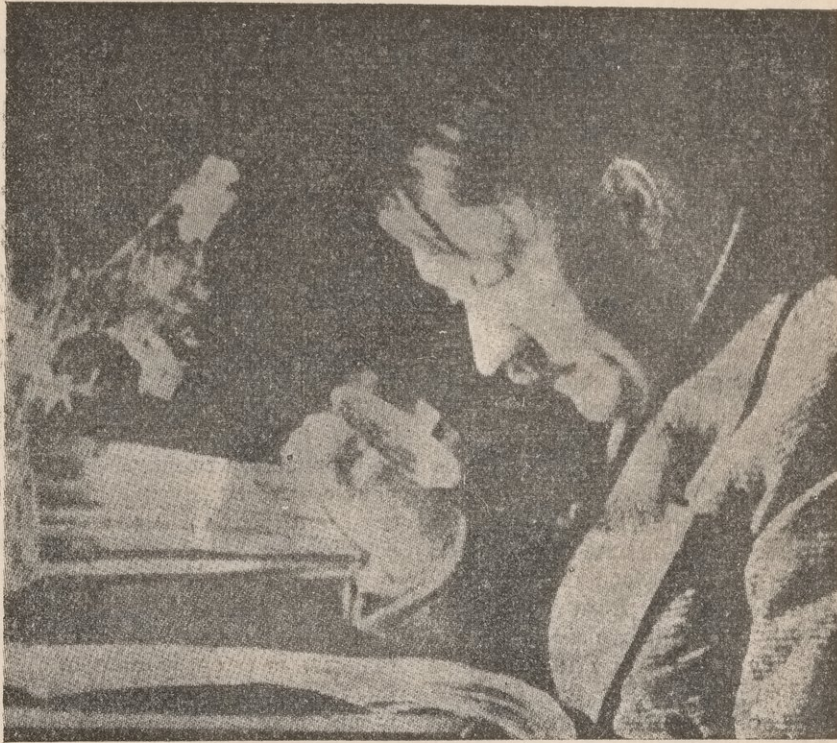
وهو كلام يقال للابسى القمصان في ساحة الخطابة فيقبلونه ويسيفونه ، ولكنه لا يقال في مفاوضات وزراء وسفراء

فالخطابة هي الميدان الذى يغلب فيه هتلر بهذا الأسلوب ، ولن يغلب به فى ميدان آخر

وقد حذق من الخطابة ما يُحذق بالمرانة ومساعدة السامعين المستعدين للاصغاء والتصديق ، وأهمه تدفق الكلام وسهولة التعبير

ولم تزوده الطبيعة من أدوات الخطابة الفطرية الا بزاد واحد وهو انقطاع الصلة النفسية بينه وبين الأفراد واضطراره من أجل ذلك الى مواجهة الجماهير للشعور بالحياة ونشاط الاحساس . ومتى نشطت نفسه ودبت الحركة الى ذهنه فلا يندر أن يلهمه الموقف بعض الخواطر البارعه التي يمثل بها أعداءه فى صورة





هتلر في حياته الهادئة



مزرية أو صورة تستفز السخط والامتعاض ، وكلها من ولأند الكراهية وليس  
فيها صورة واحدة وليدة عطف أو عناية بالآخرين  
ويختلف الناقدون في صوته اختلافا لا يتبين الحقيقة فيه من يسمع الصوت  
منقولاً بالمذيع ، وهو ينقل بعض الأصوات على أصلها ويعرض بعضها للتحريف  
وبعضها للتحسين

فمن الناقدون من يعيبون على صوته خشونة تصك الآذان ، ويقولون أنه  
أجرى العملية الجراحية في حنجرتة لاصلاح هذا العيب  
ومنهم من يعجب بما في صوته من العمق ورنه التجويف ، ويعدده من اصالح  
الأصوات الخطابية لنقل الشعور الجارف والتهويل على السامعين  
وسواء كان العيب الذي يعيبه أولئك الناقدون صحيحاً أو غير صحيح فإلهم  
في صفات الاصوات أن تؤلف بالتكرار ، وأن يكون لها طابع ولون معروف ،  
وعندئذ قد يصبح العيب حلية مرغوباً فيها مع النجاح والتوفيق .



### زعماء

عصرنا هذا هو عصر الزعماء غير مدافع بين جميع عصور التاريخ  
فقد شهدنا فيه كل ضرب من ضروب الزعامة على اختلاف شروطها ومقوماتها،  
وشهدنا فيه كل ضرب من ضروب الحركات الشعبية وكل جماعة من الجماعات التي  
تدين بالطاعة لزعيم

شهدنا زعماء من طراز سعد زغلول ومصطفى كمال يقودون الاتباع بهيبة  
«الشخصية» الأمرة وطلعة السيد المطاع

وشهدنا زعماء من طراز غاندي تحف بهم هالة القداسة ويأتم بهم الناس كما  
يأتمون بناسك الحراب

وشهدنا زعماء من طراز «دي فاليرا» يعيدون عهد القديسين المقاتلين بالصبر  
والتقى والمفاداة

وشهدنا زعماء من طراز موسوليني يسرى منهم النشاط الحيوى إلى أتباعهم  
كما تسرى الحرارة في الأسلاك

وشهدنا زعماء من طراز لنين يقنعون من يقنعونهم بقوة الفكر المتعصب  
والمناطق المنحرف واللدن العنيف

وشهدنا زعماء من طراز شيان كاي شيك يقررون زعامتهم بصرامة العزم  
وحصافة الذهن ومثابرة الصبر والعناد

وشهدنا زعماء كابن السعود يجمعون أكبر ما يجتمع في أبناء قومهم من



الصفات . فيفهم الناس أن ابن السعود أكبر العرب لأنه أكبر عربي في طبائع  
الأمة العربية كما نعرفها الآن

وكل هؤلاء الزعماء يراهم المتفرسون المتوسمون فلا يحارون في أسرار زعامتهم  
ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا : لماذا كان هؤلاء زعماء ؟ لأن الايمان  
باستحقاق سعد زغلول ومصطفى كمال وغاندى ودى فاليرا وموسولينى ولنين  
وشيان كاي شيك وابن السعود لمنزلة الزعامة في أقوامهم لهو أسهل كثيرا من  
الشك في ذلك الاستحقاق

فآخر ما يخطر على البال أن يرى المتفرس المتوسم رجلا كسعد زغلول أو  
غاندى على بعد ما بينهما من التفاوت ، ثم يخرج سائلا : لا أدري والله ما الذى  
جعل هذا من الزعماء ؟ ... أنه لا يسأل هذا السؤال لأن حيرة الشك هنا  
لا تحميك له في خاطر

أما الذين رأوا هتلر — وقد رآه أكثرنا في الصور المتحركة — فكلمهم على  
ما نعتقد يسألون : أين سر الزعامة فيه ؟ لماذا يستهوى الجماهير ؟ وأى شيء



يعوضه عن هيبة الزعماء ؟  
وعندنا نحن أن سر  
الزعامة في هتلر أنه هو «واحد  
مكبر» من جماهير النازيين ،  
أو أنه هو «مكبر الصوت» الذى  
يعمد في الساحة الواسعة اصدا  
أفراد متعددين ، لا يسمع  
الواحد منهم الا إلى أمد قريب

( هتلر وجوبلز )



فهو رجل يستطيع كل فرد من أتباعه أن يتمثل فيه نفسه مجسماً معظماً  
بهذا التمثيل . ويقول في وعيه الخفي : انظر . انظر . هوذا أنت . هوذا نموذج  
منك في نطاق كبير

وهتار من أجل هذا ضائع « المعالم الشخصية » لأنه في صميمه ولبابه مجموعة من  
ملامح الجمهور وليس بفرد عظيم له ملامح فرد عظيم

ولو وضع في وسط خمسة أو وسط خمسين أو وسط خمسمائة لكان حيرة  
الحائر في الانتقاء والاستخراج ، لأنه صورة لا تتميز من سائر الصور إلا إذا  
انتزعتها من بينها لتكبيرها

فكل خصلة في رجل الشارع فهي في هتار أضخم وأجسم ، ولكنه يلبسها  
كما يلبس الممثل دوره فلا يناقضك « بشخصية » مقررة تثير المقاومة والمناظرة ،  
ولا يشعرك بالغضاظة أن تجلسه على كرسي الرئاسة ، لأنك أنت الذي اجلسته  
عليه وأنت الكاسب عند الموازنة بين نصيبك ونصيبه ، فانما هو « شخصية  
مسرحية » وأنت الحقيقة الحية على كل حال

وانظر الفارق مثلاً بينه وبين بسمارك ، أو بينه وبين هندنبرج ، أو بينه  
وبين مولتكة ، أو بينه وبين أصحاب القيادة السياسية والحربية في أمة الألمان  
على الاجمال

فليس واحد من هؤلاء « شخصية مسرحية » تقوم على الثوب الذي تلبسه  
لتمثل به الأمة بأسرها

نعم انهم المانيون في الصميم ، والمانيون في الخلق والسحناء ، ولكنهم  
المانيون ينفردون بلامح لا تنغمر في ملامح السواد ، وليسوا بالقناع الألماني  
الذي تتساوى فيه الوجوه



ماذا يبقى من بسمارك إذا نزعنا عنه جلباب قومه ؟

يبقى كثير

وماذا يبقى من هتلر إذا جردته من ذلك الجلباب المسرحي أو من تلك الصبغة

العمومية ؟

لا شيء

ولا شيء يبقى منه أيضا إذا عزلته عن الحركة النازية في أوانها المعلوم

ودواعيها المسبوقة . « فـهـتـلـر غير النازي » لن يكون له وجود . وبسمارك موجود

ولو لم يطرق باب الديوان

\*\*\*

قال كارل شتيمبانك Karl Stepanek الممثل الذي رأى هتلر على القرب

وكان هتلر يشهد رواياته ويخلع عليه الجنسية الآرية على الرغم من نشأته التشكية :

« دخل الفوهرر فقال هيل ! . . . تحية النازيين . إني مغتبط بحضورك إلى » .

فأجبتة : هيل ! ورفعت يدي بالتحية المعهودة

« ثم لفظ ببعض كلمات دارجة وسميا التفكير بادية عليه ، أما عيناه اللتان

اشتهرتا بلون الحديد فكانتا تنظران خلالي ولا أقول تنظران إلى » . وطالما سألتني

أناس من الانجليز عن تينك العينين ماهوما لونهما ؟ فالحق أقول أنني ما استطعت

قط أن أعطيتهما لونا بين الألوان الرمادية أو الزرقاء أو الخضراء . إن في تحديقهما

ولا شك شيئا غير مقبول ، فإن وصفه بعضهم بالمغناطيسي فهو فيما رأيت أقرب إلى

تحديق الذين ينامون منه إلى تحديق الذين ينامون »

وقال السير نيفيل هندرسون السفير البريطاني الذي كانوا يلقبونه في إنجلترا

« بالنازي » لفرط رغبته في مسالمة الألمان : « <sup>(١)</sup> ألفت أن اسمع كثيرا من

(١) من كتابه اخفاق مهمة Failure of a Mission



الألمان — ولا سيما النساء — يترنمون بأشراق سيماء وعينييه خاصة ، وكنت انظر اليهما فأرى فيهما سخونة وغضبا . إذ لم يكن من حظي أن أراه إلا في المناسبات الرسمية . بيد أنني على الرغم من أعماله ومساعيه التي لا يستطيع الاقلال من شأنها — لست أرى مناصا من المصارحة بما أبقاه في نفسي من الأثر عند المقابلة الأولى أو بعدها . وذلك أنه لم يشعرني قط بأية سمة من سمات العظمة

« ولقد كان يسحر شعبه كما هو بين بغير حاجة إلى بيان ، وكانت له قدرة على الخلاصة إذا أجمع النية عليها ، فانها كانت إحدى بضائعه ومخزونات ، وكان لها أثر شهادته غير مرة . وإن لم يكن لي منه نصيب

« على أنه في حالاته المعقولة كان يربكني أحيانا بسداده وحسن تدليله . فاذا سارت سورت ، وهي الحالة التي كان لها أبلغ السلطان على قومه ، فكل ما كنت أصبو إليه ساعتئذ أن أرجوه تهدئة نفسه

« ورأيت منه كثيراً من اعتزاز الفطرة وتادبا حينما لقيته ، ولكنني طالما تساءلت وما برحت أسأل : كيف صعد إلى هذه المرتبة ؟ وكيف احتفظ بسلطانه على الأمة الألمانية ؟ وجواب السؤال الثاني فيما أعتقد أن الألمان يحبون أن يسوقهم الحاكم المستبد ، وأن حزبه ليس بقادر وقد حصل على زعيمه أن يبدله الآن . فلا حيلة له في ابقائه حيث هو إذا أراد أن يتقى الهدم والدمار »

وقال السير نيفيل في موضع آخر : « هذه القدرة على خداع النفس واقناعها قد كانت جزءاً موصولاً بخطته وتديراته ، وقد ساعدته على اضرام عواطفه واقناع شعبه بما يريد على تصديقه . ويخيل إلى أنه إذا وقف غدا بين يدي الديان فليسوف يجادل يومئذ جدال المؤمن في ظاهر الأمر بأنه كان حريياً أن يعصم أوروبا من أهوال الحرب لو قبل البولونيون شروطه المعقولة السخية ! »

وزارته الرحالة المعروفة « روزيتا فوربس » Rosita Forbes فوصفت مظهره



بالتفاهة في أحواله المادية وقالت : «<sup>(١)</sup> يستطيع هتلر دائماً أن يلوح لك في مسحة البساطة والبراءة على أتمها ، وأن يحس ما يقوله في ساعة قوله ، وفي تلك الساعة على الأرجح لافي غيرها . ! وهو لا يصطنع المعرفة الغزيرة ، بل يتكلم في سهولة بالغة . وعيناه - إذا لزم موقف الدفاع - تشفان عن بعض الخلو والفراغ ، ولكنه يعكس لك ما يحسه متى اهتم بموضوع الحديث بكل ما يبدو لك من ملامحه وسائر كيانه . . . »

وقال الأستاذ ستيفن روبرت<sup>(٢)</sup> « إن ألمانيا الجنوبية طالما أنجبت الخالمين وتباع الخيالات ، على مثال ملك البجع لدفيج البافارى ، فلا تزال بينهم نزعة القرون الوسطى لاتفارقهم . وهم يعيشون في عالم كأنه الوهم بين جبال كأنها الخرافات التي لا ترى رأى العيان ، وكأنما الحقول والبيوت التي لهم تخريج مسرح وتصوير ستار »

ثم قال : « وهتلر واحد منهم : ابن فلاح يزيد تعليمه قليلا على تعليم كل ابن فلاح ، ولكنه يستوى الآن في مكان يعلو على متناول الخيال في أعجب ما عندهم من قصص الجان

» وفي الحق انه لا يخلو أبدا من هيئة انسان مدهوش بعض الدهشة ، وقد نهى زميل من كبار أطباء العقول لازمنى في رحلة نورمبرج إلى هيئة هتلر وهو يشد نفسه من حين إلى حين في المحافل الكبرى ليكف عن الأحلام ، كأنما هي حالة من حالات الشخصية المزدوجة ، فهو لا يجب أن تبرز فيه صفات الفلاح الشائعة بين جمهرة الفلاحين ، ولا يفتأ مذكرا نفسه بتمثيل دور الزعيم أو نصف الاله بين شعب عظيم ، ونهني ذلك الزميل إلى علامة أخرى من

(١) من كتاب هؤلاء الرجال اعرفهم These Men I knew

(٢) Stephen . H . Robert صاحب كتاب البيت الذي بناه هتلر

The House that Hitler Built



علامات هذه الخليقة ، وهي اسرعة إلى تبديل ملامح الرضى والاكتفاء التي  
ترحف إلى وجهه أحياناً في وسط المواكب الشعبية . . . . » .  
هذه كلها ملامح رجل مطبوع على « الايحاء الذاتى » أو مزاج الاستحضار  
الذى يستعين به الممثلون على تحضير الشخصيات والأدوار .

فهو أبداً شخص غير شخصه ، وهو أبداً لابس قناع من صبغة خياله ، وهو  
أبداً بين جمهور وعلى مسمع من هتاف وتصفيق ، وإلا فهو نكرة من النكرات .  
ونحن نستفيد من أوصاف الذين راقبوه ودرسوه وقيّدوا حركاته وسكناته  
عليه . . . . ولكنه لا يختفى عنا إذا اختفت أقوال هؤلاء أجمعين ، لأننا كما قلنا  
في عصر الزعماء ، وفي عصر المذيع يجب القضاء ، والصور المتحركة تتردد في  
الأرجاء ، وليس لنا محيص من المقابلة بينه وبين زعماء الأمم في زمانه ، وليس  
في وسعنا بعد هذه المقابلة أن ننسب إليه صفة « ذاتية » كالصفات التي تتجلى في  
أمثال سعد زغلول ومصطفى كمال وغاندى وموسوليني ، ولا أن ننسى الفارق بينه  
وبينهم في مقومات الزعامة . فهو مكبر صوت في ساحة عامة ، وليس منهم جميعاً  
من تنحصر سياه في تكبير الأصوات .



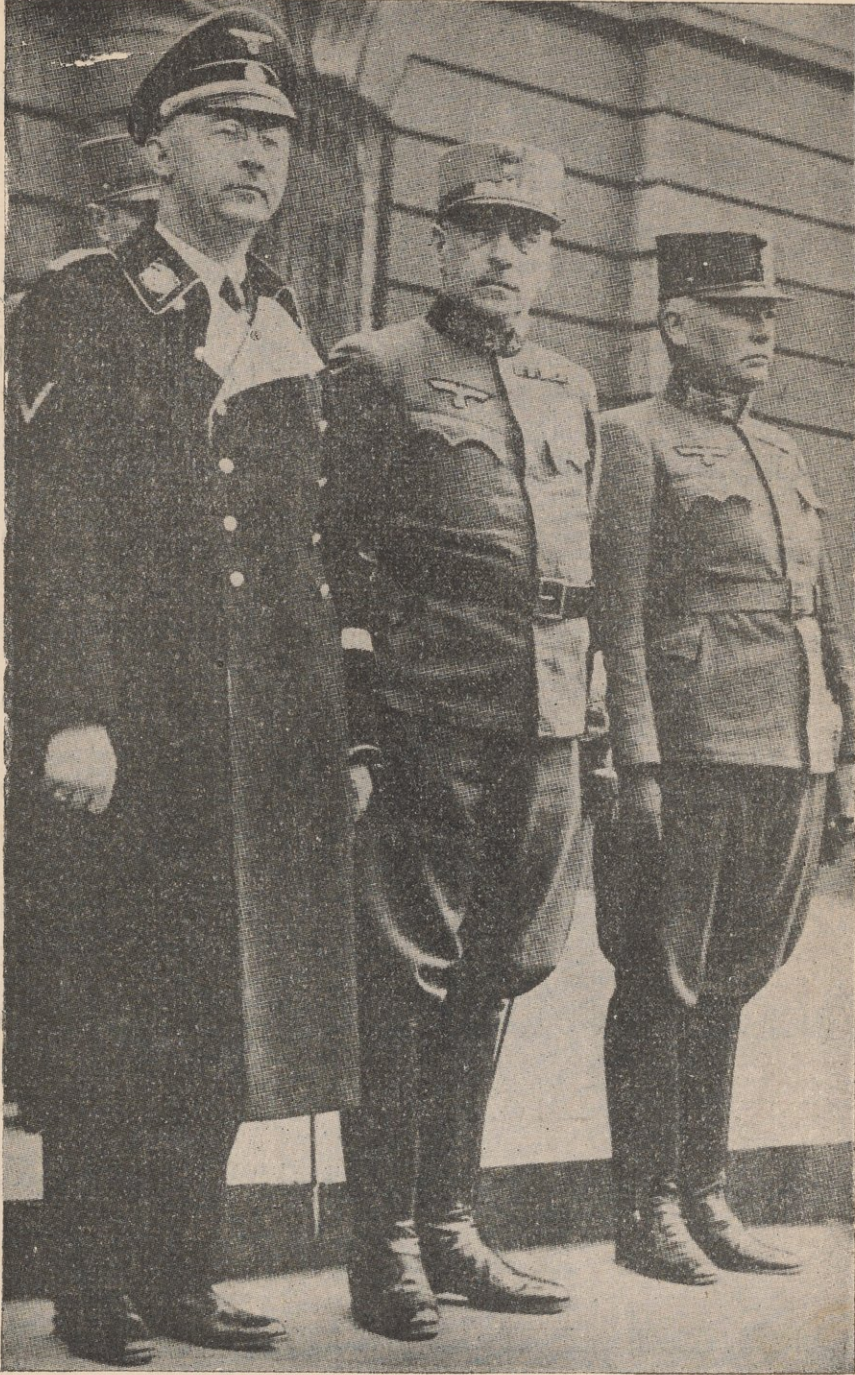
## أصحابه :

وربما كان أوفى الطرق وأقربها إلى دراسة نفس انسان أن تلم بسيرة أصحابه وأعوانه الذين يعمل معهم ويعملون معه ، ويحتاج اليهم ويحتاجون اليه .  
فمن هذا الامام بسيرة أصحابه وأعوانه نعلم حقيقة العمل الذي يتفقون عليه :  
هل هو مبرة يتفق عليها أناس كرام ، أو هو جريمة يتفق عليها أناس مخلوقون للاجرام .

وليس في وسع أقرب المقر بين إلى هتلر وأرغب الراغبين في الثناء عليه أن يطلق وصف « الأناس الكرام » على أصحابه الأخصاء : جورج وريبنتروب وجوبلز وهيملر واخوان هذا الطراز !  
فكلهم من مرضى الظهور المشهورين بالنقمة والغدر وسوء الدخلة وحب الشرور .

وكلهم ممن يعرفهم العارف فيقول على الفور : ها هنا جريمة مدبرة ! ولا يخطر له على بال انها مأثرة من مآثر النبل والشمم والفضيلة .  
ولاحاجة إلى التوسع في سيرة هيملر فحسبه انه رئيس الشحنة وقائد الجواسيس الذي ترجع اليه آثام الغيلة ومكائد الوقعة ووصمة التعذيب في المعتقلات ، وافساد الأبناء على الآباء . والزوجات على الأزواج والاخوان على الاخوان ، سعيًا وراء الفضائح وتسقطًا للأخبار واختراعًا للجنايات والأكاذيب ، وقيامًا «بوظيفة نازية» لا يخطر على البال أن يضطلع بها رجل صادق شريف .





هيملر -- عين هتلر التي لا تغمض وإلى جانبه ضابطان نمسويان

ولا حاجة كذلك الى التوسع في سيرة جو بلز فحسبه أنه مدير الدعاية النازيه التي تقوم على الدس الخبيث والكذب الصريح ، والألمان أنفسهم على الرغم من قسوة الرقابة عليهم بصفونه بأنه أ كذوبة تتحرك : وقف الممثل الهزلي لدفيج





جوبلز « الارى » يجرسه رجال الشحنة

فئك Finkh مرة يقول معرضاً به «: نحن الالمان نحب صيغة الجمع لغير داع »  
فنقول مثلاً إن الأ كاذيب قصيرة الارجل ... لماذا لا نختصر فنقول إن الا كذوبه  
لها رجل قصيرة !

ولكننا نذكر الحقائق المقررة عن الرجلين اللذين يقبضان مع هتلر على زمام  
السطوة كلها في البلاد الالمانية ، وهمار بينتروب المسئول عن السياسة الخارجية ،  
وجورنج المسؤل عن الجيش والطيران ، وفيهما ينحصر كل ما فى المانيا من قوة  
السياسة وقوة السلاح

فالأول من صرعى الظهور وأمثلة « الانتهاز » الذين عُرِفوا فى الاصطلاح

الحديث بنعت « الوصوليين »



لم يكن من أصحاب الالقاب ولكنه سعى عند عمه حتى تبناه ثم سعى عند  
المراجع الرسمية حتى قبلت وراثته اللقب بالتبني كما يورث بالبنوة الصحيحة  
ولم يكن من الأغنياء ولكنه وصل الى الثروة من طريق الزواج ، فأصهر  
الى أوتو هنكل Otto Hinckel صاحب الملايين من تجار الانبذة المعدودين  
وكان في نشأته ، وبعد الحرب ، يتجر بالنبيذ في المانيا الغربية حيث يعسكر  
الفرنسيون وجنود الحلفاء ، وهي تجارة كانت تقوم على التهريب برعاية «الاعداء»  
المحتلين للبلاد !

وكان سبب التعارف بينه وبين هتلر من « أليق » الاسباب باخلاق النازيين  
وطبيعة الحركة النازية

فقد كان ريبنتروب منوطا بالتجسس على الاحزاب البافارية في أعقاب  
الحرب الماضية ، وكان ضابطا يساعده في هذه المهمة ضابط آخر ، فكانا موضع  
الشبهة والارتياب بين العمال وصغار الجند لانتمأهما الى طبقة الضباط التي كانت كما  
أسلفنا متهمة النيات في عرف السواد من أبناء الطبقة العاملة

وكان من جراء ذلك أنهما بحثا عن « جندي » يؤدي عنهما هذه المهمة  
ويقل اليهما ما يسمع ويرى فعثرا بالطلبة المنشودة ، ولم تكن هذه الطلبة غير  
« هتلر » الذي كان مستعدا لكل صناعة من هذا القبيل في مقاهي ميونيخ

وعلى هذا النحو تم التعارف بين الرئيس والمرؤس ، أو بين المرؤس والرئيس  
وريبنتروب ، بعد ، هو موقع الميثاق الالماني الياباني لخمس سنوات وهو هو  
الساعي في ابرام المحالفة بين الالمان والروس !! وانه لعمل لا يخلو من الدلالة على  
الأخلاق مهما يقل القائلون في تسويغه باسم السياسة والمناورات الدولية

أما جورينج فالثابت من الاوراق الرسمية في بلاد السويد أنه كان يتعاطى



المورفين بشهادة اطباء والصيدالة أمام قضاة الأحوال الشخصية في مدينة  
« ستوكهلم » سنة ١٩٢٦

وفحوى القضية أن زوجته السويدية طُلقت من زوجها السابق فون كانتزو  
Von Kantzow ولها منه ولد قاصر فاختلفا على الحضانة ، وجاء أهل الزوج  
السابق إلى المحكمة يشبتون أن تربية الولد على خطر محقق بين الأم وزوجها  
الجديد . . . لأن الأم مصابة بالنوبات المزمنة ، والزوج — وهو جورينج —  
مصاب بادمان المخدرات وأعراض الجنون

و بعد تقديم الوثائق وسماع أقوال الخبراء والشهود قضت المحكمة بفصل الولد  
عن الزوجين وتسليمه الى حضانة آخرين

وقد ثبت في المحكمة أن جورينج دخل مستشفى اسبودن Aspudden  
بعااصمة السويد في منتصف سنة ١٩٢٦ للعلاج من آفة المخدرات وعوارض  
الجنون ، وأنه نقل منه الى مستشفى كاتارينا Katarina حيث كانوا يحجزونه  
في حجرة مبطنة لفرط هياجه بعد تحريم المورفين عليه<sup>(١)</sup>

وعجائب جورينج في حب الظهور ونشوز الأخلاق لا تحصى ولا تفرغ منها  
فكاهات أهل برلين من نازيين وغير نازيين : حسبك منها انه يلعب بشبل أسد  
وانه يبدل نيفاً وعشرين كسوة رسمية ، ويملاً كل واحدة منها بالأنواط والأوسمة  
والشارات !

والظاهر أن الآفة عامة بين زعماء النازيين على صور وأشكال : فكلمهم جياح  
إلى المظهر البراق ، وكلمهم يعيشون في جو التمثيل والخراج .  
فالمنافس الأول لجورينج — وهوريدينتروب — لا يكتر مثله في تبديل  
الكسي وحمل الأنواط والأوسمة ، ولكنه لا يعيش بغير تمثيل وتهويل سواء أقام في

(١) كتاب « جورنج أخطر رجل في ألمانيا » تأليف كورت سنجر



بلاده أو تغرب عنها . . . ومن ذلك أنه تولى وزارة الخارجية فأقام فيها حرساً من مائة وخمسين فتى يلبسون الكسوة الرمادية الخضراء ، ويرسلون الأهداب من الأكتاف ، ويصطفون كل صباح لأداء التحية في فناء الوزارة .

وروى مراسل « لايف » Life الأمريكية أنه حضر مأدبة من مأدب ريندتروب الرسمية وهو سفير في العاصمة الإنجليزية ، فلما دخل الردهة الكبيرة بصر بابنه رودلف واقفاً على الشرفة وفي يده نسخة لم تفتح من كتاب « كفاحي » هتلمر يقب فيها كأنه يقرأها وينعم في قراءتها !

ثم أدب ريندتروب مأدبة أخرى في الخريف التالي تكريماً للكونت شيانو فحضرها المراسل مع الصحفيين المدعويين . قال : فرأيت الفتى في وقفته الأولى ، وفي موضعه الأول ومعه الكتاب لم يفتح بعد ، وهو مقبل على قراءته بانعام . وحكاية « هيل هتلمر » والوقفه النازيه في بلاط لندن أعجب ما يروى من مهازل هذا التمثيل والخراج !

وقد تساوى ريندتروب وجورينج في استغلال الوطنية والاستفادة من محنة الأمة عند الحاجة .

فاحتلال الحلفاء لوادي الرين لم يمنع ريندتروب أن يقنص الفرصة ويتجر هنالك بتهريب النبيذ .

وحماسة جورينج الوطنية لم تمنعه أن يعرض مر المظلات الواقية للبيع في الأسواق الأوربية ، فأنشأ في أيام الجمهورية الألمانية المعروفة باسم الريخ الثاني مصنعاً لهذه المظلات بعاصمة السويد يعرضها لمن يشاء أن يشتريها من دول الأعداء والأصدقاء ، وهى تلك المظلات التي يعتمدون عليها الآن في غارات الترويج والميادين الغربية .

وقد حفظت نسخة الاعلان في دار المحفوظات السويدية وفقاً للقانون الذي يقضى في تلك البلاد بايداع نسخة في المكتبات الحكومية من كل



ورقة مطبوعة . . . فكان جورينج لا يختص وطنه بمخترعاته إلا إذا كان له نصيب من حكمه ، أما إذا كان يائساً من الحكم غريباً في بلاد أجنبية فليس لوطنه هذا الحق عليه .

ونذع هنا ما أفشاه الصحفي سفتون ديلمر Sefton Delmer عن ودائع الزعماء النازيين في المصارف الأوربية والامريكية وتبلغ في تقديره سبعة ملايين من الجنيهات .

فسواء ثبت هذا الخبر أو لم يثبت فالهدايا التي قبلها جورنج في عرسه (سنة ١٩٣٤) ولا يزال يقبل أمثالها تبلغ الملايين ولا شك فيها بين الألمان . . . والأسهم التي اشتراها جو بلز في البلاد الخارجية حقيقة لا تقبل الإنكار ، ومنها مائة سهم في شركة كبيرة يعرفها المصريون وهي شركة قناة السويس حُجز عليها (أى على الأسهم) بقرار من نيابة محكمة السين في منتصف شهر مايو (١٩٤٠) . . . وقس على ما ثبت بالأوراق والشهادات ماهو مزوى إلى الساعة في انتظار الاثبات . إلا اننا لو نفينا الاختلاس وابتزاز الأموال عن هؤلاء الناس لظلوا على وصفهم الذى تنكره الأخلاق والأذواق عصابةً من مرضى الظهور ونهائى الفرص وأصحاب الضراوة بالشرور .

فما هى القضية الشريفة التى يخدمها أمثال هؤلاء ؟ وما الذى يرحض عنهم ووصمة هذه الشرور ؟ أيرحضها عنهم انهم أذكىاء لبقون فى التحيل ونصب الفخاخ ؟ لقد حيرت عصابات المهربين فى الولايات المتحدة ذكاء الشرطة والمحققين ورؤساء الحكومة حتى اضطروهم إلى رفع الحظر عن المسكرات . فمن المجرمين أذكىاء ومنظمون ، ولكن ليس من رجال الخير والنجدة والقضايا الشريفة فتاكون أشرار ، مجردون من فضائل النبيل وسجايا المروءة .

ولولا أن العمل الذى يتولاه هتلر « جريمة انسانية » لما تولاه معه أناس

بهذه الطباع .



## تخصيص

وفخوى ماتقدم أننا أمام رجل أبتز مدخول الطبيعة  
لم تؤهله للخير ورائته ولا نشأته ، ولا صلة الارحام بينه وبين أهله ، ولا صلة  
المودة بينه وبين صحبه ، ولا القدرة على كسب عيشه ، ولا النجاح والتوفيق في  
الفنون الجميلة التي ظن أنه مستعد لها بطبعه ، ولا الغرائز والعواطف التي ركبها  
الله في تكوين كل ذكر وأنثى

والى جانب هذا لم يكن لطبيعته المكتبوتة مصرف من الحركة الجسدية  
والألعاب الرياضية التي تلهي وتشغل عن هواجس النفس المصدومة النافرة  
وأشواق الجسد العاجز المحسور . لأن هتلى على كل إطنابه في مدح الألعاب وتنشئة  
الجيل عليها لم يولع قط بلعبة رياضية أو حركة جسدية ، ولم يشتهر كما اشتهر غيره  
من الطغاة بغرام السرعة في ركوب الطيارات والسيارات ، أو غرام الفروسية في  
الصيد وتجربة السلاح ، أو ما شا كل ذلك من وسائل التنفيس والتفريج

ولو اقتصر أمره على هذا لكانت نهايته التي لاشك فيها إما الى الاجرام أو  
الجنون ، وإما الى الخمول والهزال ، ولما سمع به أحد ولا كتب له اسم في سجل

## التاريخ

ولكنه نشأ موهوب الذهن في فترة الزعازع الدولية والمفاجآت السياسية  
واتفق له أنه كان « مختار » خمسة أو ستة في بدء حياته الحزبية : اختاروه  
ولم يكن في وسعهم أن يختاروا من يشاءون كما يشاءون . ثم تكفل التاريخ



بالبقية الباقية ، وأصبحت الصعوبة بعد ذلك في اسقاطه ومحوه لافي ارتقائه  
وتمهيد طريقه

كيف وصل هتلر إلى الزعامة ؟

وصل إليها لأنه كان « مختار » أولئك الخمسة أو الستة من البداية ، ولم يكن  
من السهل اسقاط زعيم بعد اختياره

وكيف فعل بعد ذلك ما فعل في عالم السياسة الدولية ؟

فعله لأنه قبض بفضل تلك الزعامة على موارد أمة كبيرة كالأمة الألمانية ،  
عدتها ثمانون مليوناً وطاقاتها الحربية والسياسية والصناعية لاتفوقها طاقة أمة أوربية ،  
وعقيدة الجيل الناشئ منها في طاعة « الزعيم » أنها مقدمة على طاعة الإله كما قال  
مدير المدارس الدكتور رينولد كروس Reinold Kraus حيث كتب في صحيفة  
دوتش تاجسيتونج « إن المسيحية عالمية في شعورها . ولكن الواجب هو تقديم  
الوطن على العالم . فمن المستحيل أن تؤمن بالريخ الثالث ثم تؤمن بان طاعة الله  
مقدمة على طاعة الانسان »

ورجل يقبض على زمام ثمانين مليوناً من الخلوقات الآدمية هذه عقيدتهم  
وهذه فطرتهم وذلك استعدادهم للطاعة العمياء ما الذي يستكثر عليه مما فعل ؟  
ولماذا يستكثر عليه ؟ ولماذا تقف أمام فعله موقف الدهشة والاكبار .

لأنه كان متقيداً بدستور أو متقيداً بقانون أو متقيداً بعرف مأثور أو متقيداً  
بمعاهدات مرعية أو متقيداً باجتنب الحرب أو بالسير في طريق محدود لا يتحاشاه  
ولا يحيد عنه لكان العجب مفهوماً من أن يستطيع ما استطاع . لكنه لم يتقيد  
قط بشيء من الأشياء ، ولم يزل يأمر ويطاع في كل ما أراد



بل نحن نخطيء إذا فهمنا أن المسألة هنا مسألة طاعة . لأنها في حقيقتها أكثر  
جدا من الطاعة

المسألة هنا مسألة تعصب لزعيم يراد له التقديس والتمجيد ، ومسألة « ثورة شعورية » جامحة في سبيل التمكين والتأييد ، أو هي « هوس » تسبق الطاعة إلى المفاداة والمغامرة ، لأن غريزة الجماعات قد جاشت جيشانها ، فاندفعت كما يندفع القطيع من الماشية في أثر الحيوان السابق ، ولو إلى الهلاك  
أيقال إن هذا مطلب صعب على من يريده ؟

كلا . بل هذا أسهل المراكب وأوطؤها لمن لا يحسب حسابا ولا يتقيد بقيد . . .  
فليس أسهل من إثارة الشر في نفوس الجماعات الغاضبة المتعطشة إلى الانتقام ،  
المتهاجة بصيحة الحرب والعدوان

وأنه لأسهل المراكب من الوجهة الاقتصادية والسياسية ، لا من الوجهة  
الشعورية ولا من وجهة النظر إلى غرائز الجماعة دون غيرها  
تسلحوا أيها الألمان جميعاً . . . !

هذه أسهل صيحة تصاح وأقمها بالاجابة والقبول :  
يقبلها أصحاب المصانع لأنهم يروجون بها مناجم الفحم والحديد ومصانع السلاح  
ويقبلها الضباط والجنود لأنهم يعتزون بها ويضمنون بها العيش والكرامة  
ويقبلها العمال والصناع لأنهم يجدون عملا في صنع السلاح أو في حمل السلاح  
ويقبلها الشيوخ المحافظون لما فيها من تعزيز النظام القديم ، ويقبلها الشبان  
المتطرفون لما فيها من الحماسة والضجيج ، ويقبلها النساء لأنهن زوجات عمال أو  
جنود أو أصحاب أموال ، ولأنهن معجبات بمظاهر الفروسية ومواكب الجنود في  
كل زمان

فأنت ترى أنها ليست بمعجزة



بل هي نقيض المعجزة

إنها أسهل شيء يخطر على بال من يريد ، ولا مانع يمنعها إلا التفكير في  
العواقب على الأمة الألمانية ، وعلى الأمم المجاورة لها وعلى العالم الانساني بأسره ...  
وهذا ما لم يفكر هتلر فيه  
لأنه مجرم يركب رأسه  
لا لأنه رجل مقدام

\*\*\*

وكل ما صنع هتلر فهو ضروري لغرض واحد : ضروري لاشباع غريزة الحقد  
والغرور والبطش والاجرام في نفس بتراء ممسوخة  
وليس بضروري لغرض آخر كائننا ما كان  
نعم ليس بضروري لسيطرة المانيا المزعومة حتى لو أمكن أن تسود المانيا  
على الدنيا ، وهو مستحيل  
وغاية ما هنا لك أن « سيطرة المانيا المزعومة » هي الستار الذي يدارى به  
هتلر بشاعة إجرامه ، أو هي الخدر الذي ينيم به وسواسه قبل اقرار الجريمة أو  
بعد اقرارها

وإلا فكيف كان هتلر يطيق تلك الأشباح كلها لو صرح نفسه بالحقيقة ،  
وأعلن نفسه أنه يهدر ما أهدر ويقتل من قتل لمحض الاستمتاع بشهوة الدماء  
ونهمه الأحقاد

إن القاتل ليرتعد من الوجل والرعب أمام شبح واحد وجثة واحدة . فكيف  
بالجرم الذي يقذف بالعالم كله في اتون النار . وكيف بالجرم الذي تتراءى له  
الرؤوس الطائحة من أصدقائه وأعدائه بالألوف ؟ وكيف بالجرم الذي يقضى على  
شعوب ويهتك كل حرمة مقدسة في الشرائع والآداب ؟



الجنون السريع أيسر ما يصيب المجرم الذي تطارده كل هاتيك الاشباح ،  
ثم يصمد لها الليل بعد الليل والنهار بعد النهار ، بغير مخدر فعال  
وسيطرة المانيا المزعومة هي ذلك المخدر الفعال  
فاقتل ياهتلر اذن واضرب وغامر وانتقم وأشبع ما بدالك من ضعينة وشر  
وكنود ، فما أنت بمجرم منهوم بالشر المستطير بل أنت بطل مشغوف بمجد المانيا  
الموعود

هل ضمن مجد المانيا الموعود ؟ وهل ضمن السيطرة الالمانية على الدنيا ؟  
كلا ! فسيطرة المانيا على الدنيا ولو انتصرت في الحروب كافة مطلب لا يكون ،  
ومصير غير مضمون ، ولا هو بعد ضمانه بمأمون  
ولكنه ضمن المطلب الذي لا ريب فيه ، وهو اشباع مافيه من شر متفزز  
ومسخ متحفز ، وطبع مكظوم

وقد يقول قائل الآن انه اسـتهان بالأرواح والحرمان وأقدم على الشر  
المستطير في سبيل خطة عظيمة هو واضعها وهو الكفيل بانجازها في مكان الزعامة  
على الأمة الالمانية ، أو في المكان الذي يستطيع فيه أن يتمنى ويحقق ما يتمناه  
لكنه مع ذلك فرح بالشر المستطير عند اعلان الحرب الماضية وتهلل له  
وقال في كتابه « ان تلك الساعات كانت نجاة لي من الضيق الذي كان يرين  
على نفسي في أيام شبابي . فلا يخجلني أن أقول اليوم اني قد أخذت بمجىء  
تلك الساعة وركعت على ركبتى أشكر الله من أعماق قلبي لأنه أتاح لي العيش في  
هذا الزمان »

فهو يفرح بالشر المستطير وهو جندي من عشرة ملايين ، ويفرح به وهو  
زعيم لا يشاركه أحد في الزعامة ، وليس في وسع نخيلة أن تتوهم أنه قد فرح  
بالكارثة العظمى ذلك الفرح لأنه رأى امته منتصرة ورأى أنه سيجلس على



عرشها بديلا من آل هوهنزرن وهم ظافرون ! أو رأى أمته منتصرة وهو يتنبأ  
للدولة النموية بالانهيار ، أو رآها منهزمة ثم تسلسلت أمامه الحوادث إلى اليوم  
الذي يشن فيه هذه الحرب الحاضرة . فتلك أوهام بعيدة من تخيل المتخيلين ،  
وإنما الصحيح من كل هذا أنه مجرم شرير يفرح بالشر حيث كان لأنه لا يعرف  
الفرح بغيره في عمل من الأعمال

\*\*\*

وإيانا أن ننخدع عن كنهه الاجرام فنفهم أن المجرم ينوى الجريمة ويعترف  
بينه وبين وجدانه باختيارها وتفضيلها ولو تسنى له اجتنابها  
فان المجرمين ليعتقدون أنهم مكرهون ، وأنهم لولا الأيام والصروف لما  
اقترفوا قط ما يقترفون ، وما من نزيل من نزلاء السجون تسأله فيقول لك إنه  
كان يأبى أن يعيش كما عاش فلان الصالح السرى وقلان العائل المكفول المؤونة بين



هتلر يسمع اعلان الحرب الماضية سنة (١٩١٤)



عِياله وأهله ، وهتلر أيضا لو سألته لقال لك مخلصا أو غير مخلص أنه كان يود لو  
تم له كل ما أراد بغير قتال

إننا لنبحث عبثا في سجلات التاريخ ووقائع الدنيا الماثلة بين أيدينا لو بحثنا  
عن المجرم الذي يقول إنه خرب العالم وله مندوحة عن خرابه ، أو ظلم من ظلم  
وسفح ما سفح لأنه يستريح إلى الظلم وسفك الدماء .

فانكار الجريمة لا ينفى طبيعة الاجرام .

وكفى أن يكون الشر سهلا يواقعه المرء لأيسر ضرورة أو لضرورة موهومة .  
لثبتت طبيعة الاجرام أيما ثبوت .

وما ضرورة دانزيج . وما ضرورة تأجيلها أو انتظار اليأس من المفاوضات فيها ؟  
ليست بضرورة على الاطلاق

لكنهما مع هذا كانت أعزل على هتلر من معضلة المغامرة بسلام الدنيا  
ومصير بني الانسان

وسوغها المسوغون فقالوا إنه قد أسرع إلى الحرب لأنه عاهد الروسيين على  
التزام الحميدة وتقسيم الغنائم ، كأنهم ينسون أنهم يعنون بذلك تفسيراً واحداً  
لا تفسير غيره ؛ وهو أن صاحبهم يتألف على ذرائع الشر والبغى فلا يرفضها ساعة  
العشور عليها ، وليس يتألف على ذرائع الرفق والسلام

\*\*\*

و بعد فسيطرة المانيا على الدنيا ليست حقيقة في حيز الوجود ، وليست حقيقة  
في مستقبل الأيام ، وليست حقيقة تساوى أهوالها وخسائرها على فرض امكانها  
لكنها حقيقة على صورة واحدة : وهى الاعانة على طوبىة الشر والبغى والتماذى  
فيهما إلى أقصى مداهما . . . ففي هذا ولا شك هى حقيقة وافية بغاياتها ، مؤدية  
إلى نتائجها

وليس فى تاريخ الرجل عمل واحد يستعصى على انسان متوسط الذكاء غير



مقيد بالعواقب ولا بوزع القانون والاخلاق

فهو لم يصنع معجزة يوم اختاروه زعيمًا خمسة أو ستة من الفارغين للمشاغبات السياسية في ميونيخ . ولا سيما إذا ذكرنا أن هذه الزعامة لم تكن أمنية مرغوبا فيها ، للشك في مصيرها واستمرارها أن ينقطع لها صاحبها عن الأعمال والعلاقات وهو لم يصنع معجزة ببقائه في زعامته ، لأن خلع الزعيم ولو كان خصومه على هدى ، أصعب جدا من بقاءه في الزعامة ولو كان على ضلال

وهو لم يصنع معجزة باقتداره على مفاعل وبين يديه موارد الدولة الألمانية وأمامه عالم لا يريد الحرب ولا يتفق على المقاومة وفضيلته الكبرى هي تقيصته الكبرى :

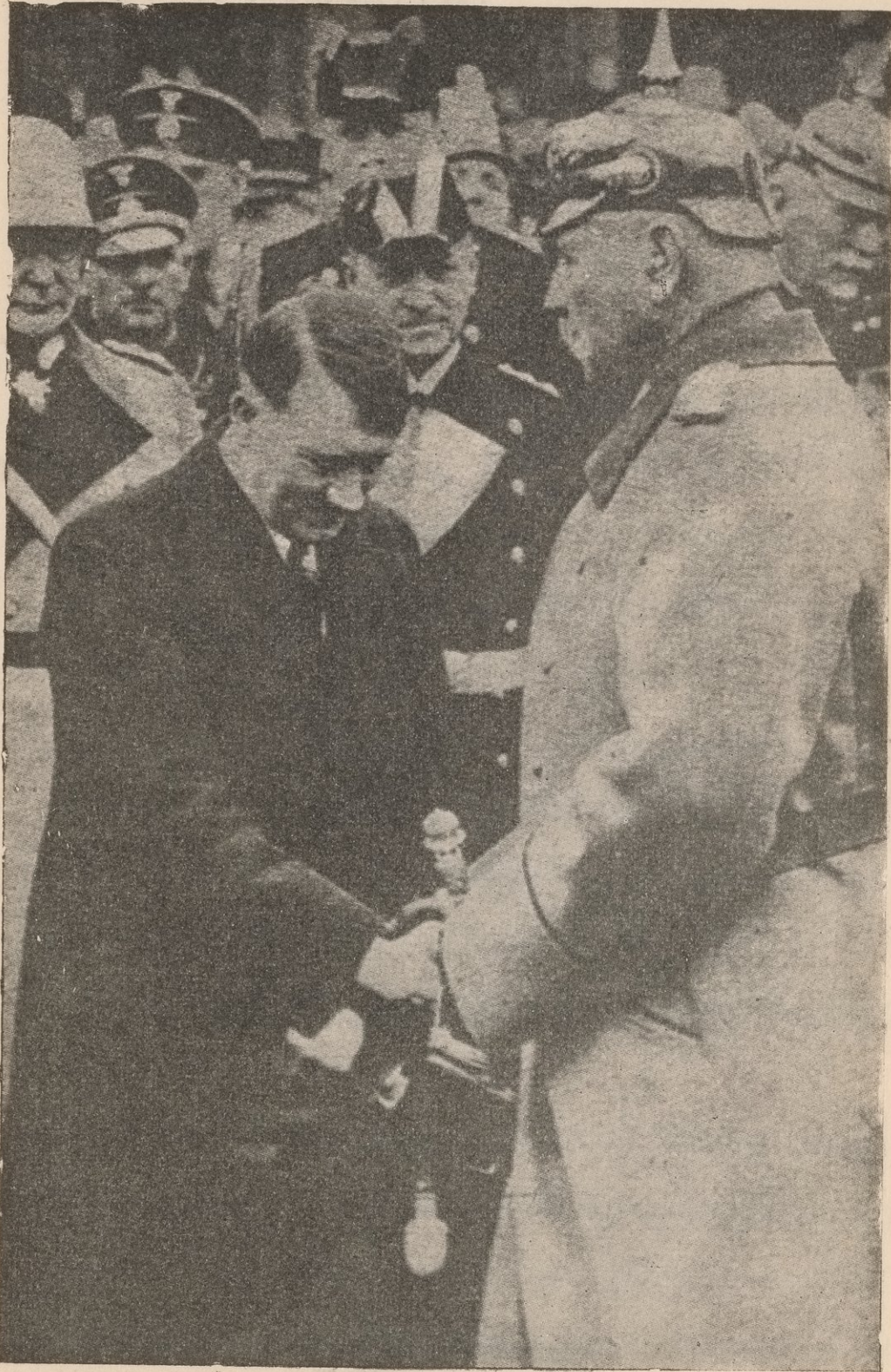
هي أنه ركب الدولاب الجامح ولم يبال وخامة المركب ، لأن أسوأ العواقب لا يعنيه ولا يثنيه

فلم يفكر ماذا يكون المصير والمآل كلها هاجمة على التسليح مشغولة بالتأهب للقتال فالمصانع لا تخرج المدافع والدبابات أبد الأبدن : دورانها على السلاح سرمدا مستحيل ، ووقوفها بعد دورانها أعواما مستحيل ، لما فيه من اغضاب أصحاب

المال ، واغضاب الملايين من العمال ، المتسكعين بين الجوع والسؤال والتحدث عن الحرب ليل نهار لا بد أن ينتهي إلى حرب عاجلة ولو لم تكن لازمة ولا ناجحة

وتربية الشعب على المفاجآت المسرحية تعودده أن يترقبها ويتحفز لها ولا يطيق الفراغ منها ، وإلا فترت الحمية وخذت نار الزعامة التي هي قوامها وعلة وجودها وهكذا دار الدولاب الجهنمي دورته المرهوبة ، ولم يكن عند هتلر إلا لعبة أخاذة يستطيها خيال ا كتمع لم يخلق للعظمة الفنية ، وطبيعة جارمة خوت من الرحم الانساني ، وعقل مخبول يومض فيه الذكاء ، ولكنه ذكاء في قبضة شيطان .





هتلر بین یدی همدنبرج



# الفصل الرابع

في بيان

البيان في بيان...  
في بيان...  
في بيان...  
في بيان...

## قضية اليوم

في بيان...  
في بيان...  
في بيان...  
في بيان...  
في بيان...  
في بيان...  
في بيان...

في بيان...  
في بيان...  
في بيان...  
في بيان...  
في بيان...



## قضية اليوم :

ما هي إذن قضية اليوم ؟ ما هي القضية التي يعرضها النازيون على العالم للفصل فيها ؟ وأين هي مصلحة العالم من طرفي القضية ؟  
ان هتلر يعرض على العالم قضية الطغيان والحرية الانسانية ، أو قضية الايمان بالسلاح وحده والايمن بشيء في الحياة وفي الحضارة غير السلاح .  
وهو لا يعرض على الناس قضية الطغيان ليقول لهم : أيها الاخوان . تعالوا وكونوا طغاة مثلي . . . . . ولكنه يعرضها ليكون هو الطاغية المتحكم وهم العبيد المستسلمين .

وهو لا يؤمن بالسلاح وحده ليقضى به في خصومته مع بولونيا والمجترات وفرنسا وبلجيكا وغيرها وغيرها ثم يكفر به ويلقيه جانبا ويعترف بالحقوق والحرمات .  
كلا ! بل هو يعتمد عليه اليوم مرة ويتماد عليه غداً عشر مرات ، لأنه إذا بلغ به ما أراد زاد اعتماده عليه ، وأصبح أقدر على استخدامه مما هو الآن .  
فهو قد عمل للحرب فجمع لها عدتها . . . وغيره لم يعملوا للحرب فلم يجمعوا لها مثل تلك العدة .

هل أصاب أو أخطأ في اشتغاله للحرب دون غيرها ؟

قل انه أصاب أو قل انه أخطأ فليس هذا مقطع القول الآن ، وإنما مقطع القول ان الذي ينصره أو يتمنى له النصر يخطيء كل الخطأ ولا يصيب في حقه ولا في حق العالم أقل صواب .



على ان العالم لو اشتغل للحرب وحدها كما اشتغل لها هتلر لكان معنى ذلك ان الهتلرية قد ربحت المعركة قبل دخولها ، وقد دان العالم بدين الظغيان وكفر بدين الحرية . وأصبح لزاما عليه أن ينقلب إلى معسكر ميدان لايتربي فيه الطفل ، ولا يعمل فيه الرجل ، ولا تفكر فيه العقول ، ولا تجمع الدولة مالا أو تنفقه ، ولا تبيح الحكومة شيئاً أو تحرمه إلا في هذا السبيل .

وئس الوقاية من الهتلرية تلك الوقاية .

\*\*\*

يقول هتلر للعالم :

« اعطوني حرية الانسان . . . اعطوني حقوق الانسان . . . اعطوني ضمان الرأى والروح . . . اعطوني تراث الماضى والرجاء فى المستقبل . . . اعطوني حقوق الفرد فى الدولة أغيها ، واعطوني الدول الصغيرة أدوسها ، والدول الكبيرة أمرقها . . . وقواعد الطمانينة فى الأرض كلها أزعزعها وألقى الفرع والفوضى والمصير المجهول فى مكانها . . . اعطوني كل ما تعزّون ولا تسألونى ماذا تأخذون . . . لأننى آخذ ولا أعطى : آخذ الحرية التى عندكم ولا أعطى القوة التى عندى ، أو آخذ رجاءكم فى الحرية ولا أعطى رجاءكم فى القوة . إذ هى لى وحدى لا أعطيها أحدا حتى بين الألمان خلاصة بنى الانسان . . . فكيف يعطاها غيرهم من المخلوقين للطاعة والهوان ؟

يقول هتلر للعالم : اعطوني الحرمات والحقوق لأن ألمانيا لا تعيش فى الدنيا

وللدنيا حرمات وحقوق ؟

فهل يصدق فيما يقول ؟ كلا . بل هو يكذب ويلغو . فما فى الأرض أمة

تعيش قريرة راضية والدنيا مسلوبة الحرمات والحقوق .



وهبوه مع ذلك صادقا فعلام يدل صدقه ؟ يدل على أن مصلحة المانيا ومصلحة العالم تقيضان ، وان العالم لن يستريح وللألمان سطوة وشنآن .  
والواقع ان العالم — كذب هتلر أو صدق — ان يستريح والسطوة الهتلرية قائمة والدولة النازية دائمة .

فقضية الانسان اليوم هي أن تهزم المانيا الهتلرية المهزيمة المبرمة التي لا قيام بعدها ، لأن انتصارها هو انتصار لمطالبها التي تبغيها ، ومبادئها التي تدين بها ، ومطالبها الصريحة التي لا تكتمها هي استغلال الشعوب الأخرى وابتزازها ، ومبادئها الصريحة التي تبشر بها هي سيادة القوة بينها وبين الدول ، وسيادة القوة بين الحكومة والرعية . . . وهل لأحد أن يطمع من حكومة ألمانية في حرية أوسع من الحرية التي يؤذن بها لأبناء المانيا نفسها ؟ كلا . فما للحرية وجود في عالم يسوده فرد مقدس معصوم يطلب من الناس ما لا يطلبه الخالق من الخلوقات .

كل ما هنالك مبادئ القوة ، ومعنى مبادئ القوة الغناء التفاهم والتعاقد في السياسة الخارجية ، والغناء الشورى والانتقاد وضمان الحقوق والأرواح في السياسة الداخلية . فلا شيء غير طغيان السيد واذعان الضعيف المحكوم اذعان المستسلم الصامت الذي لا ينبس بشكاية ، ولا يطمع في اصغاء .

ليس يكفي أن تخرج المانيا من الحرب وقدفاتها النصر والاستعلاء ، بل يجب أن تخرج منها مهزومة عاجزة عن التهديد .

لأنها إذا ملكت زمام التهديد بعد الحرب لم يلبث العالم أن يعود إلى ما كان فيه من الفزع الدائم والتسابق الأهوج في مضمار التسليح ، وأن يسرف إسرافه المنهك في أهبة الهجوم والدفاع . فتذهب موارد في اعداد عدة التدمير ثم تضيق هذه الموارد بكل عمل مفيد من أعمال البناء والتعمير . ويعانى أبناء



الأمم جميعا ما كانوا يعانونه من الكساد وارهاق النفقات ، بغير أمل في تبديل هذه الحالة

ولا موضع المفاضلة بين خروج ألمانيا منصورا أو موفورة القوة وبين خروج الحلفاء منصورين قادرين على المقاومة

فأقل ما يُرجى من انتصار الأمم الديمقراطية أن تبقى حالة الحرية كما كانت في السنوات الأخيرة ، وهي حالة أكرم وأسلم من كل حالة يتوقعها العالم بعد تسليط الألمان عليه

هذا أقل ما يرجى من انتصار الأمم الديمقراطية . أما أكبر ما يرجى من انتصارها فهو اتساع آفاق التفاهم والتعاون بينها وبين الأمم الضعيفة ، وهي خطة صالحة للأقوياء والضعفاء على السواء : يظفر منها الأقوياء بمودة لا يستهان بها وتخفيف في النفقات الحربية هم أحوج ما يكونون إليه ، ويظفر منها الضعفاء بالعهد الذي يريحهم من أعباء الدفاع ، ويتيح لهم أن يوجهوا أموالهم وأرزاقهم وجهة الإصلاح والتعمير

وقد يخطر على بال جاهل أن خروج الدول الديمقراطية من الحرب مضعضة خائفة أصلح للعالم وأجدى على الأمم الضعيفة

فهذا الخاطر سخيف مأفون . لأن الدول المضعضة الخائفة لا تضمن تقرير السلام واخلابة المتربصين المتوثبين للشر وهم كثيرون : منهم المستبدون الذين تجنبوا الحرب فصانوا قوتهم للارهاب والنهب بغير حساب ، ومنهم الشيوعيون الذين يرقبون يوما يفرضون فيه مذاهب الهدم والكراهية على جميع الشعوب ، وأي فرصة ينتهزونها لترويج مذاهبهم كالفرصة التي يجدونها وهم آمنون سطوة الدول الديمقراطية الكبرى ؟ لعلمهم يصيبون بين شعوب تلك الدول نفسها تربة صالحة لالقاء بذور الفتنة والتمرد والانتفاض ، متى وجدوها مضعضة خائفة



لا تقوى على إخافتهم ولا على علاج المشكلات المترامية في داخل بلادها  
وقد يخطر لأحد أن مذاهب الهدم والكراهية تشقى أناسا وتسعد  
آخرين... فان كان المقصود أنها تسعد الحاكمين بأمرهم فذلك صحيح. أما إن كان  
المقصود أنها تسعد الأيدي العاملة فليس أفضل من هذا الخاطر بشهادة العيان  
فقد اتسع مجال التجربة للطغاة الشيوعيين جيلا كاملا فماذا صنعوا؟ وماذا  
أفعلوا على الطبقة الفقيرة من فلاحين أو صناع؟ جمعوا على رأسها من الذل والارهاق  
مالم يجتمع في أمة حاضرة، وجعلوا الدولة صاحبة رأس المال وصاحبة المرافق في  
داخل البلاد وخارجها، فأصبحت الطبقة العاملة من أجل ذلك محرومة حقها قبل  
رأس المال وأصبح الاحتجاج أو الاضطراب في هذه الحالة تمردا على الدولة وخيانة  
عظمى يعاقب عليها بالموت أو بالسجن الطويل، وأصبحت السلطة التي يشكو منها  
العامل هي السلطة التي يشكو إليها. بل أصبحت روسيا كلها سجنا كبيرا  
لا يباح الخروج منه ولا الدخول إليه إلا كما يباح الدخول والخروج في السجون  
ولا يكتم الشيوعيون هذا الاخفاق الذي لا سبيل إلى كتمانها، فهم يعترفون  
به ويردونه إلى كل سبب غير سببه الصحيح، وهو سخافة المذهب الذي يجعل  
تاريخ الانسان كله تاريخ «بنك» أبدى لا محل فيه لغير أطوار النقد وأسعار  
المصارفات، ولن يفقهوا هذا ولن يرجعوا عنه. لأن المسألة عندهم مسألة شهوة  
لا مسألة فكرة، وهي في قلوبهم حقد على المحسودين وليست رافة بالمحرومين.  
وسيمنون أنفسهم ما استطاعوا أن ينهزم العالم ويتضع فيمتاح لهم الأمل المنشود،  
ويدركوا يومئذ مالم يدركوه بعد الحرب الماضية التي خرج منها الظافرون وهم  
متناسكون غير مضععين

\* \* \*

ولهذا نقول أن قضية العالم هي انهزام المانيا وانتصار الدول الديمقراطية



وكما نقول أن كل نتيجة دون هزيمة المانيا لا تكفى ، نقول كذلك أن كل نتيجة دون انتصار الديمقراطية لا تكفى . لأن الشيوعيين والمستبدين هم المستفيدون دون غيرهم من هزيمة الديمقراطية أو من انتصارها على أعدائها انتصارا لا تحميه

\*\*\*

إن النازيين يتقربون المينا من الشرقين بحجة غريبة ، ويتقربون الى الأمم الأخرى بحجة أغرب وأدعى الى الريبة

أما الشرقيون فيذكرون لهم الشكايات التي يشكونها من الدول الديمقراطية ، والقضايا الوطنية المتعلقة بين تلك الدول وبعض الشعوب العربية والشرقية

ومهما يكن من شأن هذه القضايا والشكايات فما لانزاع فيه أن المرء لا يحمده جرائم السل لأنه يشكو الزكام ، ولا يرضى بصولة النازيين وطريقتهم في حكم البولونيين والتشكيين والنمسيين والهولنديين وأبناء الشمال ، لأنه يلقى ما يسوءه من الدول الديمقراطية

فإن الفرق لبعيد جدا بين من ينكر الحرية أصلا وفصلا وبين من يعترف بها ويماطلك فيها ، أو يخالفك في مقدارها

ولا أمل على الاطلاق في حرية أورخاء مع النازيين ، ولا يأس على الاطلاق من بلوغ الحرية والرشاء مادامت للديمقراطية حجة قائمة

\*\*\*

ما من شرقي يرضى للشرق بما دون الانصاف الشامل والحقوق الوافية ، وسيدبلغ أبنائه لا محالة ما يتوقون اليه من انصاف ومنعة بفضل الجهود التي يقوم بها رجال كل بلد على حدة ، وفصل الجهود التي يتعاون عليها رجال الأمم العربية كافة . فمطلب الحرية والانصاف للأمم الشرق مطلب مفروغ منه ، ولا جدال فيه



إلا أننا حين ننظر الى النزاع الاوربي إنما ننظر الى المسألة من جانب الموقف  
الحربي والسياسة الخارجية ، وهي لا يمكن أن تكون إلا على وجه من وجوه  
ثلاثة : أن تقف الأمم الشرقية وحدها ، أو تقف الى جانب النازيين ، أو تقف  
الى جانب الحلفاء

فالوقوف وحدها في حومة هذا النزاع العالمي لا يتأتى . اذ ليس في أمم الشرق  
الأدنى أمة أقوى من فرنسا وهي لم تستغن عن المعونة الانجليزية ، ولا أقوى من  
بريطانيا العظمى وهي لم تستغن عن المعونة الفرنسية

وحسبنا أن نتخيل تركيا وقد وقفت أمام روسيا وألمانيا ونظرت الى خلفها  
فلم تجد من يحمي ظهرها ويملك العدة اللازمة لنصرتها . فماذا يسبها أن تصنع ؟  
وماذا يكون المصير إلا أن يطغى الروس والألمان ومن معهم على كل أرض في  
طريقهم ليقسموها أو يقتتلوا عليها ؟

بقي الوقوف الى جانب الحلفاء أو الوقوف الى جانب النازيين ، ولا ترددي  
المفاضلة بين الموقفين : قوم يسهون الحق ويؤجلون مواعده ، وقوم ينفكرون كل حق  
لمن عداهم في خيرات الدنيا ولا ينتظرون من الساميين خاصة الا الخضوع لسيادة  
الآريين ، بغير أمل في الخلاص أو في تبديل الحال ، إلا أن تتبدل الأجناس ...  
وهيهات !

فالأمم الشرقية لا تعرف مصيرا هو أولى بخشيتها واتقائها وضياع آمالها من  
مصيرها مع النازيين ، إذا ملكوا زمامها بوسيلة من وسائل الغلب والارهاب

\*\*\*

أما الحجة التي يتقرب بها النازيون الى العالم مسوغين بها مطامعهم وملاطفين  
بها من شرور عدوانهم فهي أنهم لا يصنعون اليوم إلا ما صنعه الانجليز والفرنسيون  
في الاجيال الماضية ، فلماذا يجوز الفتح للانجليز والفرنسيين ولا يجوز للنازيين ؟



ولماذا تهنأ بريطانيا العظمى مثلاً بالسيطرة العالمية ولا يغلبها النازيون عليها ؟  
فإذا سلم العالم هذه الحجة وجب أن يطلق الأمل في التقدم والتفاهم والسلام  
أبد الأبد ، وأن يجعل السيطرة العالمية قبلة لكل دولة تشعر بالقوة وتعزز بالعدد  
والعدة : يوم للامان ويوم للروس ويوم للظليان ويوم لأهل اليابان أو الصين أو  
من شئت من البلاد ، ولا راحة للدنيا في هذا الرجراج الصاعد الهابط بين قوم  
قد استعدوا وقوم يستعدون ، أو بين عدة أقوام مستعدين في جيل واحد . . .  
وذلك هو الجحيم بعينه للظافرين والمظفور بهم أجمعين  
والحقيقة أن السيطرة على العالم خرافة أغبياء وستظل خرافة أغبياء إلى  
آخر الزمان

والناس لا يملكهم واحد

مهما علا في ملكه واستطال

كما قلنا في توديع غليوم الثاني الذي ركب الغرور قبل ربع قرن كما ركب  
الهتار بين في هذه الأيام

فالدنيا لا تسودها دولة في العصور الحديثة ولن تسودها دولة في العصور  
المقبلة ، وما سادتها بريطانيا العظمى في أيامنا هذه ولا في أيامها الماضية . وأحرى  
بالمستقبل أن يجرى على سنة أقوم من هذه السنة مادام للحضارة معنى والمصالح  
المشتركة قدرة على كبح من يعدون عليها ، طغياناً في سبيل الفتوح ، أو إيثاراً  
لمصلحة دولة واحدة على المصالح جمعاء

والأمم التي تدخل في الدولة البريطانية إما مستقلة كافر يقيا الجنوبية وكندا  
واستراليا وزيلاندة الجديدة ، وربما كان سلطانها على لندن أكبر من سلطان  
لندن عليها

وإما تابعة كالمستعمرات الأفريقية وما شابهها وليست سيادة الانجليز لها  
دليلاً على سيادتهم للعالم ، لأن الباجيكيين والاسبانيين يملكون مثلها . ولا ينفع



النازيين عند هذه الأمم أن تُجلى الانجليز عن أرضها . فانها متى استطاعت  
اجلاءهم فلن تفعل ذلك لتركع تحت أقدام النازيين ، وتقبل السيطرة ممن  
يحسبون الأمم الافريقية في زمرة القرود

و بين الأمم المستقلة والأمم التابعة أمم كأهل الهند يتقدمون في طريق  
الاستقلال ، وقد تكون للنازيين مصلحة في الحلول من أهل الهند محل الانجليز...  
ولكن ما هي مصلحة أهل الهند ؟ وما هي مصلحة العالم ؟ وما هي مصلحة الأمم  
الغالبة أو الدول المغلوبة ؟ وما هي مصلحة الأمم الواقعة في الطريق ؟

على أننا لم نذكر الهند لنقرر هذه الحقيقة . فهي غنية عن التقرير ، وانما  
ذكرناها لنقول ان الحالة الحاضرة في الهند لا ترجع إلى العوامل الخارجية كما  
ترجع إلى العوامل الداخلية ، وان بريطانيا العظمى لو رفعت يدها اليوم عن تلك  
البلاد لما زالت جميع الحوائل بينها وبين قيام الحكومة الوطنية الشاملة ، ولا  
قاربت الزوال

فهناك الأمراء الحاكمون في ولاياتهم وهم لا يتفقون ولا يرضون أن يحكمهم  
مجلس في عاصمة بعيدة عن عواصم الامارات

وهناك المسلمون وهم كثرة في بعض الأقاليم وقلة في بعض الأقاليم الأخرى ،  
ولو شملتهم حكومة واحدة لأصبحوا قلة ضائعة في جميع الأقاليم

وهناك المنبوذون وهم عشرات الملايين ينظر اليهم البراهمة نظرتهم إلى الرجس  
الذي يفرقون من ظله ، ولا خير لهم في حكومة تضعهم هذا الموضع وتهملهم  
هذا الاهمال

وهناك اختلاف الأقاليم في الأجناس واللغات والأديان وعناصر الثروة  
ومعادن التربة الزراعية ، مما لا يجتمع نظيره إلا في قارة من القارات الكبار  
فمسألة الهند العضال ليست مسألة السيادة الخارجية وحدها ، سواء كانت



علمية أو مقصورة على بعض أجزاء العالم ، إذ لو فرغت كل سيادة علمية في الدنيا  
لما فرغت المسألة الهندية ، بل لعلها تبدأ يومئذ من جديد  
وأما المسألة في الهند أنها محتاجة إلى الانجيز كاحتياج الانجيز إليها ، وانها  
لا تخسر إذا خالفت الانجيز بحالفة استقلال وكرامة ، كما تخسر إذا انفصل  
الفريقان دفعة واحدة

فالعلاقة الوحيدة الصالحة للتوفيق بين أمتين في زماننا هذا هي علاقة المصالح  
المشتركة والمعونة المتبادلة ، ولو كانت بريطانيا العظمى أقوى مما هي اليوم اضعافا  
مضاعفات لما استطاعت أن تقيم علاقاتها مع الأمم المتصلة بها على غير هذا  
الأساس

أما السيطرة على العالم في زماننا هذا فأوجز ما نقول فيها أنها خرافة أغبياء ،  
وأنها قد بطلت اليوم كل البطلان ، ونرجو أن يكون بطلانا سرمديا لاروجة فيه

\*\*\*

وهنا مفترق الطريقين في قضية اليوم :

طريق الايمان بالقوة الحيوانية تبقى اليوم كما كانت بالأمس وتبقى إلى آخر  
الزمان كما كانت في أول الزمان ، فلا تبديل لها ولا رجاء في التبديل ولا خير  
فيه لو كان إلى تحقيقه سبيل ، وسيسود القوي العالم وينبغي أن يسوده وأنفه  
راغم . ولا عبرة بما يتعلل به طلاب المثل العليا من الآمال والأحلام

وهذه طريق النازيين

وطريق الايمان بشريعة في الحياة غير شريعة القوة الحيوانية : وهي شريعة  
الحق والانصاف والأمل في تقدم الانسان إلى سنن في المعاملات بين الأمم والافراد  
وراء سنة الكهف والغابة

وهذه طريق الديمقراطيين



ويقول النازيون أن شريعة القوة حقيقة لا ريب فيها ، وأن الانسان لا يغالط نفسه في وجودها إلا لعلّة على حد قول أبي الطيب . فالدول الديمقراطية تنادى اليوم بشريعة القوانين والعهود وتنكر سياسة البطش والارهاب لأنها شبتت وامتلات فلا حاجة بها إلى مزيد من السطوة والسيادة ، والأمم الضعيفة تنادى بشريعة القوانين والعهود لأنها تطمع في المساواة بينها وبين الأقوياء على أحكام هذه الشريعة

وكل ما يقال عدا ذلك فهو كاذب وأوهام

وعندنا أن هذا القول على فرض صحته لن ينفع النازيين ولن يشفع لهم بين يدي العالم . فاذا كانت المسألة كما يقولون مسألة مصلحة وليست بمسألة حق ، فقد كفى خذلانا لقضيتهم أن تكون مصلحتهم هم ومصلحة العالم نقيضين ، وأن يكون نجاحهم أول خطوة في خذلان من عداهم من شعوب الدنيا ، حتى شعوب الدول التي تدين بالقوة ولا تدين بالعدل والانصاف ، فان نجاح النازيين يضير تلك الشعوب كما يضير الدول الديمقراطية الكبرى ويضير المستضعفين

على أن المسألة هنا ليست مسألة مصلحة وحسب كما يقول النازيون . فشرعية القوة وشرعية الحق موجودتان لاشك فيهما ، والخصومة بينهما قائمة على أمور مشهودة وليست قائمة على أوهام وكاذب ، واحتياج الحق إلى القوة لا ينفي هذه الحقيقة ، لأن القوة أيضا تحتاج إلى الحق في عملها وفي دعاها

ونحن لاننكر شريعة القوة والارهاب وننصر شريعة العدل والقانون لأننا أمم ضعيفة تحسب حساب مصلحتها كما يقول النازيون ، بل نحن ننكر تلك وننصر هذه لأن بينهما فرقا صحيحاً بل فوارق جمّة في جميع الأمور : فوارق يجب أن يحرص عليها القوى كما يحرص عليها الضعيف ، ويظهر أثرها في الضمائر



والأخلاق والعقول كما يظهر في المرافق التي تتناولها السياسة خارجية كانت أو  
داخلية

وفيما يلي تلخيص بعض هذه الفوارق التي تدعونا إلى تفضيل شريعة القانون  
على شريعة القوة ، أو تفضيل الديمقراطية على النازية وما إليها . سواء بلغنا شأو  
القوة العسكرية أو قنعنا بما نحن فيه

### تفضيل الديمقراطية

فمن المبادئ الأساسية للديمقراطية حرية الاعتقاد والضمير والحق في الحياة السياسية  
والتي لا يمكن فصلها عن حرية الصحافة والصحافة الحرة والحق في التجمع

والتي لا يمكن فصلها عن حرية الاجتماع والجمعية الحرة والحق في التجمع  
والتي لا يمكن فصلها عن حرية النقابات والحق في التفاوض الجماعي والحق  
في الإضراب والحق في العمل في ظروف عادلة والحق في التنظيم النقابي  
والتي لا يمكن فصلها عن حرية النقابات والحق في التفاوض الجماعي والحق  
في الإضراب والحق في العمل في ظروف عادلة والحق في التنظيم النقابي  
والتي لا يمكن فصلها عن حرية النقابات والحق في التفاوض الجماعي والحق  
في الإضراب والحق في العمل في ظروف عادلة والحق في التنظيم النقابي

والتي لا يمكن فصلها عن حرية النقابات والحق في التفاوض الجماعي والحق  
في الإضراب والحق في العمل في ظروف عادلة والحق في التنظيم النقابي

والتي لا يمكن فصلها عن حرية النقابات والحق في التفاوض الجماعي والحق  
في الإضراب والحق في العمل في ظروف عادلة والحق في التنظيم النقابي  
والتي لا يمكن فصلها عن حرية النقابات والحق في التفاوض الجماعي والحق  
في الإضراب والحق في العمل في ظروف عادلة والحق في التنظيم النقابي



## بداية القضية

إن قضية الحرية الانسانية لم تُطرح للفصل فيها اليوم في إبان الحرب الحاضرة  
أو أثناء الأزمات المتعاقبة التي تقدمتها

ولكنها طُرحت للفصل فيها منذ بضع عشرة سنة ، أى من اليوم الذى  
تصدى فيه المستبدون للحكم وهم يعلنون جهرة أنهم يستبدون لأن الاستبداد فى  
الحكم هو الواجب وهو الصواب ، وأنه هو النظام المفضل على نظام الحرية فى كل  
شعب وفى كل آونة ، ولم يقولوا كما كان يقال من قبل أن الاستبداد  
ضرورة موقوتة الى أيام معدودة ، ثم تعود الحرية الى مجراها وترجع الشعوب  
الى شوراها

يومئذ بدأت قضية الحرية الانسانية فى القرن العشرين ، ووجب أن يتوقع  
الناس النهاية من تلك البداية

وبدا لنا يومئذ أن نعالج الموضوع من نواحيه القريبة اليما عسى أن ننبه ولو  
الى بعض الخطر ، وأن نجلو ولو بعض الشبهات . فكتبنا رسالتنا عن « الحكم  
المطلق فى القرن العشرين » وصدرناها بفصلين نعيدهما فى هذا المقام ونحن نقارن  
بين الاستبداد والحرية ، لأن وجه المسألة لم يتغير بين أمسه ويومه ، ولم تزل



الدعوى هي الدعوى والآراء هي الآراء ، سواء من جانب الحرية الانسانية أو  
من جانب الطغيان

بدأنا الرسالة بفصل سألنا فيه : « هل فشلت الديمقراطية ؟ » ثم أجبنا  
السؤال بفصل تال عنوانه « لم تفشل الديمقراطية » . . . وهذان هما الفصلان  
ننقلهما توطئة للمقارنة التي سنعقدها بين الديمقراطية والنازية على النحو الذي تمثل  
في النزاع الحاضر ، و نرجو أن نصل بذلك بين بداية القضية قبل بضعة عشرة سنة  
و بين أعقابها التي استطرقت اليها في هذه الآونة



### هل فشلت البرمجة الطيبة

كان الاستبداد المطلق مقدساً في زعم رجال الدين الذين كانوا يستعينون به على حفظ مكانتهم وقضاء ما ربههم ، وكان هو يستعين بهم على تقرير نفوذه وشمول سلطانه على الضمائر والأجسام ، وكان لحق الحكم مصدر إلهي يتلقاه الحاكم المستبد من السماء فلا يسأل عنه ولا يكون للشعب إلا أن يطيعه كما يطيع خالقه ، ويؤمن بحكمته التي تخفى عليه كما يؤمن بأسرار حكمة القدر . فالحكومة رسالة سماوية معصومة على هذه الارض الخاطئة ، والشك في الحكومة كالشك في العقيدة . . . كلاهما كفر يعاقب عليه بالحرمان السرمدى من رحمة الله

كان هذا هو مصدر الحكومة المستبدة الى ما قبل القرن الثامن عشر . وكان الايمان به عاماً شائعاً لا يشك فيه إلا أفراد معدودون من أحرار الفكر يخفون آراءهم كما يخفى المجرم جريمته والآثم وصمة عاره ، فلما انتقل سلطان الحكم من المستبدين الى مشيئة الشعوب انتقلت القداسة معه الى المصدر الجديد ، وأصبح حق الحكم مقدساً — مرة أخرى — من طريق الشعب لا من طريق الصوامع والكهان . وتغير النظام القديم ولم يتغير قلبه الذي صنعتته العادات المتأصلة والمصالح المتشعبة والعقائد الموروثة

وربما بدأت هذه القداسة الشعبية على سبيل المجاز في التعبير يلجأ اليه دعاة النظام الحديث للمقابلة بين أساس الحكومة الغابرة وأساس الحكومة الحاضرة ، ثم أضيفت الى هذا المجاز حماقة الفكرة الناشئة وروح الأمل في المستقبل ، والنقمة



على الماضي . فأصبحت القداسة الحديثة عقيدة في الضمير يشوبها من الابهام كل ما يشوب العقائد التي تستعصى على تناول العقول  
أصبحت الديمقراطية عقيدة مقدسة في العرف الشائع نجاءها الخطر من هذه الناحية في عصر الشك والسخرية من جميع « المقدسات » . . . وسمع الشاكون والساخرون بهذه « المقدسة » الجديدة فعلموا أن هناك شيئاً طريفاً يظهر فيه براعة التنفيذ وقدرة التصغير والتقييم ، فأسرعوا إليه في جد ووقار ، وأعتقوا أنفسهم كثيراً ليقولوا ان الديمقراطية شيء لم يهبط على الارض من السماء وأن القداسة هنا مجازاً لاحتقيقة له في العلم والاستقراء . . . فكان الجاحدون لقداسة الديمقراطية والمؤمنون بتلك القداسة المنزهة عن الشوائب بمنزلة واحدة من الفهم والسداد ، لأن قداسة الديمقراطية لم تكن مسألة علمية يبحثها الناقدون المحصون على هذا الاعتبار من جانب القبول أو من جانب الإنكار ، فالذين يضعونها هذا الموضوع ينظرون إليها من أضيق حدودها التي يعرفها المجازيون والجهلاء ولا ينظرون إليها من أوسع الحدود التي يحيط بها من يعرف حقيقتها وقياسها بمقياسها الصحيح . وإذا كان التكلم الذي يقول ان الماء العذب شهد حلو المذاق مخطئاً في صيغة التعبير العلمي فأشد منه امعاناً في الخطأ والغفلة عن الحقيقة من يحمل الماء العذب إلى المعمل الكيماوي ليثبت أن الماء ماء وليس بشهد حلو المذاق ، كما يقولون في لغة المجاز

\* \* \*

في أواخر القرن التاسع عشر ظهرت « السيكولوجية » أو علم النفس وتفرعت فروعها وكثر الاشتغال بتطبيقه على الأفراد والشعوب ولعل أغرب ما استغر به الناس من قضايا هذا العلم وصفه لأطوار الجماعات والأساليب التي يجري عليها في تكوين عقائدها وتوجيه أهواها وتسيير



حركاتها واثارة خواطرها . فقد جاء هذا الوصف بعد شيوع الديمقراطية في العالم الحديث بأكثر من جيلين ، فلاح لمعظم الناس كأنه غريب وكأنه مخالف للمقرر في الأذهان أو لما يجب أن يتقرر في الأذهان ! ولو أنه جاء قبل ذلك بمائتي سنة أو لو انه تقدم في عصر الاصلاح مثلاً لما وقع من الافكار موقع الغرابة في شيء ولا أحاط به ذلك السحر الذي يحيط بكل هجمة مخالفة للمألوف ، ثم لجأت الديمقراطية حتماً في سياقها الطبيعي دون أن يتخيل إلى أحد أن حقائق علم النفس تعارض الحكم الديمقراطي أو تعارض حكم الشعوب . لأن الديمقراطية كانت نتيجة لازمة لفساد حكم الاستبداد ولم تكن نتيجة لجهل الناس بالسيكولوجية وخطئهم في تفسير حركات الجماعات . فلو علم الناس في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر أن حركات الشعوب غير مقدسة ولا منزهة عن عيوب الطبيعة البشرية لما كان ذلك مانعاً لوقوع تلك الحركات في أوانها ولا واقعياً للأنظمة العتيقة من التداعي والسقوط . ولكن «السيكولوجية» ظهرت بعد الديمقراطية فنشأت غرابتها من ثمَّ وكان استغراب الناس اياها وهما متولداً من الوهم القديم الذي تطرق اليهم من تقديس الشعب بعد تقديس العواهل المستبدين . فلولا الخرافة الدائرة خرافة المستبدين الالهيين لما وجدت خرافة الشعوب الالهية ولا اتخذت أطوار الجماعات التي استعرضتها مباحث العلماء النفسيين دليلاً على بطلان الديمقراطية ، ولا قيل ان نظامها قائم على أساس واهن لأنه قائم على مشيئة الشعوب وهي مشيئة لا توصف بالعصمة . وقدما عرف الناس من أطوار الأفراد أنهم يطمعون ويستأثرون وأنهم ينقادون للهوى ويخضعون للشهوات وأنهم عرضة للخطأ الكثير والضلال البعيد وأنهم غير معصومين بحال ، فلا يكن هذا العلم بأطوار الأفراد هو الذي قضى على حكومة الفرد ، ولم تتقوض النظم الأولى الا حين تعذر التوفيق بينهما وبين أحوال الرعايا ومطالب الأمم .



لم تنقض على الديمقراطية سنوات حتى خيبت آمال الحالمين فيها وخيبت  
آمال أولئك المظلومين الذين صوروا زمانها المترقب في صورة الفردوس الأرضي  
أو العصر الذهبي الذي تغنى به الشعراء وتحدثت به الأساطير . فلا ظلم ولا  
اجحاف ولا تمييز بين القوى والضعيف أو القريب والبعيد : كأنما صوت الشعب  
المنطلق من غيابات الأسر نعمة ساحرة كنفحات « أورفيوس » يتجاور في سماعها  
الليث والحمل والضاريات والنقاد ، ومتى كان كل هذا منتظراً من الديمقراطية  
فلا جرم يخيب فيها الظن ويحكم عليها الحامون بالفشل بعد أول صدمة مع وقائع  
الحياة وعثرات التجربة الأولى ، وهي لا تخلو من النقائص ولا تسلم من الاضطراب  
فلم يكن أقسى على الديمقراطية ولا أظلم لها من غلاة المؤمنين بها الذين  
كانوا يكفونها مالم يس يكلفه نظام في هذه الدنيا . أية كانت قواعده من الصحة ،  
ونيات القائمين به من الصلاح

هذه كلها أسباب يصح أن تسمى بالأسباب المصطنعة للشك في حقيقة النظام  
الديمقراطي والأخذ فيه بالعرض دون الجوهر المقصود

على أنها ليست بجميع الأسباب المصطنعة التي يمكن أن تعدد في هذا المقام .  
فهناك أسباب مثلها دعت إلى الشك في حكومة الشعب قلما تتجاوز العرضيات  
إلى دخائل الأمور... فمنها أن عيوب الحكومة الشعبية مكشوفة ذائعة للاستفاضة  
علاقتها واشتراك المئات والألوف في دعواتها وأعمالها . فليس لها حجاب من  
الفخامة والروعة كذلك الحجاب الذي كانوا يسترون به عيوب الحكومات  
المستبدة ويتعاون فيه الكهان والمداح والبلاطيون على التزويق والتزييق ، وخليق  
بهذا التكشف أن يغض من فضائلها بعض الشيء

وان مجرد القول بان الشعوب لا تصلح للديمقراطية لدليل على أنها درجة  
عالية يجب أن تتوجه إليها المصلحين وطلاب الكمال ، في حين أن القول



بجهل الشعوب واضطرارها من أجل ذلك إلى الحكم المطلق دليل على مصلحة  
الحكام المطلقين في بقاء ذلك الجهل وتخليد هذه الحالة التي بها يخلدون  
ومما يضعف جانب الحكم المطلقين في دعوتهم هذه أنهم يعيبن على  
الجاهير أطوارها ليمتخلصوا من ذلك إلى تزكية الحكم الدكتاتوري أو الحكم  
المطلق ... مع أن التجارب الكثيرة — والتجارب الحديثة منها على الخصوص —  
قد أظهرت أن الدكتاتوريين الصالحين هم رجال الشعوب وثمرت تلك الأطوار ، وأن  
الجاهير لا تعوزها البديهة التي تفتن بها إلى مقدرة القادة وتوليهم إعجابها وتخصم  
بمقتها واقبالها وتسلمهم زمامها حتى حين يجترئون على عاداتها التي تغار عليها  
وتغضب للنسب بها إذا مسها من ليست له تلك القدرة وذلك الإعجاب . فاذا  
احتاجت الجماهير إلى المصلح النافذ في اصلاحه فليس أقدر على هذا المطلب من  
زعيم شعبي تبرزه البديهة الشعبية ، ولا أسرع منه في حث غريزة الامم ومغالبة  
ما فيها من العيوب ، وكأن هذا المصلح هو الزوج المحبوب الذي يطاع لأن طاعته  
سرور ويقاس مقدار حبه بمقدار المشقة التي تبذل في اطاعة أمره . وقد يكون  
الزوج زوجا بالصيغة الرسمية ولكنه لا ينال هذه المكانة ولا يأمن الرياء والخيانة  
إذا تكفلت له الصيغة الرسمية بالطاعة الظاهرة .

وعبث ولا ريب أن تعاب أطوار الجماهير وأن يقتصر الأمر فيها على النقد  
والزراية وهي هي الاطوار التي لازمتها في كل ما تمخضت عنه الانسانية من  
الثقافات ، وفي كل من تمخضت عنهم من الدعاة والمصلحين

فأصلح الطبائع لآحياء الشعوب هي الطبائع التي بينها وبين الشعوب مجاوبة  
في الشعور ومساجلة في عناصر الحياة . وإذا كانت الشعوب تخطيء في عرف  
العلماء فليس عرف العلماء هنا هو المقياس الذي يرجع اليه في تقدير الدوافع  
والنتائج ، لأن الطبيعة لا تستشير العلماء فيما تعمل وفيما تريد . بل ليس العلماء



أنفسهم بنجوة من الخطأ على حسب مقياسهم ، لأن أخطاءهم قديما وحديثا في تصور  
الحكومات النافعة أكثر وأكبر من أخطاء الشعوب كلها مجتمعات .  
لليتمقراطية عيوبها ولكنها عيوب الطبيعة الانسانية التي لا فكاك منها .  
وقد يكون لهذه العيوب في مجموع الحضارات الانسانية فضل كفضل المحاسن  
المصطلح عليها إن لم يزد عليه

ولا تقارن الديمقراطية بحكومة المثل الأعلى المنشودة في الخيال والموصوفة في  
الاحلام . إذ هذه الحكومة لا موضع لها في عالمنا ولن يكون لها موضع . ولكنها  
تقارن بالأنظمة الأخرى في جملتها وينظر الى عيوبها بصدق واخلاص وتقدير لجميع الظروف  
فلعل هذه العيوب بعض لوازم الحسنات التي لا يستغنى عنها أو لعلها طارئة  
يزيلها المزيد من الديمقراطية . . . إذ كان من المحقق أن محاربة الديمقراطية لم  
ترلها فيما مضى ولا يرجى أن تزيلها فيما بعد

وكذلك لا يصح أن نقيس الديمقراطية بمقياس الأغراض التي أعلنها دعايتها  
والآمال التي عقدوها عليها لان هؤلاء الدعاة لم يخترعوها ولا يتأتى لهم أن  
يحصروها ويسيطروا عليها — وإنما تقاس مزاياها بالضرورات التي أدت اليها أولاً  
ثم بالفوائد التي نجمت عنها فعلاً ولا تزال تنجم : فهي بلا ريب قد أوجدت  
للعصبية الحزبية مخرجا غير الفتن الدموية ، وأقنعت الشعوب بأن عليها تبعه في  
الحكم وأنها قادرة على تبديل الحكام ، فضعفت فيها نزعة الثورة بقدر ثققتها من  
الاشترار في الحكومة والقدرة على تبديلها ، وهي في مدى خمسين سنة قد صاحبت  
في عالم الصناعة والعلم تقدما لم تبلغه الانسانية في خمسين الف سنة ، وكلما ازداد  
هذا التقدم صعب على الناس أن يؤمنوا بتلك الخرافة التي كانت تهيب لفرد واحد  
أن يملكهم له ولا بنائه عن بعده ملك السيد للعبيد .



يقول بعض الباحثين — ( ومنهم الاستاذ ساروليا الذي ألقى محاضراته في هذا الموضوع على طلبة الجامعة المصرية ) — إن الحكم النيابي تراث انجليزي غير قابل للتعميم في الأمم الأخرى . ويضرب « ساروليا » المثل بالأمة الفرنسية التي لا تستقر فيها الوزارات طويلا لاختلاف الأحزاب وصعوبة التوفيق بينها إلى زمن طويل ، ويعتبر ذلك الاختلاف من أعراض الحكم النيابي ومن الدلائل على أنه لا يصلح لكل أمة... ولو كان الحكم النيابي هو الذي خلق العصبية الحزبية في فرنسا لكان قول الاستاذ وأمثاله صحيحاً في هذا المعنى وكانت فيه حجة من بعض الوجوه على الحكومة النيابية ، ولكن الواقع أن العصبية الحزبية لم تفتأ تمزق فرنسا كل ممزق في عهود حكامها المطلقين ، ولم يخلُ جيل واحد في تاريخها من فتنة على وراثة العرش أو فتنة على المذاهب الدينية أو فتنة على القحط والافلاس أو نزاع بين التاج والنبلاء أو حروب تثار لاختفاء هذه المنازعات ، حتى توطدت فيها الديمقراطية فأنحصرت « العصبية » في مناوشات الأحزاب وسكنت الثورات وبطلت المجاعات ، ولم يمنعها اختلاف الأحزاب أن تماسك بعد الحرب العظمى وأن تستفيد من سمعة الديمقراطية أنصارا لا ينكر افادتهم لها منكر ، وأن توسع مستعمراتها وقد كانت تفقدها في عهد الملوك الشموس ، وأن تكون هي وزميلاتها المنتصرات عنوانا لانتصار الحرية الشعبية وآية على أن حكومات الشعوب تحتمل من الصدمات ما لم تحتمله حكومات القياصرة والطغاة . فانكسرت روسيا والنمسا وألمانيا وكان نصيبهن من التماسك بعد الحرب على قدر نصيبهن من الحرية والمشاركة في الشؤون العامة بين الشعب والحكومة ، وخرجت الأمم من تلك الحنة بعبرتها التي لاتضيع

وقد فعل تراث الحكم النيابي فعله في إنجلترا كما فعل فعله في الأمة الفرنسية ، فغوقها الثورات والخصومات الدامية وكانت وشيكة أن ترتطم فيها مرتين في



القرن التاسع عشر عند الخلاف على تقسيم الدوائر الانتخابية وتعديل شروط الانتخاب ، وهو في جوهره أشد من الخلاف الذي أفضى إلى الثورة الجائحة في عهد الاستبداد

ومن النظريات التي أذاعها بعض المؤرخين — وفي طليعتهم فلندرس بتري العالم المشهور في الأثرية المصرية — أن الحكومة الشعبية كانت هي الدور الأخير من أدوار الدول في التاريخ القديم ولا سيما تواريخ الدول المصرية : يبدأ الدور بفاتح عظيم ثم يضعف الفاتح العظيم فينارعه الحكم أفراد القادة الغالبون ، ثم يضعف هؤلاء القادة ويستسلم أبناؤهم للترف والصغائر فتثور عليهم العامة وتتولى الأمر الحكومة الشعبية ، ثم يسطو عليهم مغير جديد فيبدأ الدور الأول كرة أخرى... وهكذا دواميك عصر بعد عصر في سجلات الفرعنة ومن جاورهم من المشاركة والمغاربة .

فاذا صح هذا فهو مختلف مما نحن فيه اليوم . لأن الحكومة الشعبية كانت في التاريخ القديم فترة منفردة تقع في إحدى الدول ثم لا تكون الدول المحيطة بها مجارية لها في تلك الفترة ، بل ربما كانت في بداية الدور الأول — دور الفاتح العظيم — فتحدث الغارات من ثم وتتجدد الأدوار . أما اليوم فالحكومة الشعبية حركة عامة ومبدأ مشترك وليس بالفترة المنفردة ولا بالدور المقصور على بعض الحكومات !



### لم تفشل الديمقراطية

لم تفشل الديمقراطية ولا ظهر إلى الآن من آثارها وعلاماتها الا ما يدل على نجاحها وثباتها وانها ستكون أساساً للحكم في المستقبل تُبنى عليه قواعد الحكومات ويرجع اليه في اصلاح كل ما يحتاج منها إلى الاصلاح

أما تلك الأسباب المصطنعة التي ألمنا بها فأكثر من يتعلق بها ويعمل لترويجها هم أنصار الحكم المطلق والرجعة إلى الاستبداد القديم ، وهم أقل الناس حقاً في تجريح الديمقراطية بعد ما تبين من فشل حكمهم في بلاد كثيرة وأحوال مختلفة . فاذا بطل ايمان الناس بقداسة الديمقراطية — مجازاً أو حقاً — فمن المقرر المقطوع به أنهم لا يرجعون إلى الايمان بقداسة المستبدين وما يزيفونه من الدعاوى والجهالات ، واذا قيل ان الجماهير تنخدع للزعماء وتؤخذ بالمظاهر وتسمت إلى العقائد التي تُبث فيها بالايحاء والتكرار فهذه الأطوار لم تكن ملغاة في العصور الماضية ولا كان شأنها ضعيفاً في تصريف الأمم وقيادة الحكومات . وماذا كان يصنع المستبدون طوال العصور الماضية إلا أن يستعينوا على خداع الجماهير تارة بالخرافات والأوهام وتارة بالمظاهر والوجاهات والألقاب والأسماء وتارة أخرى بالعطايا والمواعيد إلى سائر ما هو معروف من أساليبهم في تمويه الأعمال وإخفاء الحقائق والتحميل على الغرائز والشهوات . ولو أحصيت الحروب التي أريقَت فيها دماء الألوف من المحاربين والمسلمين خداعاً للشعوب وتمليقهاها ، أو لو



أحصيت الأرواح البريئة التي أزهرها أعداء الحرية والمعرفة ، أولو أخصيت الثورات والقلقل التي شجرت بين الحكام والرعايا من أجل المظاهر والأسماء والمنازعات الصبائية والدعاوى الفارغة ، أولو أخصيت الدسائس والجرائم التي انغمس فيها طلاب الحظوة وأعوان الطغيان لكان في بعض ذلك شاهد على حقيقة من تنفعهم غفلة الجماهير ومن يضرهم انتباهها ، وأن تلك الغفلة لم تدم كما دامت في عهود المستبدين ، ولم تقد أحدا كما أفادتهم ، ولم يحذروا شيئاً قط كما حذروا يقظتها ولا رغبوا في شيء قط كما رغبوا في بقائها واستطالتها . . . وإنما الفرق بين الاستبداد والديمقراطية أن المجال يتسع في هذه لأقوال شتى تنكشف الحقيقة من بينها ، ولكنه لا يتسع في عهد الاستبداد لكل قائل ولا يصعب فيه التواطؤ على الغش والسكران

ومن الأسباب المصطنعة أن نقد الديمقراطية يرضى غرور تلك الفئة التي تحب أن تتعالى عن « الشعبيات » لما في ذلك من الامتياز والادعاء ، ويرسل على الديمقراطية السنة الثائرة والفضوليين ومن لا ينظرون إلى عواقب الكلام ومنها أنه المستبدين الطامعين في رجعة الحكم القديم يسعون سعيهم سرّاً وجهرّاً لتشويه كل نظام غير نظامهم وتأليب الناقلين على الحكم الحديث ، ولا بد في كل حكم من راضين وناقلين

ومنها أننا في زمن تتوالى فيه المخترعات ويسألون فيه أبدأ عن أحدث الآراء وأغرب الأخبار . فإذا مضت خمسون سنة على الناس وهم يمدحون الديمقراطية فالذي يفاجئهم بعد ذلك بنقدها لا يعد له سامعين بين طلاب الزى الطريف في كل مجال

فأنت ترى أن نقد الديمقراطية يصادف من العناية أضعاف ما تستوجبه الأسباب الحقيقية التي لا دخل فيها للوهم والغرض والفضول . وأما الأسباب



الصناعية فما هي وما مبلغ ما تجيزه؟ هي أشياء لا تجيز لأحد أن يحكم بفشل الديمقراطية ولا بأنها في طريق الفشل القريب .

على أننا اذا قدرنا أن السنة القديمة تتكرر اليوم كما تكررت في دولات الفراعنة وجيرانهم فكل ما يستخرج من هذه النظرية أن الحكم قد تعذر على الطغاة والقادة لعجزهم واضمحلالهم فصار الامر الى الشعوب تحكم نفسها الى حين . ويبقى علينا أن نسأل انفسنا متعجبين : هل يعقل اليوم أن هذه الحرية الشعبية التي وصلنا اليها ان هي إلا فترة موقوتة جاء بها وباء عام أصاب الطغاة والنبلاء في مقدراتهم على الحكم دون الكافة والأوساط؟ وهل نعود بعدزوال هذا الوباء الى عهد يكون فيه لنا طغاة مقدسون وملوك مستبدون عصيانهم حرمان من ملكوت الله؟.. لقد كانت الديمقراطية بالأمس حكومة الشعب وكان الشعب هو العامة . أما ديمقراطيتنا فليس نصيب العامة فيها الاجزاء من سلطان الأمة ، وهي كل شئ شامل يدخل فيه السوقة والسراة والامراء

\*\*\*

انتهى الفصلان من رسالة الحكم المطلق في القرن العشرين

ويوم كتب هذان الفصلان كان هتلر يوالى دعوته ويوحى بكتابه الذي لم يكن يقرأه أحد ، وكان بينه وبين ولاية الحكم أربع سنوات ، وبين اضرام الحرب الحاضرة إحدى عشرة سنة . فاذا كان قد أقنع الناس بشيء في هذه الفترة فقد أقنعهم بخطر الاستبداد على العالم ، وأراهم أن المستبد حيث كان إنما يسخر الحضارة في خدمة الهمجية ، وإنما ينكص بالخاضعين له من قومه ومن الأتقوام الأخرى أحقابا الى الوراء



## الفوارق بين الديمقراطية والنازية

### في التقدم

إن النازيين ينكرون التقدم ويدعون أن المضاهاة بين ماضي الانسان وحاضره في عناصر الأخلاق تدل على الدوران في حيز واحد ، ولاتدل على التقدم خطوة بعد خطوة ، أو الارتقاء درجة فوق درجة

وهذا بحث يطول ولا يفضى بنا الى طائل فيما نحن بصدده . فحسبنا أن التهذيب جائز مشاهد في طبائع الحيوان ، وأن تقدم الانسان في علومه وصناعاته وآرائه محسوس لا يخفى الفرق الشاسع بين حاضره وماضيه

ولنضرب مثلا واحدا على امكان التهذيب في طبائع الحيوان يغنيننا عن أمثلة كثيرة ، وهو مثل الكلب الذي كان في توحشه أخوف ما يُخاف على الأطفال والطيور وصغار الغنم ، فأصبح الآن حاميا أميناً لها يدفع عنها المخاوف ويرعاها وهو جائع محروم

أما التقدم في علوم الانسان وصناعاته وآرائه وأحواله الملائسة للعلوم والصناعات فهو أظهر من أن يحتاج الى تمثيل

\* \* \*

ومقاييس التقدم كثيرة يقع فيها الاختلاف والاختلال : فاذا قسنا التقدم بالسعادة فقد تتاح السعادة للحقير ويحرمها العظيم ، واذا قسناه بالغنى فقد يغنى



الجاهل ويفتقر العالم ، واذا قسناه بالعلم فقد تعلم الأمم المضمحلة الشائخة وتجهل  
الأمم الوثيقة الفتيه

الإمقياسا واحدا لا يقع فيه الاختلاف والاختلال ، وهو مقياس «المسؤولية»  
واحتمال التبعة

فانك لا تضاهي بين رجلين أو أمتين إلا وجدت أن الأفضل منهما هو  
صاحب النصيب الأوفى من المسؤولية ، وصاحب القدرة الراجحة على النهوض  
بتبعاته والاضطلاع بحقوقه وواجباته

ولا اختلاف في هذا المقياس كلما قست به الفارق بين الطفل القاصر والرجل  
الرشيد ، أو بين الهمجي والمدني ، أو بين المجنون والعاقل ، أو بين الجاهل والعالم ،  
أو بين العبد والسيد ، أو بين العاجز والقادر ، أو بين كل مفضول وكل فاضل  
على اختلاف أوجه التفضيل

فاحتمال التبعات هو مناط التقدم المستطاع

والنازية تهدم هذا الخلق من أساسه ، لأنها تقضي على الحرية والتصرف  
والاختيار ، وليس من المعقول أن تحاسب إنسانا على التبعات وهو مسلوب الحرية  
مأمور ، فيما يأخذ وفيما يدع ، من مطالب عيشه وواجباته نحو قومه

وقد ركزت القرائح في ألمانيا منذ توليها النازيون . فلم يظهر فيها نابغة في  
العلم والفن والحكمة ، ولم يؤثر عنها ابتكار مفيد في الثقافة العالية ، وهذا وهى  
الأمّة التي امتلأ تاريخها بأعلام الأدب والبحث والاختراع

ولقد شكّا هذا الركود وزرأؤهم وقادتهم وكرروا الشكوى مرات . . .  
فكتب الدكتور سيروب Syrup رئيس مصلحة العمل في شهر مارس من  
سنة ١٩٣٨ يقول : « إن الجيل الجديد من رجال العلم ناقص في جامعاتنا .  
ولا شك أن بناء الدولة والثروة معا يستلزم وشيكاً أن ينشأ المهندسون والكيميون  
وعلماء طبقات الأرض والطبيعيون والأطباء »



وربما خطر لبعضهم أن النازيين لا يكثرثون لذلك النقص ما استطاعوا  
إخراج الضباط والجنود وتزويدهم بالسلاح

ولكن الواقع غير ذلك . فان التعليم الفنى لازم اليوم للضباط والجنود لزومه  
المهندسين والصناع . وقد كتب الماجور التوماس فى صحيفة فرانكفورتر زيتنغ  
يقول : « ان الاستاذ زيميك Zemeck مدير المتحف الجرمانى فى ميونيخ قد  
أشار فى آخر اجتماع لمكتب الريخ الاقتصادى إشارة خاصة الى هبوط طبقة  
التعليم العالى بين الناشئة الالمانية ، ولا مناص لى من موافقته فى رأيه . اذ الخطر  
عظيم فيما أرى على قوة دفاعنا اذا انحصر نطاق التربية الذهنية وضاق أفق  
التفكير ، من جراء فرط الاهتمام بالتربية البدنية .

ومتى بلغ بالأمر أن يلحظه قادة الفرق والآلوية فى جنودهم المدعويين للخدمة  
فما لاجدال فيه أنه يدل على ضعف مائل فى نظام تعليمنا الآن »  
وقد تخرج من المدارس العليا فى سنة ١٩٣٧ ثمانية عشر ألف طالب فالتحق  
منهم عشرة آلاف بخدمة الجيش وانقطعوا عن حياة الدرس والاستبحار فى العلوم<sup>(١)</sup>  
ولم يظهر أن الآخرين وجدوا متسعاً لهم فى هذه الحياة

\*\*\*

وسواء شكا القادة النازيون أو لم يشكوا ذلك النقص المطرد فهو نقص  
لايستغرب من جيل مفتون بالموكب والصفوف ، مشغول بالثكنة والطريق عن  
المكتبة والمعمل ، مشغوف بما يرضى الحواس الحيوانية دون ما يرضى الفكر والروح  
ومتى نظرنا الى المبادئ التى يقوم عليها بنيان النازية لم نجد بينها مبدأ واحداً  
يستدعى التقدم وراء آداب الحيوان

(١) هتلر و المانيا مؤلفه هنريخ هاوزر Hitler Versus Germany



فالطاعة العمياء هي طاعة السرب والتطيع ، وحركة الصفوف هي حركة الطيور والنمل ، والزعامة « الغريزية » أعرق في الحيوانية من زعامة الارتياء والاختيار ، بل حتى التضحية العمياء لها مرجع الى غريزة الحيوان ، وليست هي من فضائل البصيرة والضمير

وما من عبث ولا مصادفة كان تقدم العلوم والصناعات في العصر الحديث أعظم وأوسع من تقدمها في جميع العصور فمنذ نشأت الديمقراطية نشأت حرية البحث وحرية الكشف وحرية الابتداع . ولا عجب أن يخترع الناس في مائة وخمسين سنة أضعاف ما اخترعوه في مائة وخمسين ألف سنة ، لأن الاختراع وليد التصرف والاختيار ، وهما نبات يزكو في عهد الحرية ولا يزكو في عهد القسر والتسخير

\* \* \*

### الاضواء :

والأخلاق « أولاً » لا تفهم بمعزل عن المشيئة والاختيار ، فاننا لا نعرف آلة ذات خلق . وإنما تبدأ الأخلاق حين يبدأ الإدراك والتكليف وأنت تستطيع أن تقيم على ابنك حارساً يلزمه فلا ينسى واجبا ولا يهمل برذيلة ، وإيكنك لا تربيه بهذه الحراسة ، ولا تجعل له روحاً ولا تميزاً كتمييز العقلاء بين ما ينتهي عنه وما ينتحيه وكذلك تربي الأمة هذه التربية فلا تنتفع بما ربيت فيها من عادة التسليم والاستسلام ، بل تقتل فيها فضيلة الاستقلال وتهيؤها للذل والخنوع ، وربما كان ذلها وهي تشكو السيد وتثلبه أشرف لها وأجدى عليها من الذل لسيد تهتف له وتحميه



وكثيرا ما نسمع التشهير والتجريس بالفضائح أو الرشاوى التي تنكشف في الأمم الديمقراطية ويتخذها المستبدون دليلا على فساد أصيل في النظام الديمقراطي والحكام الديمقراطيين

ويحق لابواق الاستبداد أن تطنب في ذلك التشهير وذلك التجريس لو كانت الرشاوى والسرقات تمتنع في دولة المستبدين ولا تحدث إلا في دولة الديمقراطيين . بيد أن الواقع الذي لا جدال فيه ان سرقات الطغاة المستبدين في جيل واحد تربي على سرقات الديمقراطيين في جميع الأجيال

وإنما يجسر الناس على اتهام السارق في عهد الحرية ولا يجسرون على اتهامه في عهد الطغاة ، أو يجسر منهم من لا يبالي بالمصير فيلقى جزاءه من حيث ينجو السارق بما سرق ، وذلك أحرى أن يحسب للديمقراطية من المزايا ولا يحسب عليها من العيوب

وما يزعم أحد أن « النظام الديمقراطي » يقتلع الرذائل من الطبائع البشرية ويتركها وليس فيها إلا الفضائل والحسنات

فماذا ما ليس يزعمه زاعم في نظام من أنظمة الحكم كيفما كان ، وغاية ما هنالك أن الديمقراطية تكشف رذائل الحكم ولا تحميها كما تحميها سطوة المستبدين ، وهذا وحده غنيمة جديرة بالذنب عنها والحرص عليها

على أن الأموال التي أنفقها هتلر في تشييد قصوره السحرية وتنظيم حراسته الشخصية ، والأموال التي فرضها على كل قارئ الماني ثمناً لكتابه تارة وثمنا لصحفه تارة أخرى ، لتبلغن أضعاف ما اختلس حاكم ديمقراطي أو عدة حكام ديمقراطيين في عمر طويل ، وهو مع ذلك معدود في عرفهم من أمثلة النزاهة والعفاف !

ولا يخفى أن الحرية ليست بأرخص من المال ، وأن جميع الحكام المستبدين



يسلبون الحرية ، وليس جميع الحكام الديمقراطيين يسلبون الأموال  
كذلك لا يخفى أن القتل جريمة أقبح من السرقة وأوبل منها ، وهو شيء  
يقترفه الحاكم المستبد حيث شاء

قتل في المانيا ألوف من الناس ولم تحفل الحكومة باثبات الذنب على واحد  
منهم ولو بعد نفاذ العقاب ، مع سهولة الاثبات لمن يقبض على أعنة الدواوين بغير  
رقيب

وإنما رخصت الأرواح وشاعت الغفلة فأمكن هذا حيث يحسبون اختلاس  
الأموال من المستحيلات

ومنذ خمس سنوات قتل المستشار النمسوى دلفوس فكتب النازيون يومئذ  
يقولون إنه شهيد الماركسيين ، وقال فون پاپن سفيرهم في فينيا « إن حكومة الريخ  
تنعى الجريمة وتأسف لوقوعها »

وما هو إلا أن سقطت النمسا في أيدي النازيين حتى احتفلوا بتكريم ذكرى  
القتلة وقام رودلف هس ينادى علانية « بأننا نذكرهم في اليوم الذى سيق فيه  
هؤلاء الثلاثة عشرة من نخبة الزملاء إلى الموت المهين على المشانق الزرية ، وأن  
أطيافهم تمشى في مقدمة الصفوف حيث مشت في الدنيا جموع النازيين »

فهذا العدوان الوضع على حياة رجل لا ذنب له عندهم إلا الأمانة لاستقلال  
بلاده ، وهذا الرياء القبيح في انكار الجريمة ثم الاشادة بفاعليها ، وهذه الرذائل  
التي تتكرر في حبس شوشنيج والتنكيل بأمثاله من رؤساء الأمم المغلوبة — من  
الذى قال انها دون السرقة في شناعتها ووصمة عارها ؟ ومنذ متى كان المستبدين  
حق الصولة على الضمير الانسانى فلا يأنف إلا مما يريدونه على الأنفة منه ، ولا  
يثنى على الخلق الجميل إلا إذا مروه بالثناء ؟

إن فساد الأخلاق في حكومات الاستبداد لما يمكن اثباته بالأرقام . ففي



المانيا النازية مئات الألوف من الجواسيس والرقباء ، وكل جاسوس من هؤلاء فهو رمز للرياء والجبن والخوف واهدار الحقوق ، وإلى جانب هذا الجيش من الجواسيس والرقباء جيش مثله من الدعاة والمقرظين عملهم في الحياة أن يكذبوا على أبناء وطنهم ويخدعوهم بالباطل والنفاق . وكل هذا — كل هذا لا يساوى فضائح ستافسكي وأمثالها من عيوب الحكومات الديمقراطية؟ ... شامت العقول أن كان هذا حكمها على الأخلاق ، فكيف وفضائح ستافسكي شائعة مع ردائل التجسس والدعوة الكاذبة لا يحجبها إلا الجبن والتهديد؟

وأشع من هذا أنهم يمسخون الأذواق ففسولون لها أن تستمرى هذه الرذائل كأنها حسنات وطيبات . فمن الأمثلة التي ينصبونها للاعجاب مثل الابن الذي يشى بابيه وأولياء أمره ويتجسس عليهم لرؤسائه النازيين ... فيشوبون هذا المعين الطاهر — معين الحنان والاخلاص — بشائبة مسممة لا تبقى في النفس الانسانية على موضع للأمان

\* \* \*

ثم تسرى ظلمات هذه الأخلاق المنكوسة إلى دخائل العقول فتغشى عليها بظلمات فوق ظلمات . لأن العقل الذي يتعود أن يرى للمسألة وجها واحدا لوجه غيره يتعطل فيه التفكير ولا يفهم حجة الآخرين ، ثم يتعود أن يتلقى الأفكار كما تصاغ له لا كما يصوغها هو بعد تقليدها على جميع الفروض والاحتمالات ، ولا يقتصر هذا العيب الفساح على المحكومين بل يسبقهم إلى الحاكمين الذين لا يسمعون اعتراضا ولا يصبرون على اعتراض . ومن جرائم ذلك ولا شك أنهم يتعننون فلا يديرون أسماعهم إلى حجج خصومهم ولا يعرفون من حل المشكلات إلا أن يقوموا المعارضين في أوطانهم ويشهروا السلاح على سائر الأوطان



حل المشكلات

وعلى ذكر المشكلات وحلها نقول ان الآخذين بالظواهر يتوهمون أن النظم « الدكتاتورية » أصلح النظم الحكومية لعلاج المشكلات العويصة وحل العقد المؤرّبة في زمن وجيز

وهذا صحيح إذا نحن أخذنا بالظواهر ولم نتعقب الحلول والعلاجات إلى جرائرها المحتومة ونهاياتها التي لا محيد عنها

أما إذا نحن تجاوزنا الظواهر إلى ما رءاها فالنظم الدكتاتورية في الواقع تدارى المشكلات ولا تمحوها ، أو هي في أكثر الأوقات تحل مشكلة واحدة وتخلق إلى جانبها مشكلات عديدة . كما فعلت في مشكلة البطالة

قيل لكاتب انجليزى : لابطالة في ألمانيا !

قال نعم . ولا في سجن دارتمور ! . .

ومعنى ذلك أن علاج البطالة على الطريقة الألمانية النازية مستطاع في كل مكان يرضى سكانه أن يعيشوا في بلادهم عيشة السجناء في دارتمور

وجلية الأمر أن النازيين عالجوا البطالة « بتشغيل » العاطلين جنودا في الجيش ، ورقباء في ديوان الجاسوسية ، وعمالا في مصانع السلاح والذخيرة ، ونزلاء في معسكرات الاعتقال ، وأجراء بانصاف أجور وارباع أجور

وكل علاج من هذه العلاجات يؤدي إلى كارثة مطبقة تهون إلى جانبها كارثة البطالة

لأن استنفاد ثروة الأمة في المدافع والدبابات وما إليها يضيّع المال بغير عوض ويؤدي إلى رخص العملة وضعف القدرة على الشراء . فما يشتري في هذه الحالة بعشرة قروش لا يساوى ما يشتري في الأحوال الطبيعية بقرشين



ولأن انفاق الملايين على السلاح يلجىء الحكومة إلى أرهاق الرعية من أصحاب الأموال والموظفين والعمال بالضرائب الثقيلة والخصوم المتعددة بأسماء شتى . فيحسب الأجر على صاحبه خمسة قروش مثلاً وهو لا يقبض منه أكثر من ثلث ما حسبوه

ولأن « تشغيل » المصانع بالسلاح والذخيرة لا بد أن يقف أو يدوم . فإن وقف فهناك ضدمة الركود المفاجيء وكارثة البطالة من جديد ، وان دام فهناك دوام الكساد ورخص العملة وضرورة البحث عن مصرف للسلاح في القتال والتخريب

وليس في وسع حكومة أن تخلق جو الحرب بتجيش الجيوش وتكديس السلاح وتهيمج الخواطر وتجويع الناس دون أن تصطدم بالحرب طائفة أو كارهة ، ومحتاجة إليها أو زاهدة فيها ، فهي أسيرة مسخرة وليست بحرة قادرة على التدبير والتقدير ، وهي كالذابة المسحوبة من لجامها إلى حيث تشاء أو لاتشاء ، وليست كالرجل الذي يضع قدميه حيث تبصر عيناه

\* \* \*

ومثل آخر مشكلة التجارة

فالنازيون يحلون هذه المشكلة بالترقيع والتلفيق والخداع والاحتيال ، فلا يلبثون قليلاً حتى يجدوا أنفسهم بين ضرورات القوة العمياء يعرضون على الأمم أسعاراً أكبر من الأسعار التي تباع بها محصولاتها الزراعية ثم يعرضون عليها مصنوعات حريرية بأرخص من أثمانها في البلاد الأخرى ، مقايضةً ومبادلة . لأنهم لا يشترون بالنقد الحاضر ثم يبيعون محصولات الزراعة بأقل من الأسعار التي اشتروها بها ، ويماطلون في تسليم المصنوعات بدلاً منها ، ليرفعوا أثمانها



ولما كانت الأمم التي تعاملهم مضطرة إلى استيفاء ديونها فهي تعود فتقبل كل  
ثمن ، كما يقبل الدائن كل ما يستطيع الوصول اليه من أمتعة المدين المعامل  
وتمضى فترة وجيزة فتعلم الأمم التي تعاملهم أنها خسرت عملاءها ، لأن  
عملاءها يشترون محصولاتها من النازيين بأرخص من الأثمان التي تباع بها في  
أسواقها الوطنية .

وهنا يرى النازيون أنهم مستهدفون لقطع المعاملات ، عاجزون عن إطالتها  
والاستمرار عليها بغير التهديد والارهاب ، والقتال كرة أخرى  
هذه أمثلة من « العلاجات » النازية

وهي أشبه بعلاج الشعوذة والطلاسم منها بعلاج الطب والجراحة العلمية  
والمشعوذ قد يخدع مريضه فترة من الزمن ويقنعه أنه خير له من الطبيب  
وخير من الجراح !

والطبيب أو الجراح قد يفشلان في بعض الأمراض ويبدو للمريض أنه أخطأ  
في الركون اليهما وقلة الركون الى السحرة والمشعوذين  
ولكن الطب طب والشعوذة شعوذة على كل حال  
ومتى عرف الطب علاجه فذلك هو العلاج الصحيح الذي يقاس عليه  
ويطمأن اليه

أما إذا بقي العلاج الطبي مجهولاً فليس ذلك بحجة على صلاح الشعوذة  
والتدجيل ، ولو نجحنا الى حين

وهكذا مشكلة البطالة مثلاً في البلاد الديمقراطية ، فان هذه البلاد لم تحسم  
دائها حتى الساعة ، ولا تزال تعالجها بالاعانات تارة وإنشاء أعمال الاصلاح  
والتعمير تارة أخرى ، الى ما شابه ذلك من المسكنات والملطفات . ولكنها  
مسكنات الطب وليست بمسكنات الشعوذة ، ثم هي حيرة سليمة المغبة ، وليست  
بدواء كاذب يخلق الى جانبه عدة أو دواء



ومن الواضح أن مشكلة كمشكلة البطالة التي ترجع الى أسبابها العالمية لن يتأتى أن تحلها أمة واحدة في داخل حدودها ، ولن تعالج يوماً بمعزل عن علاج الكساد العالمي واختلال المبادلات التجارية  
فاذا شعرت الأمم بهذه الضرورة ودفعها الشعور بها الى ابتغاء الوسيلة الناجعة بالتعاون فيما بينها فذلك خيرٌ للعالم وخيرٌ لكل أمة على حدة من الجرعة القاتلة التي تودى بالعليل والصحيح  
ومتى رأى الطبيب من واجبه أن يترك بنية المريض تعمل عملها وتدبر مقاومتها فعليه أن يظل طبيباً يفعل ما يوحىه اليه طبه ، وليس عليه أن يلبس للناس لبوس المشعوذ الدجال

\* \* \*

### النظام

والنظام هو « نخر » النازيين لأنهم يعيرون على الديمقراطية اختلاف الآراء وصعوبة الاتفاق على قرار ، وبطء الانجاز بعد الاتفاق عليه  
والقول الصواب هنا أن تقارن بين أحسن الديكتاتوريات وأحسن الديمقراطيات ، كما تقارن بين أسوأ الحكومات من الجانبين . فلا نفرض النظام الدكتاتورى كما يكون فى « مثله الأعلى » ونفرض النظام الديمقراطى كما يكون فى أقبح الأشكال والأوضاع  
ومما لا شك فيه بعد هذه المقارنة أن أفضل حكومة ديمقراطية خير من أفضل حكومة دكتاتورية . وأن الدكتاتور الرديء شر من الديمقراطية الرديئة على أسوأ ما تكون  
والنظام بغير « انتظام » نقيضة لا يقبلها العقل المستقيم . فما هى وسيلة انتظام



الديكتاتورية حاكماً معصوماً بعد حاكم معصوم ، وخلفاً صالحاً بعد سلف صالح ؟

لا وسيلة على الاطلاق

ولكن الديمقراطية الصالحة تعقبها ديمقراطية صالحة ان لم تكن أصلح منها ،

لأن مرجع صلاحها الى الشعب قبل حاكميه

أما اذا كان الفساد من الشعب نفسه فهو فاسد مع الشورى وفساد مع

الاستبداد ، وقد يكون المستبد غيباً سفاحاً كما يكون الحكام الديمقراطيون عجزاً

أو مختلسين

وما الحيلة في فساد المستبد الجائر ، وكيف السبيل الى تبديل حكمه ؟ . . .

لا سبيل غير الثورة والفوضى

أما الديمقراطية فباب التبديل فيها مفتوح بغير ثورات وبغير سفك دماء

على أن الحاكم المستبد إنما يصلح من جانب ويفسد من جوانب شتى ،

فيعطى الأمة نظاماً ان أعطاها ، ويسلب منها حرية الرأي وكرامة الاستقلال

والارادة حينما ظهر وكيفما كان

والديمقراطية بعد لا تعني بالمواقف العصبية التي لا بد فيها من اطلاق أيدي

الحاكمين . لأنها تطلق أيدي الحاكمين في هذه المواقف بنظام مقرر معروف ،

ليس كله استبداداً لأن أساسه تفويض الأمة . وليس كله حرية لأن الحرية فيه

محدودة حيث تقام لها الحدود . وربما تعلمت من سرعة العمل في أيام الحروب

دروساً تنفعها أيام السلام . فتأتى السرعة من طريق التعليم والتعود لا من طريق

الأرغام والالزام

ففي الديمقراطية «احتياط» لأحوال الاستبداد ، وليس في الاستبداد احتياط

لأحوال الديمقراطية ، اذ هو استثناء دائم ، ولن لايجرى إلا على حكم الاستثناء

وربما كان للاستبداد - إذا صلح - بعض حسنات المستثنى الذي يضمن



النازلون به نظافة الطعام وجودة الهواء وانتظام المواعيد بأعين الأطباء . فاذا استشرى فساده فهو حبس كحبس الحجاج لاجرية فيه ولا ظل ولا طعام أما الديمقراطية فهي بيتك الذي تعيش فيه وفق مرادك ، إذا صلح فهو خير من المستشفى ، وإذا فسد فهو خير من حبس الحجاج . . . والناس مخلوقون للعيش في البيوت لا في المستشفيات والسجون .

\* \* \*

### الصحة

ونحن نذكر المستشفى على سبيل المجاز والتشيل ولا نغني أن الصحة تتوافر  
لرعايا الحكومات المستبدة كما تتوافر في المستشفيات  
فمن غير المعقول أن حكومات تجور على أقوات رعاياها وتعتمد على نظام  
الجرايات في أوقات السلم لتنفق على السلاح والذخيرة تستطيع أن تكفل التغذية  
النافعة لأولئك الرعايا المحرومين . وكل حكومة تتخذ شعارها «العدة ولا الزبدة»  
كما تفعل الحكومة النازية فليس في وسعها أن توفق بين نقص الأرزاق وتصحيح  
الأجسام

وقد تعجب الناظر مواكب الألعاب الرياضية ومعارض الجيوش فيخالها  
عنوان الصحة الحسنة والأرزاق المكفولة لسواد الأمة ، ولكنه لا ينظر إلى ما  
وراء ذلك نظرة قريبة حتى يتبين مكانم الداء ويعرف الثمن القاصم الذي اشترت  
به هذه المشاهد الجوفاء : موكب زمر وطبل واحد وراءه ألف أسرة تحرم الغذاء  
والكساء ؛ ولولا هذا التمويه الفاضل لوجدت منهما الكفاية وفوق الكفاية  
ويقترن نقص الأرزاق بنقص الرعاية الطبية ، لانصراف الأطباء إلى ملازمة  
الفرق العسكرية ، أو لانصراف الشبان عن دراسة الطب والاستبحار في العلوم



فتقل الرعاية الطبية وهي أخرى ما تكون بالمزيد ، لازدياد حاجة الناس اليها من جراء سوء التغذية وضعف الوقاية

وفي كتاب الدكتور مارتن جيمرت الألماني المسمى « يحيي الجوع <sup>(١)</sup> » بيانات واحصاءات مستمدة من مصادر النازي الرسمية تدل على مبلغ انتشار الأمراض والعلل بين الناشئة الألمانية من أثر المبدأ القائل « العدة ولا الزبدة »

أودعوا السمن واصنعوا المدفع Guns before Butter

فاصابات الحمى القرمزية في سنة ١٩٣٣ كانت ٧٩٨٣٠ فأصبحت ١١٧٥٤٤

بعد أربع سنوات

وإصابات الدفتيريا في سنة ١٩٣٣ كانت ٧٧٣٤٠ فأصبحت ١٤٦٧٣٣

بعد أربع سنوات .

وفي دورتمند خمسة وخمسون في المائة من الأطفال مصابون ببلين العظام ، ولا يزيد عدد الأطفال المعافين من أعراضه في ميونيخ على خمسة وثلاثين في الألف ؟

وجاء في التقرير الطبي عن الجامعات سنة ١٩٣٩ « ان مقابلة الأحوال في السنوات الأربع الماضية تدل على هبوط في مستوى الصحة بين الشبان . فان زيادة المصابين بمرض القلب في السنة الماضية مزعجة غاية الازعاج . . . . . وعدد الطلاب الذين لا يصلحون للانتظام في سلك الفرق الرياضية قد تضاعف في السنتين الماضيتين ، وكان عدد الطلاب الذين لا يقدرّون على المشقات البدنية في سنة ١٩٣٥ أقل من عشرين في المائة ، فأوشك أن يبلغ الحسين في المائة الآن » .

وانتشار الأمراض بين العمال أكثر وأعضل . وقد حرّمت الأمم تشغيل الأطفال في بعض المعامل إلا المانيا النازية ، فانها — لحاجتها إلى الصناع بالأجر

(1 Heil Hunger by Dr Martin Gumpert



القليل — قد أوجبت على الأطفال أن يعملوا من العاشرة ، وارتفعت نسبة الناشئين الذين يعملون في وادي الرور بين الرابعة عشرة والعشرين من ٨٥٥ في كل عشرة آلاف (سنة ١٩٣٢) إلى ١٧٧٨ بعد ذلك بخمس سنوات .

ويشيع النازيون أنهم يروضون الناشئين على فرح القوة والفرح بالحياة . ولكن المقارنة بين حوادث الانتحار في المانيا وحوادث الانتحار في البلدان الأوربية الأخرى لا تنبئ عن فرح بالحياة بل فرح بالموت . فان عدد المنتحرين في المانيا وحدها يكاد يساوى عددهم في أرجاء القارة الأوربية بأجمعها .

وكذلك زاد عدد الموتى ثمانين ألفا كل سنة في ألمانيا الجديدة ، وكان معظم الزيادة في الأعمار ما بين الأولى والخامسة عشرة ، وما بين العشرين والخامسة والأربعين ، أى في سن الطفولة وسن الشباب : سن الفرح بالحياة

وهذه نتيجة بدهية لا غرابة فيها مع نقص التغذية وإرهاق الأجسام بالعمل وكبت النفوس واستفزاز الأعصاب

\*\*\*

### التربية

وتربية العقول أضرت في ظل النازيين من تربية الأجسام لأنهم يتعمدون تعويج الرؤس ويجردونها من ملكة التفكير المستقيم فلا ترى الدنيا على حقيقتها بل تراها كما تحب الحكومه أن يروها ويشابروا على رؤيتها : يصبغون التاريخ والجغرافيا للطفل بالصبغة التي تساعدهم على ترويضه واقتياده ، ويفرسون فيه الأحقاد التي يضرمونها بالغضب والشر كلما أحبوا أن يضرموها ، ويخلقون له وجودا عجيبا لا مجد فيه ولا حق ولا فضيلة لغير الآريين المزعومين ، ويفقدونه الملكة الصحيحة التي يختبر بها حقائق الأمم والرجال ، فلا يرى الأشياء



ولا يتصور المعاني الا بعد تحريفها وتشويهها كما ترى الأشباح في المرايا المعقوفة ،  
واطرادها أمامه على نسق واحد لا ينفى أنه زائغ مضلل وأن تفكيره وشيك أن  
يخونه متى لمح شعاعا واحدا من الضوء في عالم الرؤية القويمية والنظر السليم  
ويستولون على الطفل من السادسة فيقلدونه خنجراً صغيراً ويطبعونه على  
الشر والنقمة يسمونها المجد والنخوة الآرية ، ويخيل اليهم أنهم بهذا وأشباهه  
يقرعون الدنيا بجيل مشاكس متمر لا حيلة لها فيه إلا أن تستكين له أو تقضى  
على كل قوة في يديه . وذلك في وهمهم مستحيل لشيخوخة الدنيا واضمحلالها ،  
وآية الشيخوخة والاضمحلال عندهم ان الدنيا لا تألف الضراوة بالشر ولا تتغنى  
بالقتل والقتال

فتلاميذهم على غرار تلاميذ الحسن بن الصباح الذي كان يخيل إلى أتباعه  
انهم في نعيم مقيم ماداموا في طاعته ورضاه ، وانما يقود تلاميذه بتخدير الحشيش  
وهم يقودونهم بما يشبه الحشيش من الأوهام والأضاليل  
وهؤلاء التلاميذ هم الذين يترنمون بصيحتهم على الحرية : « أيتها الحرية !  
انني أبصق على وجهك ! » . . . وكلمة أبصق هي اللفظ تعبير لما يقولون في ذلك  
النشيد

\*\*\*

### البيئة

ولعل الفاصل المبين بين الديمقراطية والنازية هو فاصل البيئة التي تعيش  
فيها كل منهما  
فليس أدل على سلامة الديمقراطية من أن قيامها في الأمة دليل على مزايا  
كثيرة في تلك الأمة ، أو دليل على أن الأمة في معيشة طيبة ومعاملة حسنة ،



وانها ذات أخلاق لا ضرر من اطلاق الحرية لأصحابها ، وأطوار لا تعدو  
طوقها ولا تستعصى عليها .

وليس أدل على وخامة الدكتاتورية من أن قيامها في الأمة دليل على شذوذ  
في معيشتها أو على خوف من بعض الاخطار المحدقة بكيانها ، كما يعترف  
الحاكمون بأمرهم كما أعوزهم أن يسوغوا قيامهم في شعب من الشعوب  
فالبينة الديمقراطية كالأرض الآمنة القريرة ، والبينة الدكتاتورية كالحجر  
الصحي أو كالحقير الذي لا يعاش فيه بغير رقابة وتضييق

ولم يعرف التاريخ قط أن ديمقراطية حاربت ديمقراطية على مبادئها ، وانما  
تتحارب مثلا حكومة اسبرطة العسكرية وحكومة ائيدنا الدستورية ، أو تحارب  
ولايات الشمال في أمريكا وولايات الجنوب ، لأن الشمال يطالب الحرية للسود  
ووالجنوب يطلب لهم التسخير والاستعباد

أو يتحارب نابليون بونابرت وبريطانيا العظمى ، أو بسمارك ونابليون  
الثالث ، أو اليابان وروسيا القيصرية

وحتم على النازية وما شا كلها أن تكون بيئة حرب تنفر من السلم كما تنفر  
البنية من السم الذي يتلفها ويقضى عليها . فان « الزعيم » لا ينجح الناس عن  
عقولهم وحرىاتهم إلا بما يزلفه لهم من بواعث الهياج وسورة الشعور وشهوة  
البغضاء وتعاقب الحوادث بالضجة والصليل . فان لم يتعهدهم بهذه المشيرات فتر  
عندهم وباخ وأذن نجمه بالأفول

وهو مع هذا يتعاضدهم بروعة التقديس والتأليه ومظهر القدرة التي تأمر  
فتطاع ، وتريد فلا يحال بينها وبين ما تريد . فان وقف بين جيرانه ونظرائه  
موقف المساوم الذي يأخذ ويعطى ويتقدم ويتراجع صغر في أعينهم وضاع بينهم



وأوشكوا أن ينقلبوا عليه وينتقموا لذلتهم الماضية مما أسبغوا عليه من الهول  
والتهويل . فهو يشل يديه عن عمل الساسة كل يوم يلبس فيه هالة التقديس  
والتأليه ، فأما أن يرسل الصواعق من سماء جو بيتير ، وأما أن يهبط إلى  
الأرض مع الهابطين

فسلام الدنيا إذا حكمتها الديمقراطية مفهوم لأنها تقوم على التفاهم ولا تحصر  
الرأى فى يدى انسان واحد . ولكنه غير مفهوم والدنيا تحكمها الدكتاتورية ، بل  
غير مفهوم وفى الدنيا دكتاتورية واحدة على مذهب التقديس والتأليه ، تفتأ  
من يوم ظهورها تقعع بسلاح العدوان وتنشئ أبناءها على تمجيده واصطفائه  
دون سائر الخلط وسائر الحلول

\*\*\*

ومن الملائم أن نستحضر فى اخلاذنا قبل ختام هذه المقارنة ان تفضيلنا  
الديموقراطية يؤدى إلى تعميمها فى كل أمة ، وان تفضيلنا النازية أو الدكتاتورية  
لا يؤدى إلى مثل هذا التعميم ، لأن النازيين يعتبرون مذهبهم مزية جنسية  
يستأهلها صفوة الخلق من أبناء الشمال ولا يستأهلها الجنوبيون ولا المغلوبون ،  
وآخر ما يفكرون فيه إذا انتصروا أن يتركوا الشعوب الصغيرة للمستبددين من  
عشيرتها ، والزعماء المقدسين من أبناء جلدتها ، ولكنهم يدينونها بشريعة العسف  
التي لا تؤمن بتقديس ولا بحق مصون لحاكم أو محكوم من الضعفاء

ويحسن بنا كذلك أن نستحضر فى أخلاذنا أن الديمقراطية لم تنته من  
التطور ولم تتحجر على وضعها الذى هى عليه فى هذه الايام . فهى نظام يتقدم مع  
تقدم الشعوب ، وتزول نقائصه كلما زالت نقائص الناس ، ولا أمل من الناحية  
الاخرى فى ارتقاء الدكتاتورية طبقة بعد طبقة وسيدا بعد سيد . لأنها راجعة إلى



القفرات والنوادر ، منوطة بالآحاد المتفرقين ، معرضة للهدم والتخريب بعد كل  
بناء وتعمير

قال الامام الشيخ محمد عبده : « لا يصلح الشرق إلا بمستبد عادل . »  
نعم . ولم يفسد الشرق إلا بالمستبدين الظالمين ، ولم ينهض نهضته المرجوة  
في القرن العشرين إلا بنفحة من الحرية الديمقراطية سرت اليه . وقد جرب  
حظه في الاستبداد طويلا فليجرب حظه في الحرية ، وليجعلها اليوم قضيته  
الكبرى ، فهي في الحق قضيته التي ينتصر فيها فينجو من ظلم أبنائه وظلم الغرباء





اوتو شتراسر



# الفصل الخامس

## قضية الغد



### قضية الغد

ولعلها كانت أحجى أن تكون قضية أمس أو أمس الأول ، لو كانت « السياسة » تمشى في طليعة الشعوب ولم تكن تمشى وراءها بخطوات وقد قيل إن الساسة يتخلفون عن عصورهم ثلاثين سنة لأنهم يقتبسون أفكارهم الحديثة في زمن ويتولون الحسك في زمن آخر ، ولأنهم يلبثون إلى أن يمر « الصف الأخير » من « محافظى الشعوب » ثم يمروا وراءه ليجتنبوا مشقة الابتداء والاقتحام ، ويأمنوا مغبة «الرجة الثورية» التي تصاحب دعوات الاصلاح وليتها ثلاثون سنة !

فانها على ما ترى مائة أو مائة وخمسون ، وكأننا لا نزال الآن في أوائل القرن التاسع عشر من حيث سياسة العالم وفض المشكلات بين الشعوب والحكومات ماذا كان يحدث لو أن الدول جميعا — كبيرها وصغيرها — أجمعت على انذار هتلر بالحرب لو أنه رفض خطة التفاهم في المشكلة البولونية وأبى إلا خطة الارغام ؟

كان ينثنى عن الحرب ولاجدال وكانت كل دولة من هذه الدول تخدم مصلحتها هي قبل أن تخدم مصلحة العالم ... لأن خمس دول على الأقل كانت تأمن على حوزتها من غارة هتلر ، وان كانت بولونيا وحدها هي التي انفردت بالتهديد في بداية النزاع



فماذا لم تصنع الدول ذلك ؟

لم تصنعه لأنها تعمل في السياسة الدولية كما كانوا يعملون قبل مائة سنة ،  
وهم يومئذ على صواب

فبعد الحروب الدينية والحروب التي نشبت بين الأسر المالكة من جراء  
الخلافا على الوراثة رشدت الأمم بعض الرشاد فاجتنبت الحروب « العاطفية »  
والنزوات الحماسية واتبعت « المصلحة » وحدها في إدارة علاقاتها الخارجية ، فلا  
تعدى ولا تصادق من أجل مصالح الأمم الأخرى ولو كانت تجاورها أو تماثلها ،  
ولا تظن أن حدثا من الأحداث يعنيها مادام يجري من وراء حدودها  
وجعلت شعارها كلمتين اثنتين : الكلمة الأولى « مصلحتي » . . . والكلمة  
الثانية « لا يعنيني ! »

وصمدت على ذلك في جميع الأزمات الدولية ، ولا سيما أزمات الحروب

\* \* \*

إلا أن العالم قد تغير ، وقام بعد العالم في القرن التاسع عشر عالم  
متشابك متماسك لا تنفصل فيه أمة عن أمة ، ولا تطراً فيه المشكلة الدولية إلا  
سرت آثارها إلى أبعد الأمم وأقربها على السواء  
فقيام حكومة النازي في ألمانيا كان مسألة ألمانية داخلية على رأى الساسة  
« الحصفاء » من المدرسة العتيقة

ولكن ألم يكن كذلك مسألة داخلية بولونية ؟ ألم يكن مسألة داخلية  
بلجيكية ومسألة داخلية نرويجية وإنجليزية وفرنسية وتركية ومصرية ؟ ألم يكن  
مسألة داخلية في جميع الأمم التي اضطرت من جراء قيام النازيين إلى انفاق مالم  
تكن تنفق ، وتدير مالم تكن تدبر ، واتخاذ مالم تكن تتخذ من الحيلة ،



وفرض ما لم تكن تفرض من الضرائب ، وانتداب من لم تكن تفكر في انتدابهم  
من الوزراء والساسة والسفراء !

أكل هذا لا يكفي لاعتبار المسألة الداخلية في أمة مسألة داخلية في الأمم  
الأخرى ؟

بلى . إنه لكاف وأكثر من كاف

ولكنّ النازيين أغاروا على بولونيا ومن ورأها أمة شتى تنتظر وتحسب  
أنها تسلم بالانتظار ، وتبتعد وتحسب أنها تأمن بالابتعاد

فلم تنقض أسابيع حتى فهمت كل واحدة منها أنها اخطأت في حق نفسها  
واخطأت في حق غيرها ، ولم تفد أحدا غير المعتدى عليها وعلى غيرها

فلا هي سلكت طريق المروءة ، ولا هي سلكت طريق السلامة . . .  
وبئست السياسة التي تمحيد عن هذين الطريقين لتمهد بيديها طريق المعتدين عليها  
انتهى في السياسة الدولية عهد « مصالحتي » وعهد شئوني وكفي !

وأصبحت المصلحة الآن في التوحيد بين المصلحة الوطنية والمصلحة العالمية ،  
فلا تنفرد أمة في سياستها إلا على نية من نيتين : العدوان على غيرها أو التعرض  
لعدوان المعتدين

فاذا أبت أمة من الأمم إلا أن تفرغ جهودها كلها للسطوة العسكرية وأن  
تشبع نفوس أبنائها كلهم بنوازع البغى والعدوان ، فماذا يبقى للأمم الأخرى  
بإزاء هذا الخطر الذي يهددها واحدة بعد واحدة ؟

لا يبقى لتلك الأمم إلا أن تعمل كلُّ منها منفردةً فتستعد وحدها لدرء  
الخطر عنها ، وهي الخاسرة بما يضيع عليها من الأموال والجهود وعلى أبنائها من  
الحقوق والحريات



هذا أو تعمل الأمم مجتمعات وتقلع عن سياسة «مصلحتي» ، «ولا يعنيني»  
لأنها تقيض المصاحبة والمروءة والسداد

وفي هذه الحالة يكفيها ربع الاستعداد الذي كانت مضطرة اليه لو أنها عملت  
على انفراد

لأن دولاراً عشراً تبذل ربع مجهودها ومالها أقوى من دولة واحدة تبذل  
كل ما عندها من مجهود ومال

فهذه «الخطه العالمية» أقل نفقة وأقرب إلى السلامة ، وأشبه بالكرم  
والمروءة ، ولا عائق يعوق الأمم عن المضي فيها إلا البلادة والغباء

ومتى ثبت لزوم الخطه وثبت إمكانها ، وثبتت فوائدها فهي في انتظار  
«الاداة» التي تصلح لتنفيذها ، أو هي في انتظار «واسطة الاتصال» بين  
الحكومات

وليست هذه الواسطة المرجوة — بل الضرورية اللازمة — بالطريق المقطوع  
فالتعاون الدولي قد أصبح بعد اليوم ضرورة و «عقلا» ولم يعد كما كان  
قبل اليوم حلما من الأحلام أو عاطفة من عواطف المتخيلين

وصداقات الدول لا ينبغي أن تقوم غدا على أساس غير أساس الاشتراك في  
العدوان أو الاشتراك في دفع العدوان

والاتفاق على دفع العدوان أيسر من الاتفاق على العدوان ، لأن المعتدين  
يتغالبون ويتنازعون ، ولا يمضون في الوفاق الى نهاية الطريق

وتلك قضية الغد

وتلك هي عبرة الحرب الحاضرة ، إن كانت لها عبرة على الاطلاق

\*\*\*

فلهذه الحرب أغراضها التي لامناس من تحقيقها



ولانغنى تلك الأغراض التي يعلنها الساسة ويؤمنون ، أولا يؤمنون ، أنهم يعملون لها وينتهون اليها

ولكننا نغنى الاغراض التي تتجه اليها الحوادث وتوجه اليها الساسة في تيارها الجارف الذي لايسلس عنانه لأحد ، وإن خيل الى كثيرين أنهم قابضون عليه ، مستوون في الركاب

وكل حادث عظيم من حوادث الدنيا فله نتائجه اللازمة اذا شئنا أن نتجنب كلمة المقاصد

فالحرب الماضية انتهت بزيادة الأمم المستقلة في أوربا وأفريقيا وآسيا ، وبدخول التحكيم الدولي في دور جديد من أدواره الكثيرة ، وبفشل النزعات المادية في تجارب الأمم والأفراد . فقد فشلت تجربة الماركسية في روسيا بعد أن أتاحت لها فرصة لا نظير لها ، وفشلت تجربة الخلاعة والانطلاق من ضوابط الآداب والأخلاق ، فأحس كل خليم مستخف بتلك الضوابط أن النفس التي لا ضابط لها نفس متفككة خاوية ، وأنها من أجل ذلك خليقة أن تتهالك وتستخذى في إبان سرورها وانتشائها ، كأنها تنفر من ضعفها وتتفرز من خواها .

فرجعت النفوس تتمرد على التمرد ، وتتمثل طريقها الى الايمان والمثل العليا واذا قصرنا القول على الجانب السياسى فقد تحقق شطر من أغراض الحرب الماضية وهو تقرير المصير في أمم كثيرة ، وبقي شطر في انتظار التحقيق وهو انصاف الاقوام الصغيرة أو الاقليات ، وتمام التعاون « عملا » بين الحكومات فما هي أغراض الحرب الحاضرة ؟

أولى من سألنا عن أغراضها أن نسأل عن أسبابها

فاذا سألنا عن تلك الأسباب ظهر لنا الماركسيون والماديون بأسبابهم التي لا يعرفون غيرها ، وخلصتها المضحكة أن الدول قد انفقت ألوف الألوف من



ربوات الدنانير للوصول الى عشر معشار هذا المقدار ، وهى لا تثق من هذا المكسب  
كما وثقت كل الثقة من ذلك الخسار

والماركسيون أو الماديون أول من يجهل أن « الدينار » ليس بشيء فى ذاته ،  
وأنه لا يصبح شيئاً إلا حين يمثل حاجات النفوس والأجسام ، ومنها الغلب والزهو  
وإرضاء الأوهام والخيالات

وقد أحصيت أسباب شتى للحرب الحاضرة غير أسباب الماركسيين والماديين  
وهى الخوف من الحرب واتخاذ الحيطة لها ، وفقدان المثل العليا والأصول الاخلاقية  
التي لا استقرار للنفوس مع فقدانها ، والتفاوت بين الامم فى طبقات الحضارة ونظم  
الاجتماع . فان التفاوت يمنع التعامل بقسطاس واحد ، ومتى تعددت أساليب  
المعاملة صعب التوفيق ونجمت أسباب الخلاف

إلا أن هذه الاسباب جميعاً تنطوى فى السبب الأكبر الذى تتلاقى عنده ،  
ولا قبل لذا باستيعابها فى تفصيلها إلا اذا استوعبناه فى جملة ، ثم رددناها اليه  
ذلك السبب الأكبر هو افتراق الطرفين بين الماضى والمستقبل ، فان العالم  
اليوم حائر بين ماضيه ومصيره ، فلا هو قد فرغ من الماضى بته ولا هو قد وصل  
الى تقرير المستقبل وتوطيده والاتفاق عليه

ماض لا رجعة له ، ومستقبل لم يأت بعد ، وقد آذن فى عصرنا بالظهور :  
فى الماضى كانت السياسة تقوم على أساس العصبية وتكثر منها استطاعت  
لتعز بناصرها : بين عصبية وطن وعصبية جنس وعصبية لغة وعصبية دين ،  
وعصبية موقع ومصالحة

وفى المستقبل يضيق العالم بهذه العصبية ، لأنه يتسع ويتقارب بمواصلاته ،  
وكما اتسع وتقارب اشتبكت مصالحه ومشار به وتعذر على الامة أن تنعزل فيه ،  
واستحال أن يحكمه قوى واحد وأن يتفق على تقسيمه أقوياء متحاربون .



واستحال أن يهمل فيه شأن الضعفاء ، فلا غنى فيه عن التفاهم والتعاون ، وأن  
ينسحق فيه القوى الذي لا يأخذ خصومه الأقوياء والضعفاء بغير السلاح  
فلا مناص إذن في الغد المنظور من قيام السياسة على أساس العلاقات  
العالمية المشتركة ، حتى في الأمور التي كانت تستأثر بها كل دولة وتأبى أشد الأباء  
أن تشاركها الدول الأخرى في كثير أو قليل منها ، كالعجلة والجيش والسياسة  
الخارجية ، والمصطلحات الاجتماعية

فهذه المسائل كانت معدودة في شريعة العصبية القديمة عنوان السيادة  
القومية التي يستقل بها كل قوم عن سائر الأقاليم  
فأصبحنا في مسألة العملة نرى كثيرا من الأمم ترتبط بنظام واحد وترجع  
إلى ثقة واحدة ، ولا تملك أمة واحدة أن تستقل بعملتها عن سائر الأمم  
وأصبحنا في مسألة الجيش نرى فرنسا تشير على إنجلترا بنظام التجنيد فتقبل  
إشارتها ، ونرى أسطولا فرنسيا بقيادة إنجلترا ، وجيشا إنجليزيا بقيادة فرنسيين ،  
ونرى نحن المصريين اننا نقبل الجيوش الأجنبية في أرضنا ونعتبر اقامتها بيننا أثناء  
الحرب تنفيذاً لاتفاق محمود مرغوب فيه  
وأصبحنا في سياسته الخارجية نرى المذكرة الواحدة تكتب وتدرس في  
دواوين أمم كثيرة قبل انفاذها ، ونرى اللجان « المختلطة » تحل محل الوزراء  
المنفردين في كل دولة

وبلغ من اشتراك اللجان ومجالس الحرب في جميع الشؤون أنها لم تترك عملا  
واحدا تنفرد به السيادة القومية على النحو القديم  
فهذا عالم جديد ، وهذه أحوال جديدة ، وهذه طلائع للمستقبل لا بد أن  
تبلغ تمامها ، ولما تبلغه بعد  
ومن ثمة هذا التقليل ، وهذه المحاولات ، وهذه التجارب ، تارة في ميادين



السياسة وتارة في ميادين التجارة ، وتارة في ميادين القتال  
وما من عبث ولا مصادفة قد انقسم المعسكران المتقاتلان اليوم هذا الانقسام:  
معسكر ألمانيا وأصحابها الظاهرين والمستترين ، ومعسكر بريطانيا العظمى ومن  
معها من الحلفاء والأصدقاء

بل هما يمثلان في انقسامهما عالم العصبية من جهة ، وعالم المشاركة العالمية  
من جهة أخرى

فها هي ذى ألمانيا تحمل رايه العصبية الجنسية باسم الآرية أو باسم الأتوام  
الشمالية ، وفي صفها أو من خلفها روسيا الشيوعية وهي التي تحمل راية التعصب  
للطبقة العاملة وتسميها سيادة الصعاليك

وها هي ذى بريطانيا العظمى تحمل راية المشاركة العالمية وتقوم على التساند  
بين شعوب كثيرة داخل الامبراطورية وخارجها ، قد اتصلت كلها بالمحالفات  
والمعاهدات والدساتير التي تساعد على المعاونة ولا تمنع الاستقلال ولا تجور على  
الحقوق الوطنية ، فليست كندا ولا استراليا ولا أفريقيا الجنوبية أقل استقلالا  
في اعلان الحرب من إنجلترا نفسها . . . أما خارج الامبراطورية فهناك فرنسا  
وتركيا ومصر على اختلاف الأجناس واللغات والعقائد تتعاون وتتفق في الغاية  
اتفاق الأنداد ، الذين لا ينوون البغى على أحد من الأحرار ، باسم تعظيم جنس  
حاضر أو إحياء دولة غابرة

ففي أحد المعسكرين نموذج صغير للعالم البائد عالم العصبية والعداوات  
والمشاكسات ، وقوامه جماعة النازيين

وفي المعسكر المقابل له نموذج صغير للعالم المقبل عالم التعاون على تحقيق المشاركة  
الدينيوية في غير تعطيل للسيادة القومية ، وقوامه جماعة الحلفاء  
و بين هذين النموذجين ، أو هذين المعسكرين ، سر الحرب العظيم الذي تندمج



فيه الأسرار كافة ، وسببها الأكبر الذى تتفرع منه الأسباب النفسية والفكرية والاجتماعية والتجارية قاطبة . وتلك هى قضية الغد التى نترقب الفصل فيها بعد الحرب الحاضرة ، ولا يعنى الفصل فيها أحدا من بنى الانسان كما يعنى الأمم العزلاء

\* \* \*

ومن التفرير بالآمال أن نتخيل أن المشاركة العالمية حاصلة في بكرة الهدنة بعد الحرب الحاضرة ، وان الدول سترمى السلاح بيدٍ وتقيم حق العالم باليد الأخرى . فالعافية درجات كما يقولون في حكمة العامة ، وأمثال هذه الآمال الكبار لاتسرع إلى التمام في اللحظات القصار ، وحسبنا أن نعرف اتجاه آمالنا وأن نتوخاه في أعمالنا فنطمئن إذن إلى كل خطوة نخطوها ، ونزغ عن عقولنا حيرة السالك في مفازة لا معلم في أرضها ولا قطب في سماءها . ونثوب إلى الايمان في السياسة ، فنصيب صواب المؤمنين ونخطيء خطأ المؤمنين ، ولا نقذف بأنفسنا في تيار الحوادث يجرفنا إلى حيث شاء ، ويمضى بنا من حيث لاندرى إلى حيث لاندرى . كأننا خشبة من حطام لادفة لها ولا شرع

ليست هذه الحرب نهاية الحروب ، وليس المهم أن تنتهى الحرب بعد أمد قريب أو بعيد

وانما المهم ان نفصل بين بطولة الحرب واجرامها بفصل يميزه الناس كما يميزون موت الشرطى في سبيل الحق من موت اللص على مشنقة القصاص ، وأن تكون للعالم شريعة يدين بها الخارجين عليه كما كانت لكل أمة شريعة تدين بها من يخرج عليها

وقد يمضى زمن قبل أن يُشنق رئيس أمة باغية جزاء له على اضرار الحرب في سبيل شهواته وخيالاته ، واكنه إذا أصبح في أعين الناس مستحقا للشنق



فوصول الجبل إلى عنقه وتقصيره عن الوصول إليه سيان في حكم الآداب والأخلاق

وستبقى القوة والضعف بعد الحرب الحاضرة ، وتبقى بعد جميع الحروب المقبلة ، سواء نشبت في سبيل الفتوح والمغامرات أو نشبت في سبيل العدل والأمان

فلن يأتي في تاريخ العالم يوم تصبح فيه القوة هي الضعف ويصبح فيه الضعف هو القوة : ذلك الغاء لمعنى الكلمات فضلا عن الغائه لحقائق الأشياء ولكن القوة ضروب .

فاللص الذي يقطع الطريق ويزهق فرأسه المنهزمين قوى يعتمد على قوته . والسيد السرى الذي يطمع في حق الضعيف فيبذل المال في إرضاء المحامين والشهود وتضليل القضاء ونقض الشريعة قوى يعتمد على قوته

إلا أننا لانعرف عاقلا على الرغم من هذا يقول : الغوا القضاء وأبيحوا قطع الطريق لأن القوى والضعيف لايتساويان ، أو ينكر أن نصوص الشريعة وانظمة القضاء مكسب انساني يغار عليه المظلوم وان لم يبلغ منه مايروم

فمن قال ان الحرب الحاضرة تسوى بين القوى والضعيف فهو خادع أو مخدوع ، ولكنها إذا استطاعت في عالم السياسة الدولية أن تفرق بين قوة اللص الخارج على الجماعة وقوة السرى المعتر بمنزلته في أمته فقد — استطاعت الشيء الكثير ، وتركت بقية للمستقبل عسى أن تتحقق في زمن يسير

\*\*\*

كيف تتأدى الحرب الحاضرة إلى هذه الغاية ؟  
الرأى عندي أبدأ هو أن العقيدة سابقة للنظام كما أن الوظيفة سابقة للعضو  
في اصطلاح علماء الاحياء



فهل وجد في الدنيا شيء يسمى « الحق العالمي » وشيء يسمى « الجريمة العالمية » ؟

هل ينظر العالم إلى من يزعج سلامه ويستهمين بتراث الآداب فيه نظرته إلى مجرم مأفون أو نظرته إلى بطل جليل ؟  
ذلك هو السؤال !

فاذا كان « الحق العالمي » قد وُجد بيننا ، بل إذا كانت الرغبة في وجوده قد غلبت على نفوسنا ، فالنظام الذي يتولى الانفاذ والاجراء بالمرتبة الثانية بعد هذه المرتبة الأولى !

والذي أعتقد جازما لا أشك فيه ان تقرير الحق العالمي واجب ، وإننا اليوم في مقام المشترع الذي يريد أن يقرّر بالنصوص حقوقا مرغوبا فيها وجرائم مغضوبا عليها ، وإننا في أوانها وفي فرصتها الكبرى ، فينبغي أن نضن بها على الضياع

ويأتي بعد ذلك دور « النظام » الذي يتكفل بالانفاذ والاجراء ، فماذا عسى أن يكون هذا النظام ؟

إن الفروض والمقترحات في هذا الباب لا تقتصر على المثاليين والخياليين ، فان أناسا من المسؤولين في السياسة كالمسيو بريان قد عرضوا على سبع وعشرين دولة أن يفكروا في تأسيس « اتحاد » كالاتحاد الأمريكي أو السويسري أو الأسترالي على نحو من الأنحاء ، قبل نشوب الحرب الحاضرة بعشر سنوات وقد سبقه ولحق به مفكرون من الأدباء والحكماء ذهبوا إلى توحيد الوزارات وتوحيد المجالس النيابية وتقسيم الكراسي فيها بين الأعضاء على قواعد يؤثرونها ويحسبونها وافيةً بالقصد قابلةً للانفاذ

ويغلب على الظن أن إنشاء هذا الاتحاد غير ميسور وغير لازم في الجليل



الذي نحن فيه ، لأن الاتفاق على أساس الانتخاب عسير . فهل نعتمد في الانتخاب على العدد ؟ أو نعتمد فيه على طبقة الحضارة ؟ لا هذا ولا ذلك مما يسهل الاتفاق عليه

إلا أن الاتجاه مع ذلك مرسوم  
والخطوات الأولى في هذا الاتجاه تغرى بخطوات تالية لاتخشى عاقبة  
المضى فيها

وأسهل من إنشاء الحكومة العالمية فيما نرى توجيه الجهود إلى إنشاء سوق عالمية للخامات ، وسوق عالمية للمصنوعات ، وأن يكون الاصدار والايراد بين هذه وتلك بمقدار متفق عليه ، على مثال الاتفاق الذي تلاحظه الدول في زرع الحبوب والأعشاب التي تدخل في سموم المخدرات

وليس من الضروري أن يتوحد مكان هذه السوق أو تتوحد مصادر التصدير والتوريد . إذ يكفي أن يتوحد مكتب التسجيل والاحصاء حيث كان الانتاج والتوزيع ، ليعرف الطالب من أين يطلب والبائع لمن يبيع . وخليقٌ بالعالم الذي تتصل فيه شرايين الأثير والكهرباء بين تليفون وتلغراف ومذياع أن يهدمها كان عصيا من هذا المطالب قبل سنين

\*\*\*

ولا يخلو من الطرافة أو من الأهمية أن نشير هنا إلى اقتراح الزعيم الألماني الذي يرشحه الكثيرون لرئاسة الحكومة الديمقراطية في ألمانيا بعد هزيمة هتلر وسقوط نظامه ، ونعني به أوتو شتراسر Otto Strasser شقيق جريجور شتراسر ومساعدته في إنشاء حزب النازي بأقاليم ألمانيا الشمالية ، وقد كان جريجور صديقا لهتلر وكان هتلر أباً لولديه التوأمين في العماد . ثم انفصلا . فأرسل إليه هتلر نقران أعوانه فأخذوه من بيته وهو بين زوجته وأبنائه وقتلوه ركلا بالأقدام



لكن هتلم لم يسترح من أوتو كما استراح من جريجور ، ولا يزال يخشاه  
ويتهمه بكل مكيدة تصيبه أو تصيب نظامه  
ورأى « أوتو شتراسر » في علاج مشكلة التجارة العالمية وما تنطوى عليه  
من مشكلة المستعمرات أن تؤلف لها شركة كبرى تدور فيها الأعمال على أساس  
المعاملات المالية التي لا تحتاج إلى مداخل من السياسة أو الجيوش  
ورأيه الذي أبداه لمكافحة الحرب قبل بضع سنوات أن تنصف الدول  
المانيا وتقضى على سيطرة بروسيا قضاءً لا تقوم لها من بعده قائمة ، وعنده أن  
تقويض بروسيا لا يتأتى بغير تقويض السادة البروسيين الذين يحتكرون الضياع  
الواسعة ويعيشون فيها عيشه الطغاة ولا يأذنون لحكومته في المانيا أن تستقر وتهدا  
في أماكنها ما لم تقم على أركان الطغيان والعتو والعدوان  
وفي هذا الرأي هو ولاشك مصيب ومخلص لوطنه وللعالم .. فما تأتي المصائب  
لألمانيا ولا للامم المبتلاة بطغيانها إلا من قبل أولئك « السادة » البروسيين

\* \* \*

على أن التفكير في حرب الدول لا يغني عن التفكير في حرب الطبقات ، إذ  
ربما نجمت الحرب الدولية من جرائر النزاع بين طبقة وطبقة في أمة واحدة ،  
أو أمم عديدة

والرأي اليقين في هذا الصدد أن حرب الطبقات لن تهدا بتغليب طبقة ولا  
باستنزاف طبقة ، سواء كانت هي طبقة الأغنياء أو طبقة الصعاليك ، وإما تهدا  
بالتعاون القومي والتنافس الشريف ، وتبقى الطبقات باقية ، ما بقيت الحياة ، إذ  
ليس السر الكامن وراءها سر « النقود » كما فهم كارل ماركس وأشياعه ، ولكنه  
هو سر الحياة الذي يقضى بتعدد القيم وتعدد المساعي وتعدد الكفاءات والأذواق  
واللبانات



وخير ما تعالج به مشكلتها أن تتوسع الأمم في نظام « الجماعات التعاونية »  
فلا يستفيد « رأس المال » شيئاً إلا كان مردّه إلى المشتري ، وأن تتوسع في نظام  
المشاركة بين العامل وأصحاب العمل فيصبح للعامل نصيب في ربح عمله ،  
وترجع الدولة إلى مافاض من ربح يتجاوز المعقول فتأخذ منه حصة للضريبة التي  
تفيد الجماعة كلها ، وتعين الفقراء منها قبل الأغنياء

لا نقول إننا وفيما الكلام في الإصلاح السياسي أو الإصلاح الاجتماعي بما  
قدمناه ، فليست توفية الكلام في ذلك من مطالب هذا الكتاب  
ولا نقول إن حلا من الحلول السياسية والاجتماعية كأننا ما كان سيفض  
مشكلة الحياة بين الأمم والأفراد . فمشكلة الحياة لا تفض ، ومطالبها لا تنتهي ،  
وقصارها أن

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما تبقى  
فان الحياة التي لا تواجه كل يوم كشيئا جديداً وتسعى كل يوم إلى مجهول  
جديد لمحي حياة فقراء جدد لا تستحق أن تعاش  
ولكننا نقول إننا أشرنا إلى وجهة الهداية ، وإننا إذا مضينا في هذه الوجهة  
على هداها فقد بلغنا شوطنا ، وأبرأنا ذمة أمسنا إلى غدنا ، ولم نكن — نحن  
أبناء العصر الحاضر — سداً يعوق طريق العصر المقبل ، أو غيبها ينحرف به  
عن مسراه



اجتمع مجلس النواب المصرى فى بداية دور انعقاده بعد اتفاق ميونيخ بنحو شهرين ، ودارت فيه - لمناسبة الرد على خطاب العرش - مناقشات عدة عن علاقة مصر بالحالة الدولية فى أوربا وغيرها من الأمم الأجنبية ، وكنت مقررا للجنة الرد على خطاب العرش ، فأجبت على الملاحظات التى أبديت فى هذا الصدد بما يلى : (١)

... « سمعنا كلاما متعددًا عن مادة الطوارئ فى المعاهدة وما عسى أن تجرنا إليه من مشكلات لا شأن لنا بها . فمن المتفق عليه - ولا شك - بين جميع المصريين أن مصر لا ينبغى أن تدخل حربا يمكنها اجتنابها . ولكن ماهى هذه الحرب التى يمكننا اجتنابها ؟ ... »

أخشى يا حضرات النواب المحترمين أن يفهم من هذا أننا نقيس الأخطار من حيث قربها أو بعدها بالمقياس الجغرافى . . . أو بمقياس الأيام والساعات ! . . . فالفرق عظيم جدا بين منشأ الحادثة وبين النتائج التى تؤدى إليها ، ومثال ذلك قريب الينا من الحرب العظمى . فبلدة سيرا جيفو بعيدة كل البعد من الولايات المتحدة ، بعيدة كل البعد من اليابان ، ولكن حادئا واحدا وقع فيها كان كافيا لأن يزرع بكتنا الدولتين فى حرب يظهر لأول وهلة أنه ليس بينها وبينهما شأن كبير . أما نحن فقد وصلت الينا فقلبت تاريخنا وغيرت نظام الحكم عندنا



وأنشأت لنا تاريخا آخر غير ما كان يسير اليه مجرى الحوادث لو لم تقع هذه  
المأساة في سيرا جيفو ، وهذا مثل بسيط يمكن أن يتكرر في كل حادث  
« قيل ان أعداء بريطانيا العظمى كثير ، وهذا صحيح . ولكن يجب أن  
نذكر أن أعداء بريطانيا العظمى لا يحارونها ليحتلوا لندن ولا لينزعوا ليفر بول  
ولكنهم يحارونها ليحتلوا مصر وأشباه مصر . فالخطر متجه الينا على كل حال ،  
وإذا انفردنا باخطارنا فليس معنى ذلك أنها تنقص بل لعلها تزيد ، ولست أعنى  
بهذا إلا أن نعرف الحقيقة على جليتها لأن من يتوهم أن الخطر بعيد وهو قريب  
منه يوشك أن يقع فيه »

وبعد كلام عن ميناء اسكندرية وقناة السويس قلت في الرد على بعض  
حضرات الأعضاء ممن يرون الحد من الحرية الفردية .  
« يريد . . . أن يفنى الفرد في المجموع أو في الدولة ، ولا يجوز أن أفهم  
من ذلك أنه يريد اقامة حكم نازي أو فاشيستي في مصر ، ولكن يجوز لي أن  
أقول إن فناء الفرد في الدولة شيء لا تعرفه الديمقراطية

« فالديمقراطية تعطي الفرد أقصى ما يستطيع من الحقوق ، ومعلوم أن  
الغرض الأكبر من التقدم الانساني هو حرية الفرد قبل كل شيء ، وان التفاضل  
بين أمة وأخرى إنما هو في الأمة التي يتمتع فيها الفرد بحقوق الأحرار ، وليس في  
مصر من يرى فرقا بين رجل يستعبده أحد من قومه سواء كان زعيما أو غير زعيم  
وبين رجل يستعبده حاكم أجنبي . هذا وهذا سواء عندنا على كل حال . لأننا  
نريد أن نكون أحرارا إزاء كل حاكم سواء كان وطنيا أو أجنبيا  
ثم قلت :

« ان القوة العسكرية يا حضرات النواب المحترمين ليست هي مقياس  
الحضارة لأنها قد تكون ضرورية للوصول إلى غرض معلوم أو موقوت ، ولم يقل



أحد من الناس أنها هي مقياس الحضارة ، أو أن ترقى الجنس الانساني انما كان بمقدار كفاءة الأمة في انشاء الجيوش . فأتيلا وهولا كو مثلا كان لهما جيش يعتبر من أقوى جيوش العالم . انما مقياس الرقي والتقدم الانساني هو شيء واحد : وهو الانتاج العقلي ونبوغ العلماء والمفكرين والفنانين والمثقفين

فلنرجع إلى حالة البلاد التي أخذت بالنظام الدكتاتوري لنرى حالتها من ناحية الانتاج العقلي . أقول مع الأسف أن كل أمة أخذت بهذا النظام ضاعت فيها الحرية الفردية فركد فيها الانتاج العقلي ركودا تاما ولم يظهر فيها في السنوات العشر الأخيرة عالم أو نابغ أو كاتب مشهور

« لقد اعترفت صحيفة (دوتشي الجين زيتونج) كبرى صحف المانيا التي تعد من مفاخرها أن حالة الثقافة في الوقت الحاضر حالة محزنة ، وإنيهم يأسفون على القرن التاسع عشر الذي لم تخل فيه سنة من أترقيم تتجاوب به أنحاء العالم » ووقف المهترهتلر في مؤتمر الثقافة في نورمبرج منذ سنة واحدة وأعلن أن ألمانيا لا تزال تعوزها العبقريات الفذة التي تعبر عن شعور الجامع . لم يحدث ذلك ؟ يجب أن نبحث عن السبب لا أن نوازن بين تقدم الشعب في البلاد المختلفة . فالسبب أن فناء الفرد في المجموع يفنى المواهب العليا ، وإذا استمر هذا خافيا سنة أو سنتين فلا بد من ظهوره في المستقبل ، لاسيما عند ما يتجاوز الغرض الموقوت الذي أنشئ هذا النظام من أجله

« وإذا كان مثل هذا الضغط على الحرية الفردية قد أصاب بلادا لها سبق التقدم في العلوم والمخترعات فماذا يصيبنا منه هنا ونحن لانزال في أول شوطنا ؟ أظن أن الكارثة ستكون عظيما ، وسنيأس من مستقبلنا ولانجنى شيئا في مقابلة ما جناه أولئك الحكام من الضغط على الحرية الفردية . ومع ذلك من منا يشك في أن المانيا مثلا لو استطاعت أن تكون مثل إنجلترا في ديمقراطيتها ما كانت



تلجأ إلى الحكم الدكتاتوري ؟ إنها لو استطاعت أن تكون قوية كأنجلترا لما فعلت ذلك . فهي واقعة في حكم الضرورة القاسية ، والاضطرار لا يتخذ مقياسا لمجرى الحياة العامة . ثم من أين لنا إذا انشأنا دكتاتورية أن تكون مثل ألمانيا ؟ لماذا تقابل أنفسنا بألمانيا وانجلترا ولا تقابل أنفسنا بمن هم أمثالنا ؟ لماذا لا نقول أن ديكاتوريبتنا في هذه الحالة تصبح كالدكتاتورية في دول أمريكا الجنوبية ؟ ولماذا لا نقول إنها تكون مجالا للنهب والسلب واظهار أخط الشهوات ؟ إن المعروف عن معظم الدكتاتوريين أنهم لا يطمعون في مال ، فمعروف عن هتلر وموسوليني وستالين أنهم يعملون بلا أجر . فمن أين لنا الا يقيض الله لنا في مصر لصا باسم دكتاتور »

\* \* \*

هذا الخطاب الذي ألقى في مجلس النواب قبل الحرب الحاضرة بتسعة شهور يلخص جملة الآراء التي وردت في هذا الكتاب

ولم يتغير الموقف بعد قيام الحرب الأوربية الحاضرة ، بل اقترب من الظهور والتوكيد كما تقترب الصورة التي كانت بعيدة ثم أخذت تتداني وتعرض للضيء فصر لا تستهدف للطوارئ والأخطار وحدها في الحرب الحاضرة أو في الأزمات الدولية التي تليها ، ولكنها تستهدف لها مع غيرها

ولهذا كان من السداد والانصاف ألا تنوء وحدها باعباء الدفاع عن نفسها والاسهـة داد للطوارئ والأخطار التي قد تكتنفها وتكتنف غيرها وهي لو أرادت ذلك لما أطاقت ولا أطاقت بعضه

لأنها تحتاج إلى مئات الألوف من الجنـد يحمون حدودها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ويحرسون مواقعها الأخرى في إبان السلم . وتحتاج إلى أضعافهم في إبان



الطوارئ والحرب الواقعة ، و إلى أسطول ضخيم يحرس تجارتها في البحار القريبة ،  
و إلى مصانع للسلاح مستوفاة كل الاستيفاء على اتصال دائم بينها وبين موارد  
المعادن والخامات

وما دام الخطر على مصر لا يصيبها وحدها فمن الظلم أن تنوء وحدها بدفعه

في جميع الحالات

حسبها أن تقوى على دفعه حتى توافيها قوة حلفائها ، ثم تكون قادرة  
على المساهمة بالنصيب النافع في ترجيح الكفتين ، ولا تظل عالة على كواهل  
الأصدقاء ، مهمل في حساب الأعداء

وليست مصر بدعا في هذه السنة . لأنها السنة التي تجرى عليها الدول كبيرها  
وصغيرها . فلا تنفرد واحدة منها في ميدان السياسة أو الحرب كأننا ما كان حظها  
من العدد والعدة والثراء

فلا بد لمصر من صف تقف فيه

فأى الصفين أكرم لها وأصون لمصيرها وأدنى إلى مقدورها ؟

أندخل صفا يشترك داخلوه في العدوان ؟

أو صفا يشترك داخلوه في دفع العدوان أيا كان السبب : للشعب أو للضرورة  
أو لحب الحرية والسلام ؟

أما أن تدخل صفا تشترك فيه مع المعتدين فلا حاجة لها به ولا إمكان ولا  
أمان : لأنهم لم تتطلع قط إلى بلد تعتدى عليه ، وإن تأمن أن يعتدى عليها من  
يخرجون للعدوان على الناس ، وهي في طليعة المقصودين المهددين

فليس لمصر مكان أكرم من تأييد الديمقراطية ومبادئ التفاهم بين الشعوب  
والإيمان بقداصة المواثيق والعهود



ومن كرامة مصر أن تخرج الديمقراطية من الحرب الحاضرة قويةً قادرة على الثبات في ميادين السياسة العالمية ، لأننا عائدون لا محالة الى القلاقل والمطامع والعجز عن التعمير والى انفاق الأموال فيما يضيع ولا يفيد اذا بقيت الدول الباغية قادرة على التهديد والارهاب ، غير هيابة ولا مترددة أمام بأس الخصوم ذلك أكرم الطريقين وأسلم الخيرتين . بل هي الخيرة الوحيدة التي يملكها العقل وهو حر طليق

\* \* \*

أما العبرة لنا نحن المصريين من موضوع هذا الكتاب الأول وهو تقويم هتلر ووزن مزايه بالميزان الوحيد الفارق بين الانسانية والوحشية فهي اجتناب الغلوفى استعظام أعماله وأعمال أمثاله ؛ لأن استعظام القدرة على مثل تلك الاعمال قد يسوق الى الاعجاب الخاطيء ؛ والاعجاب الخاطيء قد يسوق الى قبول ما يستنكر ولا يجمل بضمائر الاحرار

وعبرة أخرى هي اليقظة للدعوات التي من قبيل الدعوة الهتلرية كلما ظهر لها مروجون في السياسة المصرية . فقد يخطر على البال أن الهوادة مع هؤلاء المروجين لن تضيرنا عاجلا ولا آجلا لأن الخطر الكبير لن يأتي الا من رأس كبير أو طبيعة غلابة أو رجل نادر بين عظماء الرجال . فاذا عرفنا حقيقة هتلر وعرفنا أن رجلا متهم العقل متهم الضمير مقسم الرأي والهوى بين الجنون والاجرام أملت له الظروف والمصادفات فصنع ما صنع واقترف ما اقترف لم ننتظر بمن يحملون عود الثقاب حتى يتاح لهم مخزن البارود المستور ، ولم نجعل الخذر رهينا بالحريق دون عود الثقاب ، أو بكبار الرجال من ذى الملكات العليا دون الأوساط ومن هم أقل من الأوساط . فان الشر لعلى قدر المكان الذي يتبوأه الشرير ، وان المكان



الذي يتبوأه الشرير لقد ترفعه اليه المصادفات ولا يشترط في كل حال أن ترفعه اليه  
عظمة واقترار

\*\*\*

والعبرة الكبرى فوق كل عبرة وبعده كل عبرة هي أن نصصح مقاييسنا  
للحوادث والرجال. فان الانسان يطلب جودة النظر لأنها جودة النظر ، قبل أن  
يطلبها لما تجزيه من نفع أو وقاية ، ولا يزال يطلبها ويحرص عليها ولو استغنى  
عن المنافع والوقايات



## كلمة ختام

نختم هذه الصفحات وهتلر ماضٍ في مغامرته الجديدة التي يقامر فيها بأرواح  
الملايين وهولا يبالى مصير ضحاياه

ونعني بمغامرته الجديدة هجومه العنيف على شمال فرنسا من طريق هولندا  
وبلجيكا وامارة لكسمبرج ، وفاقا لخطة عسكرية عجيبة . . . يعتمد فيها  
كايقول جورينج على الوحي والآراء الثورية ولا يعتمد على أصول الحرب الممهودة  
ولا على آراء الخبراء من العسكريين .

وكل « وحي » يدعيه هتلر فاما هو في حقيقته تجربة فجائية قوامها المعارف  
المشتتة ، والقامرة الجامحة ، والاعتماد على الخيانة والتقصير في موضع من المواضع -  
وربما كانت خيانه الآخرين أقوى الدعائم التي يعتمد عليها في مغامراته ،  
لأن هذا المخلوق الموكوس لم يثق قط بفضيلة من فضائل الانسان بعض ثقته التي  
لا حد لها بالسفالة الانسانية والغفلة الانسانية . ومن هنا تلك الدعوة التي يستغفل  
بها الناس وتلك الأموال التي يشتري بها ضمائر الناس . بل تلك الضراوة الوحشية  
التي يثيرها في نفوس أتباعه بالتحريض والتلقين ، ولاتعد من الشجاعة أونبل  
الأخلاق لانها انتكاس إلى غرائز السباع . . . إلا إذا عدت ضراوة السباع ضربا  
من الخلق النبيل

أما المعارف المشتتة هنا فهي خطة الكونت شليفن ، وخطة جورينج المعدلة



لها بعض التعديل ، وتقارير الضباط الذين شهدوا الفتنة الأسبانية وغارة الترويج  
نخطة الكونت شليفن هي الخطة التي وضعها هذا القائد الكبير يوم إن قام  
برئاسة أركان الحرب في بروسيا من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٩٠٦ و بناها على طريقة  
هاننبال في معركة كانيا Cannae حيث هجم هجومه العنيف بكل ما عنده  
من الفرسان على جناح العدو ثم اغرى الجناح الآخر منه بالتقدم إلى حيث استهدف  
التطويق السريع .

وكان شليفن ينوي توجيه ثلاثة أرباع الجيش الألماني — أى توجيه ثلاث  
وخمسين فرقة من اثنتين وسبعين — في جناحه الأيمن إلى حدود هولندا وبلجيكا  
ثم الأرض الفرنسية على الشاطئ إلى العاصمة الفرنسية ، وأن يزود هذا الجناح  
الأيمن بأكثر ما عند الألمان من المدافع الضخام التي استكثرها كلها كل الاستكثار .  
فلا تنقض ، على تقديره ، ستة أسابيع حتى تنقض هذه القوة الجائحة على باريس .  
وقد أوشكت خطته أن تنفذ في الحرب الماضية لولا ان القائدين مولتسكه  
الصغير وفون كلوك خالفها في عدة أمور ، فأهملا الهجوم على هولندا وأضعفا  
الجناح الأيمن بما سحبا من فيالقه القوية لتعزيز الجيش الألماني في الشرق  
وتعزيز الجناح الأيسر في اللورين . ثم وقع الخطأ في الزحف إلى الجنوب فلم يجر  
على النحو الذي قدره صاحب الخطة من الاسراع والاحكام .

ولبت الألمان يتغنون بهذه الخطة ويعتقدون أنها صالحة للتنفيذ في تجربة  
أخرى ، لأن الفشل الذي أصابها إنما عرض لها من خطأ الآخرين وليس من خطأ  
فيها أو في القواعد التي قامت عليها .

وقد ذكرها هتلر في كتابه فقال ما فحواه ان فن الحرب يتلخص في مفاجأة العدو  
الأكثر بالعدد الأكبر ، والاستبسال في الهجوم عليه .



ثم عدل جورينج خطة شليفن بتعديل الأسلحة لا بتعديل القواعد والطريقة . فاعتمد على الدبابات والمركبات المصفحة والطائرات بدلا من الاعتماد على الأسلحة القديمة التي كان عليها المعول كله في أوائل القرن العشرين . وسميت خطة جورينج بخطة كانيا Cannae الثالثة لأنه نظر فيها كما نظر شليفن من قبله إلى أساليب هانيبال<sup>(١)</sup> .

أما التقارير الحديثة التي كتبها الضباط والخبراء الذين شهدوا الفتنة الأسبانية والغارة على النرويج فأكثر ما تدور على أساليب الفصائل المتفرقة في الجبال وأساليب الجنود التي تهبط بالمظلات الواقية وتعميت وراء الخطوط لتعطيل المواصلات واغلاق السكان وازعاج المقاتلين من وراء الصفوف .

وهذا كله لم يكن ليغنى شيئا لولا دسائس الجيوش الخامسة أو جيوش الجواسيس والدعاة المستترين الذين يكلفون الخزانة النازية ملايين الجنهيات في كل سنة وينبثون في البلاد المعتدى عليها لينتقضوا عليها في أخرج الأوقات . فلولوا التقصير في نصف القناطر على نهر الموز مثلا لانتهت هذه الخطط جميعا قبل أن توغل في دور الابتداء .

وقد وقع تقصير ، ولا شك ، في عدة الدفاع لا نعلم الآن ما حقيقته ومن المسئولون عنه ، ولعل الحكومة الفرنسية تكشف النقب عنه قريبا كما وعد المسيو بول رينو رئيس الوزراء

إلا أن الأمر فيما عدا هذا التقصير ليس من السهولة والبساطة بحيث يبدو للمتعجلين والمستغربين والناصحين وأيديهم في الماء للعاملين وأيديهم في النار !

---

(١) كتاب هتلر على أوروبا لمؤلفه ارنست هنرى .



فهم يسألون : لم لم يتخذ الحلفاء كل حيلتهم في الثغرة الضعيفة على حدودهم  
مادامت للهجوم خطط معروفة وتقديرات لاتعزب عن البال ، ولا سيما بال القواد  
المحكين ؟

وهو سؤال يبدو وجيها عسى الجواب لولا أن سائله قد غفلوا عن كثير من  
الحقائق التي لا تقل في ثبوتها وبدايتها عن خطط الهجوم في تقديرات النازيين  
فأول ما هنالك أن وجود خطة حربية في دولة من الدول لا يستلزم وقوع  
الاختيار عليها في اللحظة الأخيرة ، ولا أن تنفذ بجملة وتفصيلاتها عند وقوع  
الاختيار عليها

فقد يلجأ أركان الحرب إلى خطة أخرى يفضلونها على جميع الخطط المرسومة ،  
وقد يلجأون إلى الخطة بعينها مع التعديل في بعض أجزائها كما فعل مولتسكه  
وكلوك في الحرب الماضية

ولا يجب أن ننسى أن النازيين يستبيحون العدوان على حيدة  
البلدان المستقلة كهولندا وبلجيكا ولكسمبورج والندرك والنرويج ولا  
يستبيحه الديمقراطيون في حربهم مع النازيين وإلا أسقطوا حجتهم وألحقوا  
قضيتهم بقضية المعتدين ، ومهما يقل القائلون في الحجج الأدبية فهي شيء يكسب  
به الديمقراطيون ويخسر به النازيون ، وقد يكون له النفع أكبر النفع عند النظر  
في شروط السلام ومغارم التعويض

ومتى كان النازيون متروكين أحرارا في تدبير خطط العدوان وأوقات  
العدوان وفرائس العدوان - ففي وسعهم أن يوجهوا ثلاثة أرباع جيشهم إلى حيث  
شاءوا حين يشاءون . وليس في وسع الحلفاء أن يضعوا ثلاثة أرباع جيشهم في كل  
مكان وفي كل حين . ولعلمهم اذ يختارون نقطة الدفاع مصييين أو مخطئين أن  
ينبوا أعداءهم إلى تعديل ما اعتموه في الوقت الأخير



هذا إلى أن هتار يستطيع أن يجازف بأرواح الألوف ومئات الألوف من جنوده وهو لا يبالي بالمصير، لأنه غير مسؤول ولا متحرج كما هو دأب المقامرين والمقمارين . أما القادة المسؤولون فهم أبعد ما يكونون عن المجازفة بالأرواح والنجاة من الحساب . وليس من أساليبيهم أن يطرحوا كل ما عندهم على مائدة القمار في سبيل الغنى الكامل أو في سبيل الافلاس

ويضاف إلى هذا وذاك مزية أخرى لاحيلة للحلفاء فيها : وهي وحدة القيادة عند الألمان وتفرقها عند الهولنديين والبلجيكيميين والفرنسيين والانجليز . فطالما تعب الساسة الانجليز والفرنسيون وهم يقترحون على الأمم الصغيرة أن تعاوئهم ويعاونوها في تحضير خطط الدفاع وهي تعتمضم بالحيدة وتحسب أنها عصمه تغنيها عن الحلفاء والأعوان . فلما هجم الألمان على هولندة وبلجيكا كانوا يعرفون مواقعهم وغاياتهم جملة وتفصيلاً وكان على الحلفاء أن يصلوا أولاً إلى الميادين ثم ينظروا في توجيه الجيوش المختلفة هنا وهنا على حسب الطوارئ من مقتضيات كل ساعة وكل حركة ، ومنها أهواء رؤساء البلاد

وتلك مزية تحسب للنازيين في ميزان الحرب ، وإن كانت تحسب للحلفاء في ميزان السياسة والقانون

ومزية أخرى لا تقل عن هذه المزية هي ارتجال الخطط التي لا يعول عليها أصحاب الأصول والقواعد المرعية في الحروب . فهذه البهلوانيات من حركات المظلات الواقية وفصائل الدراجات الموغلة من وراء الخطوط لعب غير مأمون وإن بدا نجاحه بعد المفاجأة الأولى أو بعد مفاجآت كثيرة . وإذا كان جورينج قد خشى من عقباه واسرع إلى التبرؤ من تبعاته في صيغة الشهادة لزعيمه فالأحرى بقواد الحلفاء وهم لا يستوحون الخطط العسكرية من عالم الغيب أن يحاروا عند المباغثة كما يحار اللاعب المدرب مع اللاعب الذي يخالف جميع الاصول ، وأن



يترشوا هنيهة قبل أن يتعودوا طريقة هذا اللاعب في نقل الورق أو تنسيق  
الاحجار

تلك هي بعض المصاعب التي يعانها المقاتلون الديمقراطيون ولا يعانها المقاتلون  
النازيون

ولا بد للحرية من مصاعب ، ولا بد لها من ثمن غال  
فليس لإنسان أن يجمع المزيثين ، وأن يكون مستبدا وحرراً في نزعة واحدة ...  
ولا أن يأكل حلاوة الحرية بغير نار

\* \* \*

ونحن نكتب هذه السطور والرحى تدور ولا يعلم أحد أين يرمى اللباب  
وأين ترمى القشور

غير أن الرجاء فيما نعتقد معلق برجحان الروية على المجازفات ، وغلبة  
القدرة الصابرة على القدرة اليائسة التي تفرغ رجاءها كله في المهجمة الأولى . ثم  
يقعد بها الأعياء ويستعصى عليها الثبات

وهجمة هتار دليل على هذا الاستيئاس وعلى أنه يضيق ذرعا بالحصار ولا  
يقوى على مواجهة الشتاء

وهذا ما قدرناه من بداية الحرب فقلنا إن هتار لا يصبر عليها ولا يثابر فيها  
شتائين متواليين ، إلا وهو منهوك مضطر في نهاية الشوط إلى التسليم

ولولا ذلك لما جازف بهذه المهجمة ولو كان على رجاء في نجاحها ، فان احتمال  
الفشل فيها باغما ما بلغ من الضعف تخليق أن يحسن له الانتظار لو كان يطيقة ويقوى  
عليه

وتلك علامة خير

وعلامة الخير الكبرى أن تفشل هذه المهجمة فيتاح للمدافعين عزل الفرق



النازية بين الشرق والغرب وتعريض من وصلوا منها الى الشاطئ لنيران البر والبحر والهواء . مع انقطاعهم عن المدد والتموين واتصال جيوش الحلفاء في الميادين والفرنسية ، بعد تفرغهم لها وجلاتهم عن الساحة البلجيكية

وأن حبوط هذه التجربة النازية هو أصدق نذير بحبوط الدولة النازية وإن تطل الأيام ... واعلمها لاتطول

أبي الله لهذا العالم الذي أعياى الفاتحين من جبابرة التاريخ أن تحكمه عصابة من المغامرين والأفاقين ، وأن يترد الى جاهلية جهلاء لآحرمات فيها ولا حقوق

ذلك مالا يكون ، وهيهات أن يكون  
فلا أحلامهم مفلحة ، ولا آمال الانسانية مخفقة ، ولا كلمة الحرية منسية ،  
ولا قضيتها في موازين القدر دون قضية المهمجية  
وكل آت قريب ما



## فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الفصل الاول - مخلوق الظروف والمصادفات	٧
تهيد	٨
مخلوق الظروف والمصادفات	١١
أفكاره وأفكار غيره	٢٢
لا يخطئ! ٩	٢٨
لماذا اختاروه؟ ٩	٣٢
سياسة هتلر	٤٠
الفصل الثاني - مطالب المانيا وشكاياتها	٤٥
مطالب المانيا وشكاياتها	٤٦
نظرة أخرى في المطالب الالمانية	٥٢
فسحة العيش	٥٢
المستعمرات	٥٦
دانزيج	٦٠
خلة المانية	٦٣



الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث - نفس هتلر	٧٥
نفس هتلر	٧٦
التربية والنشأة	٨٢
شجاعته	٩١
مبلغ صدقه	٩٥
غرابة الاطوار	٩٩
كفاءته الذهنية	١٠٧
كفاءته الخطائية	١١٤
سسيماه	١٢٦
أصحابه	١٢٣
تلخيص	١٤٠
الفصل الرابع - قضية اليوم	١٤٩
قضية اليوم	١٥٠
بداية القضية	١٦٢
هل فشلت الديمقراطية؟	١٦٤
لم تفشل الديمقراطية	١٧٢
الفوارق بين الديمقراطية والنازية - التقدم	١٧٥
» » » » - الأخلاق	١٧٨
» » » » - حل المشكلات	١٨٢
» » » » - النظام	١٨٥



١٨٧	» » » »	الصحة	١٨٧
١٨٩	» » » »	التربية	١٨٩
١٩٠	» » » »	البيئة	١٩٠
١٩٥	الفصل الخامس - قضية الغد		١٩٥
١٩٦	قضية الغد		١٩٦
٢١٧	كلمة الختام		٢١٧



i 10959898

613198710

### تصويبات

صواب	خطأ	س	س
الضنك	الفتك	١٦	٢٤
عيد العمال	عيد الميلاد	٨	٣١







i 10959898

613198710



19 MAY 2003







